بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن وlah،

أما بعد:

إن السيرة النبوية مليئة بالعبر، حافلة بالأسرار، مقوية للسلوك، مربية للعواطف، باعثة على الاقتداء.

وإن الحديث عن السيرة من أعظم ما ننشر له الصدرو، وتطلق الأسرار،

وهكذا الأفق.

كيف لا وهو حديث عن أكرم البشرية، وأرها وأبها، وعظيم لوطالعت
كتب التاريخ والسير عربية وغير عربية، وأمعنت النظر في أحوال عظام الرجال
من مبدأ الخليفة إلى هذا اليوم - فإن لا تستطيع أن تضع يدك على اسم رجل
من أولئك العظام، وتقص علينا سيرته ومزاياه وأعماله الجليلة حديثًا يضاحي
أو يداني ما تحدث به عن هذا الرسول العظيم.

وغير خفي على من يقُدر هذا النبي قدره أن ليس في طوق كاتب - ولو ألقت
إليها البلاغة أعنتها - تقصي المعاني التي انطوت في هذه السيرة العظيمة.

هذا وإنما يبعث على الأسي، ويدعو إلى الأسف والخسارة ما تناقلته وسائل
الإعلام في الفترة الماضية، حيث تناولت ما تباه صحف الدانمرك والنرويج
وغيرها تلك الصحف التي ما فتئت تنال من مقام النبوة بأسلوب ساخر، ينم عن
المقدمة

حقد دفين، وحسد يأكل قلوبهم، ويأتي لها أن إلا تغافل الحقائق، وتتهي في أودية الزور والبهتان؛ ظائين أن ذلك ينزل من مقام النبوة الأعظم فتيلًا أو قطميرًا.

وفي تعب من ينادى الشمس نورها، ويجهد أن يأتي لها بضريبٍ، يريدون أن يُلفتون نور الله بأقوامهم. ويأتي الله إلا أن يُعم نوره ولَوَ كرَّ الْكَافِرُونَ (التوبة: 32).

ولقد ساء ذلك الفعل الشائن قلوب المسلمين، وتتابعت أفلام الكتاب في رد ذلك الزيف، وإبطال ذلك الكيد؛ فكان من ذلك بعث لفضائل هذا النبي الكريم - على الله أن يُخلِّه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وإذا أراد الله نشأة فضيلة طويلة اتاحة لها لسان حسود، وفضيلة النبي لم تطوى، وإنما تُجَدَّد، وتتالَّأ كالنهر في سماء صاحبه، وكالشمس في رِّدِ الضحي.

ورغبة في الإحسان في هذا الواجب العظيم، وآداؤه لأقل القليل في حق هذا النبي الكريم - رأى أن أقدم جهد المقل في هذا الشأن.

وذلك من خلال هذا البحث الذي جاء عنوانه يحمل المسمى الآتي:

(الرحمة والعظمة في السيرة النبوية)

أما خطته فجاءت مشملة على مدخل، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة

والذي على النحو التالي:

١ - ديوان المتنبي بشرح المعكري: ٥٦/١.
٢ - ديوان أبي تمام: ٣١٢/١.
المقدمة

- مدخل: في أسرار السيرة النبوية، ومناهج البحث فيها.
- تمهيد: وقد جاء مشتملاً على بعثة النبي ﷺ وخلاصة سيرته.

الفصل الأول: من جوانب الرحمة في سيرة النبي ﷺ.

ويحته خمسة مباحث:

المبحث الأول: في كون النبي ﷺ مطوراً على الرحمة، وكون شرعته مشتملة على الرحمة العامة الكاملة.

المبحث الثاني: رحمة النبي ﷺ بالبشر عموماً.

المبحث الثالث: رحمة النبي ﷺ بالضعفاء والمساكين.

المبحث الرابع: رحمة النبي ﷺ بالنساء.

المبحث الخامس: رحمة النبي ﷺ بالحيوان.

الفصل الثاني: من جوانب العظمة في سيرة النبي ﷺ.

ويحته مدخل وخمسة مباحث:

- مدخل: في مفهوم العظمة.
- المبحث الأول: في راحة عقل النبي ﷺ وزراعة علمه.
- المبحث الثاني: في عظمة خلق النبي ﷺ.
- المبحث الثالث: في إخلاص النبي ﷺ وصدق عزيته.
- المبحث الرابع: في حسن بيان النبي ﷺ.
- المبحث الخامس: من شهادات المنصفين على عظمة النبي ﷺ وصدق رسالته.
الفصل الثالث: مجلس رسول الله ﷺ.

وقت مدخل وخمسة مباحث:

- مدخل: وفيه بيان لأسباب إبراد هذا الفصل، وأنه بحث نادر لطيف لم يفرده أحد من الأوائل، وأنه يجلب رحمة النبي ﷺ وتواضعه، وما إلى ذلك من جوانب عظمةه.

المبحث الأول: مقدمة في مجال العظام.

المبحث الثاني: في ورود مجلس رسول الله ﷺ في القرآن، وصفه ذلك المجلس.

المبحث الثالث: مكان مجلس الرسول ﷺ وكيفية التماؤله وخروجه إليه.

المبحث الرابع: هيئة المجلس الرسولي، وما كان يجري فيه.

المبحث الخامس: وقت المجلس الرسولي، وآدابه.

- خاتمة: وتختتم على ملخص لأهم ما جاء في البحث.

أما منهجه فقد روعي فيه مخاطبة غير المسلمين، وما لديهم من شهادات حول الرسول ﷺ فيما هو داخل ضمن فصول هذا البحث.

ويستنذ ذلك بالتأكد من صحة العلماء، والحرص على بيان الحق بدلاً عن لغة التعالي والاستفزاز، ولغة التبعية والانهيار، فالاولى تصد عن قبول الحق، والثانية تخدله، أو تضعف جانبه.
ويتبنى ذلك الجامع بين الأصالة والمعاصرة؛ فالاصالة تعطي البحث قوة، والمعاصرة تعين على فهم أحوال المخاطبين، وتزيل الكلام على تلك الأحوال.
كما روعي في البحث الحرص على إظهاره في حلة قشيبة، ومعرض حسن، وذلك من خلال أمور منها:

1. مراجعة قواعد البحث من غزو، وتضرع.
2. الحرص على سلامة اللغة، ومراعاة قواعد الإملاء، وعلامات الترقيم.
3. مراجعة لغة البحث، والحرص على أن تكون حالاً بين حالين: بين السوقي القريب، والوحيش الغريب.
4. الرجوع إلى المصادر الأصيلة الموثقة من كتب السنة والسيرة سواء كانت قديمة أو حديثة.
5. مراجعة عنصر التشويق، وذلك من خلال وضع العناصر، والتنوع في الاستشهاد والنقل.

إلى غير ذلك مما يعين على فهم المقصود، وطرد الملل، وإمكانية تجزئة البحث، أو استلام مقالات منه؛ فإن تفاصيل البحث، والله المستعان، وعليه التكلان، وصلى الله وسلم على بنيا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

معمّد بن إبراهيم الحمد
جامعة القصيم كلية الشريعة
وأصول الدين قسم العقيدة
الزرقاني صب. 460
الرمز البريدي 11932
www.toislam.net
Alhamad@toislam.net
مداخل: في أسرار السيرة النبوية، ومناهج البحث فيها
مدخل : في أسرار السيرة النبوية، ومناهج البحث فيها
مداخل: في أسرار السيرة النبوية، ومناهج البحث فيها
أولاً: في أسار النبوية: السيرة النبوية حافلة بالأمور، مليئة بالخبر.

وعلل من أعظم أسار سيرة نبينا محمد ﷺ أنها تمتاز عن سير سائر العظماء
بأنها لا تُستنفف مهما كتب فيها من كتب، فسير العظماء على الجملة. يقوم
بأمرها، ويغني في شأنها أن تكتب مرة أو مرات، ثم تستنفف معانيها، ويسير
الحديث فيها معاً مكروراً تغني فيه أعمال الأسلاف عن محاولات الأهل.

أما سارة نبينا محمد ﷺ فقد عني المؤرخون والرواة بها منذ صدر الإسلام حتى
يومنا هذا، وصدر فيها كثير من الكتب في عدة لغات، ومع ذلك لم تخلق
جذبًا، بل إنها لزوداً على كثرة ما يكتب فيها جداً ورواءً.

وليس ذلك على خطره. بدأ من طبيعة الأشياء: فمحمد هو رسول الله،
وخامت النبيين، وقد أنزل الله إليه الكتاب؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور.
والناس المعينوً بهذا هم كل الناس منذ بُعث حتى يرث الله الأرض ومن
عليها.

وهؤلاء، بسنت الله في الكون، في تجدد دائم، وتطور متصل، تجدت لهم دائمًا
أحوال، وتحدث لهم أحداث يكون لها آثارها في تعايشهم وعلومهم وتفكيرهم.
فليس عجبًا أن يلمسم المؤمنون في الكتاب المنزل في التفسير الحي لهذا
الكتاب الذي عاشه خامس النبيين بسيرته – هديًا ليهم فيما يستقبلون كل يوم من شأن
وليس عجبًا أن يلمسم غير المؤمنين في هذا الكتاب المنزل في تفسيره الحي من
سيرة الرسول ما عسى أن يقعوا فيه على مسافة خلف بين الدين والتطور، أو بين
الكتاب والسنة أو السيرة، وكذلك عظيم المؤمنون وغير المؤمنين بالسيرة عناية مختلفة من حيث الحقيقة والخلاف، ومن حيث العدل والجور.

والسيرة الشريفة -مع هذه العناية المترابطة- جديدة خصبة، ملهمة وموحية;
لأنها الترجمة الآلية العملية لمبادئ الإسلام العليا، فهي تتراهي للعقل والنفس.

قنية مشرقة لم يبل قلوبها تقدم العهد، ولا تتطاول الزمان.

وأما أكثر ما يجلي خصوم الإسلام على سيرة نبيه جهالاً أو جهولاً بالحق، فلم ينالوها منها نيلًا، بل ربما دفع أجنههم بعض الباحثين إلى العناية بها؛ تلميذًا للإسلام، وطاباً للمعرفة؛ فهدا بذلك إلى الخير، أو شيء منه.

ولعل من صلاة الله على نبيه أن أوعز الناس هذه العناية بسبرته سواء منهم من أفراده، أو من أئمة نبوته؛ لأنه نور، ومن عرف النور فقد شهد لنفسه بالاستشراف، ومن أدركه فقد شهد على نفسه بالعمي، والنور على الحالين نور.

وقد رفع الله ذكر محمد، فقرر اسمه باسمه في الأذان والصلوات، ووصفه في أكثر من موضع من القرآن بصفات تجعله في المرتبة التي لا تتنازل.

» الذين يتبوعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونوه مكتوبًا عندهم في التوراة، والإنجيل يأمرهم بالمعرفة ويهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الحرامي ويضع عنهم إصله والإغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفسدون»

(الإعراف: 157).
ليس مصدر العبادة بالسيرة إرضاء حاجة العلم والدرس فحسب؛ فحاجات
المؤمنين إلى هذا البند من الحب والهدى أشد من حاجات العلماء إلى البحث
والدرس، وكل من في قلبه نفحة إيمان جد نفسه مهما فرط في الدين مشدوداً إلى
محمد، راغباً في أن تزداد هذه العلاقة وثيقة.

وحب رسول الله من حب الله، فليس محمد على شأن الأجل. إلا بشراً
رسولاً"(1).

ومن أعظم أسرار السيرة النبوية أن لها أثر في تقويم السلوك وتربية
المواطنة الشرفية؛ فإنها المرآة التي تعكس منها تلك الصورة التي تعد مثلاً
أرقي صورة للحياة البشرية، حيث كان النبي محمد عليه الصلاة والسلام يرسم
بأقواله، وأعماله، وسائر تصرفاته - القدوة العليا التي يجب أن تهدف إليها
جهود البشر في سيرهم نحو الكمال المشهود.

إن ثلاثة وعشرين عاماً هي جملة السنين التي عاشها محمد نبياً رسول قد
لا تكون في مقياس الزمن شيئاً مذكوراً إذا قيست إلى ما قضته البشرية من حقب
متطاولة، وأجيال متداخلة.

ولكنها في مجال التربية، والإصلاح، ورسم قواعد السلوك البشري الفاضل،
ووضع العالم، والحدود لحياة الإنسان كما يحب رب الإنسان، وما يحقق الغاية
من وجوده، ويكفّل لها الحياة السعيدة الكريمة - لأرتج في الميزان من كل ما غبت

---

1. نظر إلى مقدمة الأستاذ محمد فتحي عبد المعم الشافعي كتاب محمد رسول الله للعلامة أحمد تيمور باشا

ص 14-16.
من حقب وأجيال؛ ذلك أن بركات هذا النبي لا تكاد تحصر ولا تحصى (1).

وإن منها لبركة الوقت الذي نال أمره منها أوفر الحظ والنصيب؛ فنالت من الأعمال، والعلوم، والأخلاق، والحكم في وقت قصير، ما لم تنه أمة من الأمم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فكل من استقر آحاد العالم وجد المسلمين أحدً وأسداً عقلاً. وأنهم ينالون من حقائق العلم والأعمال أضعاف ما يناله غيرهم في قرون وأجيال» (2).

وقال في موضع آخر: «فهدي الله الناس بركة نوبة محمد»، وما جاء به من البيان والهدية، هديا جلّت عن وصف الواعيين، وقالت معرفة العارفين، حتى حصل لأمه المؤمنين عموماً، ولأهل العلم منهم خصوصاً من العلم النافع، والعمل الصالح، والأخلاق العظيمة، والسنن المستقيمة ما لو جمعت حكمة سائر الأمم علماً وعملًا، فلم تائماً في الخالصة من كل شوب إلى الحكمة التي يبعث بها لتفاوتنا تفاوتاً يمنع معرفة قدر النسبة بينهما، فلهلم الحمد كما يحب رينا ويرضى، ودلائل هذا وشواهده ليس هذا موضعها» (3).

ومن أعظم ما أمتازت به سيرة النبي، أنها معلومة للناس بجميع أطوارها، متجيلة لهم دخالتها من كل مناحيها.

1- انظر مقدمة الدكتور محمد خليل هرس على الحصائص الكبرى للسيوطي ٤٣/١.
2- نقص المنطق لابن تيمية ص ٧٧.
3- اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٤٤/١.
ولا ريب أن ذلك من أعظم أسرار عظمتها وخلودها؛ إذ لا يصح أن تكون سيرة أحد من الناس قدوة لغيره إلا أن تكون واضحة معلومة منزهة عن العيوب والمثلي.

ولقد ضبط العلماء سيرته عليه الصلاة والسلام، وأنوا على دقائق قد لا تخط ببال.

ولو استعرض القارئ فهرس أحد الكتب التي اعنت بسيرته وشمائله لوجد ذلك واضحاً جلياً.

ولهذا فإنه عليه الصلاة والسلام. لم يكن ليتحرر من نقل ما يقوم به من أعمال حتى في داخل منزله؛ فتأري من جراء ذلك كثرة الأخاديد التي ترويها أمهات المؤمنين عن النبي ﷺ.

ولم يكن ذلك إلا لأن سيرته كعلانيته، وظلمة لبيب كحضوء نهار؛ فسيرته معلومة منذ ولادته إلى ساعة وفاته.

ثانياً: مناهج البحث في السيرة النبوية: لقد حظيت السيرة النبوية بما حفلت به من أقوال، وأفعال، وقرارات بعناية العلماء قديماً وحديثاً.

ولقد كتب العلماء قديماً في السيرة وكانت كتاباتهم تحمل طابعاً يناسب عصورهم، ويناسب كذلك كثيراً ممن جاء بعدهم، وتصلح لأن تكون مادة ومراجع أصيلة للسيرة.

غير أن هناك كثيراً من المسلمين في العصر الحديث يرغبون عن تلك الأساليب.

---

1 - انظر الرسالة المحورية للسيد سليمان الندوي ص 104-105.
القديمة، ويرغبون في كتابات معاصرة تُكتبُ بأسلوب ملائم، وتعالج قضايا
استجذبت في موضوع السيرة.

ومن هنا قام كثير من الكتاب بتقديم دراسات في السيرة، فأدوا دورًا طيبًا
وآثرًا حسنة في نفس المسلمين.

ولكن تلك الكتابات لم تكن على وترة واحدة من جهة تقديرها للعوحي،
wالغيبات، والمعجزات، ومقام البوة عمومًا.

كما أنها لم تكن على نحوٍ واحد من جهة اختلاف توجهات أصحابها،
وأهدافهم من كتابة السيرة، والمقام لا يسمح بمزيد من التفصيل.

وعلى كل حال فإن مناهج الباحثين في السيرة النبوية يمكن حصرها في ثلاثة:

المنهج الأول: منهج المبالغين الغالين: الذين يضفون على النبي صفات لا
تليق إلا بالله ـ عز وجل ـ.

فهؤلاء يبالغون في إطرائه، ولا يبالون في صحة ما يروون أو ينقلون، ولا
يعتمدون على القرآن الكريم، والمصادر الأصلية من كتب السنة والسيرة.

ولا يعتري عاقل أن لا أفسد للتاريخ والسيرة من تلك الروايات الملممة في سماء
الخيايل، والتي تنقل الحياة البشرية من عالم الواقع إلى جو الأساطير.

وليس هناك حياة كانت على الأرض هي أغنى بواقعها المجرد من حياة سيد
الحلق محمد.

فهي حياة تنطق كل حركة منها، ويشهد كل موقف من مواقفها بأنها حياة
بلغت في السلوك البشري حد الإعجاز.
إن خصائصه ومعجزاته التي طارت بها آيات الكتاب الجيد والسنن الصحيحة، والآثار المعترنة في من الكثرة والوفرة بحيث لا تحتاج إلى تلك الزيادات التي يمتجها الدوق السليم، وتعاقها الفجوة السوية، والتي لا يشهد لها من عقوبة من وضع الزنايدة والمنحرفين.

المنهج الثاني: منهج الباحثين الغربيين ومن سار على طريقتهم: فهذا المنهج يسلكه أغلب المستشرقين ومن شاكونهم من الكتب والمفكرين المتسنين للإسلام.

فهؤلاء إذا تناولوا السيرة بالبحث والدراسة، فعملوا معها كما يتعاملون مع سيرة أي زعيم أو بطل، أو قائد، أو فاتح؛ فتحيثون عن النبي ﷺ كما يتحدثون عن هؤلاء، ويسعون بالبطل، أو العبقرى، أو الزعيم أو نحو ذلك من الألقاب التي لا تغني عن مقام النبوة.

وترأهم يتحدثون عن سيرته -عليه الصلاة والسلام- حديثًا ماديًا بحثًا مجردًا دون ربط لها بالوحي والغيب، والتأكيد الإلخ، وكأنهم يتحدثون عن سيرة نابليون أو هتلر، أو موسوليني.

و لا ريب أنهم قد ينصون على النبي ﷺ ويصفونه بأوصاف كبيرة، ويفضلونه على غيره.

لكن الخطوة تكتمل هذا المنهج من جهة قطعه عن الصلاة بالله، وعن الإيان بالغيب؛ فتراهم ينكرون عدداً من المعجزات الثابتة بصريح القرآن، ونذكور السنة، كنزول الملائكة في بدر، وطير الأبلبل، وشق صدر النبي ﷺ والإسراء.

---

1- انظر مقدمة الخصائص الكبرى 4/1.
ويرى بعضهم براء أن (قرأ) كانت مناماً، وأن الإسراء سباحة الروح في عالم الروى، ويعتبر الملائكة الذين أمد الله بهم المسلمين في غزوة بدر بالدعم المعنوي، ويعتبر المطر الأبابيل بداء الجدري، وأن شق القدر كان شيئاً معناياً، وأن لقاء جبريل بالنبي في غار حراء كان مناماً، إلى غير ذلك مما جاء في ذلك السياق.

وهكذا تُفرْح سيرة النبي من الحقائق الغيبية، والمعجزات والخطاوات التي لا يمكن أن تنافى في جوهرها مع حقائق العلم وموازنتها التي يدُعون أنهم يسيرون على وفقتها؛ لأن الله هو خالق النوميس، وهو القادر على خلقها مثوى شاء وربما استوحى بعض أصحاب هذا المنهج إلى إحياء الأساطير في سيرة النبي.

المنهج الثالث: وهو المنهج الصحيح: وهو الذي أنكر منهج الغلو والمعالجة في إطار النبي كما أنكر الأسفل المادي الفلسفي في دراسة السيرة.

فالمنهج الصحيح هو الذي يقوم على الأصالة والسلامة، وهو الذي يعتمد في دراسة السيرة، واستلهم العبر منها على القرآن الكريم، والمصادر الأصلية الصحيحة من كتب السنة والسيرة دون مبالغة في إطار النبي وإخراجه عن وصف العبودية في أعلى مقاماتها.

---

1- انظر البحث القيم الذي قدمه الأستاذ أنور الجندى مؤثر السيرة النبوية - في مقدمة تحقيق كتاب سبل اليدى والرشاش في سيرة خير العباد) للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق وتعليق الشيخين: عادل عبدالوجود، وعلي محمد معوض 17/1735.
ودون غمط لقم النبوة الذي يعلو به على سائر البشر،
والمنهج الذي يقوم أيضاً على الإيمان بالغيبيات، والمعجزات، والأخبار القطيعيات.
فهذا هو النهج الحق، وإن كان أصحابه يتفاوتون في جودة الطرح، وقوته،
ومعجمه.
مداخل: في أسرار السيرة النبوية. ومناهج البحث فيها
تمهيد : في بعثة النبي ﷺ وخلاصة سيرته
ملاحظات: في بعثة النبي ﷺ وخلاصة سيرته
الحديث عن بعثة النبي محمد وسيرته يطول، ولقد أفرد العلماء في هذا الشأن كتاباً كثيرة.
والمجال هكذا لا يتسع للإطالة والإسهاب؛ ولعل الحديث في الصفحات الآتية يتناول الموضوعات التالية من السيرة النبوية المباركة:

أولاً: مهينات النبوة:

لقد هيا الله - عز وجل - للنبي مهينات كثيرة كانت إرهاصاً لبعثته ونبوته، فمن ذلك ما يلي:

١- دعوة إبراهيم، ويشير عيسى عليه السلام ورؤيا أمه آمنة: يقول النبي عن نفسه: "إني عبد الله لَحَاتِمِ النَّبيين، وإن آدم - عليه السلام - لُجَّد
في طينه، وسأنتكم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم، ويشارة عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأيت". 

ومعنى الحديث: أن النبي يقول: أنا مصدق دعوة إبراهيم الخليل - عليه السلام- لأن إبراهيم لمَّا كان يرفع القواعد من الكعبة في مكة، ومعه ابنه إسماعيل كان يقول -كما أخبرنا الله عنه في القرآن- "رَبَّنَا تَقُلْ مِثْلَ اِنْذَالَكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ (١٦٧) رَبَّنَا وَاجْعِلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذَرِّيَّتِي أَمَّهَ مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرْبَابَنا" .

٢- انظر المسند (١٧٣٨٠) ودلائل النبوة للبيهقي ١٧٠٨-١٧٠١، والروض الأدنى للسياسي ٥٩٠/١، وخلاصة السيرة النبوية والدعوة الإسلامية محمد شهيد رضا ص ١٣٤-١٢٣٩.
مِنْاسِبًة وَنُبِّي عَلَيْهِ اِنْكَ أَنتَ الْتَوَّابُ الرَّحِيمُ (148) رَبّاً وَابْعَثْ فِي هُمْ رَسُولًا
مِنْهُمْ يَتَّلُو عَلَيْهِمْ آيَاتُكَ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيَزِكِّهِمْ إِنْكَ أَنتَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ (البقيرة 137-138).

فَاستِجْبَاحُ اللَّهِ دُعْوَةً إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلِيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. فَكَانَ النَّبِيُّ الخَاتِمُ
محمدٌ عِلِيَّهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. مِنْ ذَرِّيَّتِهَا.

أَمَّا قَوْلُهُ: "وَبَشِّرِي عِيسَى" فَإِنَّ النَّبِيِّ عِيسَى عِلِيَّهِ السَّلَامُ. قَدْ بَشَّرَ بِنَبِيٍّ
محمدٍ ﷺ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْقُرْآنِ، فَقَالَ: "وَأَيُّذَ قَالَ عِيسَى أَبِيُّ مُرْيَمَ يَا بَنِي
إِسْرَائِيْلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدَّقاً لِمَا يَبْنِ يَدِىَ مِنَ الْقُوَّٰٰةَ وَمُبِينٌ لِرَسُوْلِ
يَايَتِي مِنْ يَدَيْ اسْمَاهُ أَحْمَدُ" (السَّف: 6).

فِيِسَى عِلِيَّهِ السَّلَامُ. هُوَ أَخَرُ نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَاء بَنِي إِسْرَائِيْلِ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
محمدٍ ﷺ وَقَدْ بَشَّرَ بَنِيّ يَايَتِي مِنْ بَعْدِهِ اسْمَاهُ أَحْمَدُ، وَأَحْمَدُ مِنْ أَسْمَاءِ
النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ.

أَمَّا "رُوْيَا أَمَهُ" فَقَدْ رَأَتبُ رُؤْيَةً صَادِقَةً; ذَلِكَ أَنَّ أَمَهُ لَمْ أَخْذَهَا المُخْضَاضُ،
فَوْضَعَتَ تَمْثِيلًا لِعِينَيْهَا ذَلِكَ النُّورُ الَّذِي أَضَاءَتِهِ لِبَصْرِيِّهِ فِي أَرْضٍ الشَّامِ (1).

2- كُنْ النَّبِيُّ ﷺ خَرجُ فِي أَمْرِ العرب: تَلَكَ الْأَمْرَةُ الَّتِي فَضَّلَتَ عَلَى غَيْرِهَا
مِنَ الْأَمْمِ آنَذَاكَ، حَتَّى اسْتَعْتَدَتْ لِهذَا الإِلَـٰصُ الْرُوحِيِّ المَدِينِيِّ الْعَامِ، الَّذِي
اَشْتَمَلَ عَلَيْهِ دَيْنِ الإِسْلَامِ، بِالرَّغْمِ مَا طَرَأَ عَلَيْهَا مِنَ الإِمْرَةِ، وَعِبَادَةِ الأَصْنَامِ;

1- انظرُ دَلَائِلُ البَوَايِ، ٤٨٠/١٨٤٨.
وما أحدثت فيها غلبة البداوة من التفرق والانقسام.

ومع ذلك فقد كانت أمة العرب متميزة باستقلال الفكر، وسعة الحريات الشخصية، في الوقت الذي كانت الأمم الأخرى ترسفت في عبودية الرياستين الدينية والدينيوية، محظوراً عليها أن تفهم غير ما يلقنها الكهنة، ورجال الدين من الأحكام الدينية، أو أن تختلفوا في مسألة عقلية، أو كونية، كما حظرت عليها التصرفات المدنية والمالية.

وكانت أمة العرب -أيضاً متميزة باستقلال الإدارة في جميع الأعمال أيامها، كانت الأمم مُدَللَّةً مُسَحِّرةً للملوك والنبلاء، المالكين للرقاب والأموال بحيث يستخدمونهم كما يستخدمون البهائم؛ فلا رأي لهم في سلم، ولا حرب، ولا إرادة لها دونهم في عمل ولا كسب.

وكانت أمة العرب متميزة بعزيمة النفس، وشدة البأس، وقوة الأبدان والقلوب أيامها كانت الأمم مؤلفة من رؤساء أفسدهم الإسراف والترف، ومرؤوسين أضعفهم البيوض والشظف، وسادة أبطروهم بغي الاستبداد، ومسودين أذلهم قهر الاستعباد.

وكانت أمة العرب أقرب إلى العدل بين الأفراد، وكانت متناسية بالذكاء، وكثير من الفضائل المروعة والكتسحة كأكرم الضيف، وإغاثة الملهوف، والنجدة، والإباء، وعلم الله، والحساء، والرحمة، وحماية الجار، وحمرته الجار، أيامها كانت الأمم مرهقة بالأثر، والأنانية، والأنين من نقل الضرائب والإناويا الأميرية.

وكانت أمة العرب قد بلغت أوج الكمال في فصحاء اللسان، وبلاغة المقال مما
جعلها مستعدة للتأثير والتأثير بالبراهين العقلية، والمعلوماتية، والverige، والتعبير عن جميع العلوم الإلهية والشرعية، والفنون العقلية، والكونية أيام
كانت الأمم الأخرى تنقسم على وحشتها بالتعصبات الدينية والذهبية، والعادات العرقية.
وأعظم مهارة إمتنان العرب، أنهم كانوا أسلم الناس فطرةً، بالرغم من أن
أمم الحضارة كانت أروصل منهم في كل فن وصناعة، والإصلاح الإسلامي مبني على تقديم إصلاح النفس باستقلال العقل، والإزالة، وتهذيب الأخلاق على إصلاح ما في الأرض من معدن، ونبات، وحيوان.
وبهذا كان الله عز وجل يُعد هذه الأمة للإصلاح العظيم الذي جاء به محمد ۱.

۳- شرف النسب: فقد كان نسبه أشر الأنساب، وأصرحها، قال
 تعالى: «إِنَّ اللَّهَ اسْتَفْتَى آدَمَ وَنُوحًا وَآَيَّاهُمَا وَاللَّهُ عَلَى
الْعَالَمِينَ» (العمران: ۳۲).
فلله عز وجل- اصطفى هؤلاء; إذ جعل فيهم البوة والبداية للمتقدمين، واصطفى قرشيً من ثماره، واصطفى من بني هاشم سيد ولد آدم محضًا، فكان آل إسماعيل أفضل الأولين والآخرين، كما كان بث إسحاق أفضل المتضلين.

۱- انظر خلاصة السيرة النبوية ص۷۳.
أما اصطفياء الله لقبيلة قريش فقد كان بما آتاهم الله من المناقب العظيم، ولاسيما بعد ستُكنى مكة، وخدمة المسجد الحرام؛ إذ كانوا أصرح ولد إسماعيل أنساباً، وأشرفهم أحساباً، وأعلاهم آداباً، وأفصحهم آسفة، وهم المهدون جمع الكلمة.

جاء في صحيح مسلم عن وَاثلة بن الأسئق قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الله اصطفيى كاتبة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كاتنة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم". 

أما اصطفياء الله لبني هاشم فقد كان لما امتازوا به من الفضائل والمكارم؛ فكانوا أصلح الناس عند الفتى، وخيرهم لمسكيه ويتيم.

وإذا أطلق لقب هاشم على عمرو بن عبد مناف؛ لأنه أول من هيشم الشريد وهو طعام لذيذ للذين أصابهم الفقد، وكان يشبع منه كل عام أهل الموسم كافٍ، ومائده منصوبة لا ترفع في السراء ولا في الضراء.

وزاد على هاشم ولده عبد المطلب جد الرسول ﷺ فكان يطعم الوحش، وطير السماء، وكان أول من تعبد بغار حراء، وروى أنه حرم الخمر على نفسه.

وبالجملة: فقد امتاز آل النبي ﷺ على سائر قومه بالإخلاق العالية، والفواضل العملية، والفضائل النفسية، ثم اصطفيى الله محمدًا ﷺ من بني هاشم؛ فكان خير ولد آدم، وسيدهم (3).

---

1- مسلم (2376).

2- انظر الفصول في سيرة الرسول لأبن كثير ص57-7، وخلاصة السيرة النبوية ص 110-1.
4- بلغه النبوة في مكارم الأخلاق: فقد جبله الله -عز وجل- على كريم الخلال، وحميد الخصال، فكان قبل النبوة أرقى قومه، بل أرقى البشرية في زكاء نفسه، وسلامة فطرته، وحسن خلقه.

نشأ يتيمًا شريفًا، وشب فقيراً عفيفًا، ثم تزوج محبًا لزوجته مخلصًا ليا. لم يتولّ هوي ولا والده شيئًا من أعمال قريش في دينها ولا دنيها، ولا كان يعد عبادتهم، ولا يحضر سامرهم، ولا ندوائهم، ولم يؤثر عليه قول ولا عمل يدل على حب الرباسة، أو التطلع إليها.

وكان يُعرف بالتزام الصدق، والأمانة، وعلو الادا؛ فبذل ذلك كان له المقام الأرفع قبل النبوة؛ حتى لقبه بالأمين.

وعلى هذه الحال كان حتى بلغ أشده، واستوى، وكممت في جسده الظاهر، ونفسه الزكية جميع القوى، ولا تم، ولا سماعة، ولا تطلع إلى جاه ولا شهرة، حتى أناء الوحي من رب العالمين -كما سيأتي بيانه بعد قليل-.  

5- كونه أميًا لا يقرأ ولا يكتب: فهذا من أعظم المهيهات والدلائل على صدق نبوته؛ فهذا الرجل الأمي الذي لم يقرأ كتابًا ولم يكتب سطراً ولم يقل شعراً ولم يرجل نثأً الناشئ في تلك الأمة الأمي - يأتي بدعوة عظيمة، وبشريعة سماوية عادلة، تستأصل الفوضى الاجتماعية، وتكفل لعنفتها السعادة الإنسانية الأبدية، وتعتقد من رق العبودية لغير بريءهم -جل وعلا-.

كل ذلك من مهيهات النبوة، ومن دلائل صدقها.

---

1- انظر خلاصة السيرة ص 17-19.
2- انظر خلاصة السيرة ص 25.
كونه نشأ في مكة المكرمة: تلك البلدة الطيبة التي اختارها الله لأول بيت قام في الأرض لتوحيد الله والعبادة الخالصة، والنسك السليم. قال الله – عز وجل -: "إن أول بيت وَضع للناس للذي بِكَة مباركَةً وَهَدى للعالمين" (العَمَّار: 96).

ومن أعجب ما امتازت به مكة عن بلاد الله جميعاً بين زمن مولد حامل أكمل رسالات الله وزمن هجرته - أنها بلدة لم يشعر أهلها بحاجتهم إلى حكومة، ولم تمس حاجتهم إلى إقامة شرطة تخمي أهل العافية فيهم من أهل البغي والشر؛ لأنهم قلما وعرفوا فيه مُواطنًا من أهل مكة تنزع نفسه إلى البغي والشر.

وأكثر ما كان يقع فيهم الباطل أن يمحل الدين دانه في وفاة ما في ذمته له، فكان يستعين عليه بأهل العافية، فيحصل منه على حقه بلا حاجة إلى قضية أو محكمة.

ولأجل هذا اعقد في بيت وحيه من وجهاء مكة وشريف من أشرافها وهو عبد الله بن جدعان التيمي -من أسرة أبي بكر الصديق- حلف اشترك فيه طائفة من أهل الفتوة والمروة في قريش، وتعاقدوا على ألا يجدوا بمكة مظلومًا من أهلها أو من غيرهم من دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى يُرَد عليه مظلمته.

وكان رسول الله ﷺ لا يزال يؤمن، وقد حَث عثمان بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- أنَّها سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان من حلف الفضول ماله دعيت إليه لاجبت، وما أحب أن لي به حَمر النعم" (1).

١ ﹶ انظر مع الرعيل الأول للشيخ محب الدين الخطيب ص ١٩-٢٠.
٢ ﹶ أخبار مكة في قديم الزمان والحديث، للفاكي (١٣٢) ١٩٠٥. 
ثانياً: نبذة عن نسب النبي ﷺ وحياته:

نسبه: هو محمد بن عبد الله بن عبد القادر بن حزام بن عبد مناف بن قصي.

ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة.

ابن خزيمة بن مدركه بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وعهد من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم ـ عليه السلام ـ.

وأم النبي ﷺ هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرا، ونهرة أخت جد النبي ﷺ.

وقد تزوج بها عبدالله والد النبي ﷺ وأقام معها في بيت أهلها ثلاثة أيام، فلم تلبث أن حملت بالنبي ﷺ ولم تجد في حمله ثقلة، ولا وحماً كما هو شأن المحصنات الصحيحات الأجسام ـ.

وقد رأى وأمه رؤيا لما حملت به، وقد تمدّر الرؤيا في كلام سابق.

ولادته: وقد ولدته أمه سويّة الحلق، جميل الصورة، صحيح الجسم، وكانت ولادته عام الفيل الموافق للحادي والسبعين بعد الخمسينات للميلاد ـ.

1 - انظر جوام السيرة لابن حزم ص 38-43، والروس الألف ص 57-65، ففيهما تفصيل النسب، وشرح الأسماء الوردية فيه، وحدائق الأوامر، ومطاعن الأسرار لابن الدين، 94/1.، وسبيل الشهد في هدي خير العباد ص 336-343، ومجموع الحدائق ص 131-134.، وهدى رسول الله ﷺ لأحمد تيمور باشا ص 38، وعوسوسة نظره في مكارم أخلاق الرسول الكريم 1931.


3 - انظر حدائق الأوامر لابن الدَّين الشافعي ص 49/1، وخلاصة السيرة ص 14، وفده السيرة للشيخ محمد الغزالي، خرَّج أحاديثه الشيخ الألباني ص 58-63.
فقد تُوفي والده وهو حمَّل في بطن أمه، فكفله جده عبد الله، وأرضعه.

أمه ثلاثة أيام ثم عهد جده بإرضاعه إلى أمّة يقال لها حليمة السعدية.

رضاعته في بني سعد: وكان من عادة العرب أن يسترضعوا لأولادهم في البوادي؛ حيث توارف أسباب النشأت البدنية السليمة(1).

ولقد رأت حليمة السعدية من أمر هذا الرضاع عجباً، ومن ذلك: أنها أتت مع زوجها إلى مكة على آتان هزيلة ببطهية السير، وفي طريق العودة من مكة، وهي تضع الرضيع في حجرها كانت الآتان تدعو عدواً سريعاً، وتخلّف وراءها كل الدواب، مما جعل رفاق الطريق كلههم يعجبون.

وتواجه حليمة بأن ثديها لم يكن يزيدُ شيئاً من الخليب، وأن طفلاً الرضيع كان دائم البكاء من شدة الجوع، فلما ألقمت الثدي رسول الله ﷺ درّ غزيّاً، فأصبحت ترضعه وتترضع طفلها حتى شبعاً.

وتواجه حليمة عن جدب أرض قومها ديار بني سعد، فلما حظيت بشرف رضاعة هذا الطفل أنتجت أرضها، وماشيتها، وتبدلّت حالها من بؤس وفقر إلى هناء ويسر.

وبعد ستينين عادت به حليمة إلى أمه وجدته في مكة، لكن حليمة ألحّت على أمه أن توافق على بقائه عندها مرة ثانية؛ لِمَا رأته من بركته عليها، فوافقته أمه آمنة، فعادت حليمة بالطفل مرة أخرى إلى ديارها والفجوة تملأ قلبها.

وبعد ستينين عادت به حليمة إلى أمها، وعمره آنذاك أربع سنوات، فحضنته

---

1- انظر جوامع السيرة النبوية لابن حزم الأندلسي ص. ٣٧٧، والروض الألف ٣٩٨٦. ٣٧٨/١٧٩٧.
أمه إلى أن توفيت، وكان له من العمر ست سنين، فكلفه جده عبدالمطلب سنتين
ثم توفي، وقبل وفاته أوصى به ابنه أبا طالب عم النبي ﷺ فحاطه بعنايةه كما
يخوذ أهله وولده')

إلا أنه كان لفتره يعيش عيش الشظف، فلم يتعود نعم الترف، ولعل
ذلك من عناية الله بهذا النبي الكريم.

وكان قد ألقف رعي الغنم مع إخوته من الرضاع لما كان في بادية بني
سعد، فصار يرعى الغنم لأهل مكة، فيكفي نفسه بما يأخذه على ذلك من
الأجرة، ولا يرها عمه بالنفقة.

سفره مع عمه إلى الشام، ولقاؤه بجيرا الراهب: ثم سافر مع عمه أبي طالب
في تجارة إلى الشام، وله من العمر اثنتا عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام، وهنالك
راه (بيجيرا) الراهب، ويشتر مع عمه أبا طالب، وحذر من عدوان اليهود عليه
بعد أن رأى خاتم النبوة بين كفيه.

سفره متجرأ بمال خديجة: ثم إنه سافر مرة أخرى متجرأ بمال خديجة بنت
خويلد، فأعطته أفضل مما كانت تعطي غيره؛ إذ جاءت تلك التجارة بأرباح
مضاعفة، بل جاءت بسعادة الدنيا والآخرة.

وكانت خديجة هذه أعقل وأكمل امرأة في قريش، حتى كانت تدعى في
الجاهلية: الظاهرة; لما لها من الصيانة، والثقة، والفضائل الظاهرة.

زواجها محتشمة: ولما حدثها غلامها ميسرًا بما رأى من النبي ﷺ في رحلته معه

١- انظر الروض الأنف ٢٠٠٠/١٣٠١/١٣٠٣، وأعلام النبوة للمؤرخ ص ٢٤٨-٢٤٩.
إلى الشام من الأخلاق العالية، والفضائل السامية، وما قاله (صلى الله عليه وسلم) الراهب
لعمه أبي طالب في رحلته الأولى إلى الشام - تعلقته رغبتها به؛ وبأن تنخذ زوجاً
لها، وكانت قد تزوجت من قبل، وتوفي عنها زوجها؛ فتم ذلك الزواج
الم חיים، وكان عمره آنذاك خمسة وعشرين سنة، وعمرها قريباً من أربعين سنة.
ولم يتزوج عليها طيلة حياتها، ولا أحب مثلها، وتوقفت بعد البعثة النبوية
بعشرين سنة، فكان كثيراً ما يذكرها، ويتصدق عنها، ويهدي لصاحباتها، وهي
الزوجة التي رزق منها جميع أولاده عدا إبراهيم؛ فإنه من زوجته ماريا القبطية.
هذه بعض أخباره وسيرته قبل النبوة وبدء الوحي على سبيل الإجمال.

ثالثاً: بدء الوحي:

ثلَّغ النبي ﷺ أشدها، وقرَّب من الأربعين، واكتملت قواه العقلية والبدنية،
وكان أول ما بدأ به من الوحي الرؤيا الصالحة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل
قلَّق الصحيحة واضحة كما رآها في منامه.

اختلاؤه بغار حراء، ونزول الوحي عليه: ثم بعد ذلك حِبِب إلى الخلاء،
فكان يغلب نفسه في غار حراء في مكة، فيتعبد الله الليالي ذوات العدد، ثم يرجع
إلى خدمة فيتزود بالطعام والشراب، حتى جاءه الحق، وهو على هذا الشأن
بنزول القرآن عليه في شهر رمضان، وذلك بأن تمثل له الملائكة جبريل، ولفت عن

١- انظر سنن الترمذي (٢٦٢٠) ودلائل النبوة (٩٤١)، والروض الأنف (٣٣٣)، وخصائص الكبري للسويطي (٣٣٤)، وخلاصة السيرة (١٥)، ومحمد رسول الله ﷺ
لأحمد تيمور باشا (٣٥)، وفقه السيرة للغزالي (٣١٨-٣٢٥).

وأما تركه جبريل في المرة الثالثة ألقى عليه أول آيات أنزلت من القرآن، وهي "اقرأ" باسم ربك الذي خلق (1) خلق الإنسان من علق (2) أقرأ وربك الأكرم (3) الذي علم بالمقال (4) علم الإنسان ما لم يعلم (الملک ٤٥).

تبتين بداية خلق الإنسان - بدأ نزول الوحي على النبي ﷺ، فرجع النبي إلى زوجته خديجة برجف فؤاده، ولكنه حفظ رشاده، فقال: "زموني زملوني" يعني: لفغوني بالثواب، ففعلوا، حتى إذا ذهب عنه الروح، أخبر خديجة الخبر، وقال: "لقد خشيتي على نفسي".

فقالت خديجة -رضي الله عنها-: "كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك نصل الرحم، وتحمل الكل، وتكتسب العمدوم، وتفرعي الضيف، وتعين على نواك الحظ".

وهكذا استدلت هذه المرأة العاقلة على أن من كان هذا شأنه في محبة الخير للناس فلن يذلله الله؛ فسنتاً الله تقتضي بأن الجزاء من جنس العمل.

ثم انتطلقت بعد ذلك خديجة بالنبي ﷺ حتى أتى ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان قد نَصِر في الجاهلية، وكتب الإنجيل بالعبرانية، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: اسمع من محمد ما يقول، فقال ورقة: يا ابن أخي،
ماذا ترى؟ فأخبره ﷺ خبرًا رأى، فقال ورقة: هذا الناموس (1) الذي أنزل على
عيسى، يا ليتني فيها جذعاً -أي شابًا- ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك.
فقال له الرسول ﷺ: "أو مخرجٰهم؟" قال: نعم؛ لم يأت رجل قط مثل
ما جئت به إلا عُودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرا، ثم توفي ورقة،
وفتر الوحي (3).
واستمرت فترة الوحي ثلاث سنين، قوي فيها استعداد النبي، واشتُدّ شوقه
وحينه.
قال ﷺ: "بينا أنا نسيتي سمعت صوتًا من السماء، فرمعت بصري قبل السماء
إذا الملك الذي جاءني بحراً قاعد على كرسي بين السماء والأرض؛ فجعلت (3) منه
حتى وُلدت إلى الأرض، فجعلت أهلي قلّت: زملوني زملوني (1).
وذكر أنه رعب منه، ولكن ذلك دون الرعب الأولى، فرجع إلى أهله، فزمَّل،
وُدنّى أني: تغطى بالثياب.
ثم أنزل الله عليه قوله تعالى - "يا أسي نقصه! (11) ثم فانذَر (12) وربك
فكبر (13) ويا بياك فظهر (4) والرجل فاهجر" (المهد).

1. الناموس: صاحب سر الملك، قال بعضهم: هو صاحب سر الخير، والجاسوس: صاحب سر
الشر، انظر الروض الألف 408/1.
2. انظر صحيح البخاري (4953) ومسلم (1161) والروض الألف 396/1، وخلاصة السيرة
صر 1920.
3. جئت منه: أي ذُرع وخفت. انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير 428/1.
4. البخاري (2338) والروض الألف 440/1-442.
تأتي في عائلة النبي ﷺ وخلاصة سيرته

أي: يا أيها الذي تدثر بثيابه قم فأتيذ الناس بالقرآن، وبلغهم دعوة الله، وظهر ثيابك وأعمالك من أدران الشرك، وهجر الأنصار، وتبرأ من أهلها.

تابع الوحي، وقيامه بالدعوة: ثم حمي الوحي بعد ذلك، وتابع، وبلغ دعوة ربه، حيث أمره وأوحي إليه بأن يدعو الناس إلى عبادة الله وحده، وإلى دين الإسلام الذي ارتضاه الله، وختم به الأديان؛ فقام النبي ﷺ يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة، والوعظة الحسنة، والمجادلة والتي هي أحسن.

فاستجاب له أول من استجاب: خدجية من النساء، وأبو بكر الصديق من الرجال، وعلى بن أبي طالب من الصبيان، ثم توالى دخول الناس في دين الله، فاشتقت عليه أذى المشركين، وأخرجوه من مكة، وآدوا أصحابه أشد الأذى، فهاجر إلى المدينة، وتابع عليه نزول الوحي، واستمر في دعوته، وجهاده، وفتوحاته، حتى عاد إلى مكة ظافراً فاحفاً.

وبعد ذلك أكمل الله له الدين، وأقرّ عينه بعزم الإسلام وظهور المسلمين، ثم توفى الله وعمره ثلاث وستون سنة، أربعون منها قبل النبوة وثلاث وعشرون نبياً رسولًاً.

وبه ختم الله الرسالات السماوية، وأوجب طاعته على الجن والإنس؛ فمن أطاعه سعد في الدنيا، ودخل الجنة في الآخرة، ومن عصاه شقي في الدنيا، ودخل النار في الآخرة.

---

1- انظر خلاصة السيرة ص 31.
2- انظر جوامع السيرة ص 68.
بعدما توفاه الله -عز وجل- تابع أصحابه مسيرته، وبلغوا دعوته، وفتحوا البلدان بالإسلام، ونشروا الدين الحق حتى بلغ ما بلغ الليل والنهار.

ودينه باق إلى يوم القيامة.

فما القول في أمي نشأ بين أميين، قام بذلك الإصلاح الذي تغير به تاريخ البشر أجمعين: في الشعراء، والسياسيين، وسائر أمور الدنيا والدين؛ وامتدى مع لغته في قرن واحد من الحجاز إلى آخر حدود أوروبا وأفريقيا من الغرب، وإلى حدود الصين من جهة الشرق حتى خضعت له الأمم، ودامت له الدول، وأقبلت إليه الأرواح قبل الأشباح، وكانت تتبعه في كل فتوحه الحضارة، والدينية، والعدل والرحمة، والعلوم العقلية والكونية على أيدي تلك الأمة الحديثة العهد بالأمتية، التي زكّاه القرآن، وعلّمها أن إصلاح الإنسان يتبعه إصلاح الأكون، فهل يمكن أن يكون هذا إلا بوعي من لدن حكيم على

وتأييد سماوي من الإله العزيز القديم الرحيم؟

1 - انظر خلاصة السيرة ص 152-163.
تمهيد: في بعثة النبي ﷺ وخلاصة سيرته
الفصل الأول: من جوانب الرحمة في سيرة النبي ﷺ

وتغته: خمسة مباحث:

المبحث الأول: في كون النبي ﷺ مفطورًا على الرحمة، وكون شريعته مشتملة على الرحمة العامة الكاملة.

المبحث الثاني: رحمة النبي ﷺ بالبشر عمومًا.

المبحث الثالث: رحمة النبي ﷺ بالضعفاء والمساكين.

المبحث الرابع: رحمة النبي ﷺ بالنساء.

المبحث الخامس: رحمة النبي ﷺ بالحيوان.
الفصل الأول: البحث الأول: كون النبي ﷺ مطولاً على الرحمة، وشريعته مشتملة عليها...
المبحث الأول: في كون النبي ﷺ مطوراً على الرحمة.
وكون شريعته مشتملة على الرحمة العامة الكاملة.

قال الله ﻪ - عز وجل - في وصف نبي ﷺ ﻪ: فيمَ رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنَتْ لَهُمْ وَلَوُ كَنْتُ فَظًا غَيْبَ الْقُلْبِ لَأَنْفُضْتُ مِنْ حُرُولَكَ فَاعْفَعْ عَنْهُمْ وَسَعَرْتُ لَهُمْ وَشَارِهِمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عُرِمَتْ فَتُوْكَلُّ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحْبِبُ المُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) (آل عمران).

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تفسير هذه الآية: وفاطر هذا معارج في سعة الخلق مع أمتي الدعاة والمسلمين، وفي الصفح عن جفاء المشركين، وإقالة العثرات»(١).

وقال ﻪ: أرسى محمد ﷺ مطوراً على الرحمة؛ فكان ليه رحمة من الله بالأمة في تنفيذ شريعته بدون تسايل ويرفق وإعانة على تحصيلها، فلذلك جعل لينه مصاحباً لرحمة من الله أودعها الله فيه؛ إذ هو قد بعث للناس كافحة، ولكن اختار الله أن تكون دعوته بين العرب أول شيء حكمة أرادها الله - تعالى- في أن يكون العرب هم مبلغ الشريعة للعالم.

والعرب أمة عرفت بالأنفة، وإبادة الضيم، وسلامة الفطرة، وسرعة الفهم. وهم اللائقون الأولون للدين؛ فلم تكن نية بهم الشدة والغلظة، ولكنهم يحتاجون إلى استنزال طائرهم في تبليغ الشريعة لهم؛ ليتجنى بذل ذلك المكاربة التي

١ - تفسير التحرير والشروح، للعلامة محمد الطاهر بن عاشور، ١٤٥/٤.
هي الحال الوحيد بينهم وبين الإذعان إلى الحق.
وورد أن صبح النبي ﷺ وعفوه ورحمته كان سابقاً في دخول كثير في الإسلام،
كما ذكر بعض ذلك عيان في كتاب الشفا (1).

قال الله ﷺ: «بِيُوكُيُيِا»

مواناً على السحمة، وطسيعت مظتنلة على

وأرسلناك إلا رحمة للعالمين» (النبياء: 17).

فجاءت هذه الآية مؤكدة للرحمة بأسلوب من أقوى أساليب التأكيد، ظل وهو
أسلوب الحصر، وأداته هنا النفي والاستثناء؛ فدل ذلك على أن الرحمة عامة.

قال ابن القيم ﷺ: «وأصح القولين في قوله - تعالى: «وَمَنْ أَرْسَلْتَنَا إِلَّا رَحْمَةً لِلنَّاسِ» (النبياء: 17) أنه على عمومه، وفيه على هذا التقدير وحجان:
أحدهما: أن عموم العالمين حصل لهمالفعن برسانته، أما أتباعه فثالوا بها
كرامة الدنيا والآخرة، وأما أعداء المتهاربين له فالذين عجل قتلهم وموتهم خير
لهم من حياتهم؛ لأن حياتهم زيادة في تغليب العذاب عليهم في الدار الآخرة،
وهم قد كتب عليهم الشقاء؛ فتعجيل موتهم خير لهم من طول أعمارهم في
الكبر.

وأما المعاهدون أنه عاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمنه، وهم أقل شرًا
بذلك العهد من المتهاربين.

وأما المناقرون فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم وأمواتهم وأهلههم
واحترامها، وجريان أحكام المسلمين عليهم من التووث وغيرها.

1 - تفسير التحرير والتوضير 145/4
وأما الأمم النامية عنه فإن الله سبحانه رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض؛ فأصاب كل العالمين النفع برسالته.

الوجه الثاني: أنه رحمة لكل أحد، لكن المؤمنين قبوا هذه الرحمة، فانفعوا بها دنيا وأخرى، والكافرين ردوها، فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمة، لكن لم يقبلوها كما يقال: هذا دواء لهذا المرض، فإن لم يستعمله ليدخل عن أن يكون دواءًا لهذا المرض (1).

وقال الشيخ ابن عاشور: في تفسير الآية: "فجاءت هذه الآية مشتملة على وصف جامع لبعثة محمد ﷺ.
ومزيّتها على سائر الشرعات مزية تناسب عمومها ودوامها، وذلك كونها رحمة للعالمين (2).

إلى أن قال: وتفصيل ذلك يظهر في مظهرين: الأول تخلق نفسه الزكية مخلق الرحمة، والثاني إحاطة الرحمة بتصاريف شريعته.

فأما المظهر الأول: فقد قال فيه أبو بكر محمد بن طاهر القبدي الإشبيلي أحد تلاميذ أبي علي الغساني، وعن أجاز لهم أبو الوليد الباقي من رجال القرن الخامس: "زَيَّن الله محمدًا ﷺ بزينة الرحمة؛ فكان كونه رحمة، وجميع شمائله رحمة وصفاته رحمة على الخلق» 1 - هـ.

ذكره عنه عياض في الشفاء، قلت: يعني أن محمدًا ﷺ فطر على خلق الرحمة

---

1 - جلاء الأفهام في فضلصلاة والسلام على خير الأنام لابن القيم ص 9.
3 - تفسير التحرير والترميم 14/7165-1651.
في جميع أحوال معاملته الأمة؛ لتكون مناسبة بين روحة الزكية وبين ما يلقى إليه من الوحي بشريعته التي هي رحمة حتى يكون تلقيًّا الشرعية عن انتشال نفس أن يجد ما يوجي به إليه ملائماً رغبته وخلقه، قالت عائشة: «كان خلقه
القرآن» (1).

وإذا خص الله محمدًا ﷺ في هذه السورة بوصف الرحمة، ولم يصف به غيره من الأنباء، وكذلك في القرآن كله، قال تعالى: «لقد جاءكم رسول من أنتُّسيكم عزيزٌ عليكم ما عنتكم حريصٌ عليكم بمؤمنين رؤوف رحيم» (الأنبياء: 148).

وقال تعالى: «فَبَيْنَ رَحْمَتِي مَنْ لَنَّ لَهُمْ» (آل عمران: 159) أي برحمة جبلك عليها، وفرشك بها، فكنت لهم لينة.

وفي حديث مسلم: أن رسول الله ﷺ لما شج وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه فقالوا: لو دعوت عليهم فقال: «إني لم أبعث لمانا، وإنما بعثت رحمة»، (2)

وأما الظاهرة التالية من مظاهر كونه رحمة للعالمين: فهو مظهر تصرف شريعته، أي ما فيها من مقومات الرحمة العامة للخلق كله؛ لأن قوله تعالى: 

«لِلْعَالِمِينَ» متعلق بقوله «رحمة»، (3).

وقال ﷺ مبناً لخصيص الشريعة الإسلامية بوصف الرحمة الكاملة: لا جرم أن الله تعالى خص الشريعة الإسلامية بوصف الرحمة الكاملة، وقد أشار

__________________________
1 - مسلم (746).
2 - مسلم (470).
3 - تفسير التحرير والتشويب 167/6-168/7.
إلى ذلك قوله تعالى: فيما حكاه خطابًا منه لوسيًا على السلام: «ورحمتي وسعت كله شيء فسأتبها للذين يتوبون ويتوبون للزكاة وذلؤين هم بآياتنا يؤمنون» (156) الذين يتبعون الرسول النبوي الأمين الآية (الأعراف).
ففي قوله تعالى: «وسعت كله شيء» إشارة إلى أن المراد رحمة هي عامة؛ فامتازت شريعة الإسلام بأن الرحمة ملزمة للناس بها في سائر أحوالهم، وأنها حاصلة بها جميع الناس لا لأمة خاصة.
وحكمة تميز شريعة الإسلام بهذه المزية أن أحوال النفس البشرية مضت عليها عصور وأطوار تهيئة بتطوراتها لأن تساس بالرحمة، وأن تتفعل عنها المشقة إلا بمقدار ضروري لا تقام المصالح بدونها؛ فما في الشرع السالفة من اختلاط الرحمة بالشدة، وما في شريعة الإسلام من محبس الرحمة - لم يجر في زمن من الأزمان إلا على مقتضى الحكمة.
ولكن الله أسعد هذه الشريعة، والذي جاء بها، والأمة المتبعه لها - بمصادفتها للزمن والطور الذي اقتضت حكمة الله في سياسة البشر أن يكون التشريع لهم تشريع رحمة إلى انقضاء العالم.
فتأتيت شريعة الإسلام على دعائم الرحمة والرفق والليسر، قال تعالى: «وما جعل عليكم في الدين من حرص» (الحج:78).
وقال تعالى: «يريد الله يكم الليسر ولا يريده يكم العسر» (البقرة:185).
وقال النبي ﷺ: «بعث بالخليفية السمحه» (1)

١ - مسند الإمام أحمد (22345).
وما يتخبَّل من شدة في نحو القصاص والحدود فإما هو مراعاة تعاضِد الرحمة والمشقة كما أشار إليه قوله تعالى: {وَلَكِمْ فِي الْقِصَاصِ حِيَانَةٌ} (البقرة: 174).
فالقصاص والحدود شدة على الجنة، ورحمة بقية الناس.
وأما رحمة الإسلام بالأمم غير المسلمين فإما تعني به رحمة بالأمم الداخلة تحت سلطانه، وهم أهل الذمة.
ورحمة بهم عدم إكراههم على ممارسة أديانهم، وإجراء العدال بينهم في الأحكام حيث لم لهم للمسلمين، وعلىهم ما عليهم في الحقوق العامة.
وإن أريد بـ«العالمين» في قوله تعالى: {إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} النوع من أنواع المخلوقات ذات الحياة فإن الشريعة تتعلق بأحوال الحيوان في مناعة الإنسان إياها، وانتفاعه به؛ إذ هو مخلوق لاجل الإنسان قال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لكم ما في الأرض جميعاً} (البقرة: 29).
وقال تعالى: {وَالَّذِينَ خَلَقْنَاهُمْ لْهُمْ فِيهَا دُفْعٌ وَمِنْتَافٌ وَمِنْهَا نَأْكُلُونَ} (5) {وَلَكِمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينْ تَرِيْحُونَ وَحِينَ تَسْرُحُونَ} (6) {وَتَحْيَلُ أَنَّكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ نَكُونَا بَالْيَتِينِ إِلَّا بِشَكْرِ الْأَنْفُسِ إِنْ رَيْخُكُمْ لِرَجُلٍ رَحْمَةٌ} (الحل).
وقد أذن الشريعة الإسلامية للناس في الانتفاع بما ينفعه من الحيوان، ولم تأتي في غير ذلك؛ ولذلك كرَّ صيد اللهو، وحرم تعذيب الحيوان لغير أكله، وعدده قضايَّا سباقي الخيل رخصة للجهاد في الغزو ونحوه.
ورغبت الشريعة في رحمة الحيوان؛ ففي حدث المطالب عن أبي هريرة مرفوعاً: «أَنَّ اللَّهُ غَفَرَ لِرَجُلٍ وَجَدَ كَلِياً يِلَهَتُ من العطش، فَنَزَلَ فِي بَرٍ فَمَلَ"
الفصل الأول: المبحث الأول: كون النبي ﷺ مغطىً على الرحمة، وشريعته مشتملة عليها

خذه ماءً، و أمسكه بفمه حتى رقي، فقم الكلب، فغفر الله له» (1).

أما المؤذى والمضر من الحيوان فقد أذن في قتله وطرده لترجيح رحمة الناس على رحمة البهائم، وفي تفاصيل الأحكام من هذا القبيل كثرة لا يعزف الفقه
تتبعها» (2).

هذا وسيتبنِّي شيء من تفاصيل الرحمة في المباحث التالية.

(1) أَمَا إِذَا إِذِّ النَّاطِر أَتَّفَقَ وَأيْسَ طَابِعَ، عَلَى رَحْمَةِ الْبِهَائِمَ، وَفِي تَفَاصِيلِ الْأَحَكاَمِ مِن هذَا الْقِبْلِ كَثْرَةِ لَّا يَعْزُفُ الْفَقِيْهِ، وَتَبِعُهَا (2).

1- الموطأ (1455) ورواء البخاري (330) ومسلم (1553).
المبحث الثاني: رحمة النبي ﷺ بالبشر عموماً

مرّ في البحث الماضي حدثٍ عن كون النبي ﷺ مفترطاً على الرحمة، وأن الله
- عز وجل - بعثه بدين الرحمة.
والحديث هنا بيان لرحمة النبي ﷺ بالبشر على وجه العموم.
قال الله ﻷ عز وجل: «لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم غريبٌ عليه ما عناكم ٗ حِرْيَض عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِين رَؤُوف رَحِيم» (138) (النسبة).
قال القاضي عياض: "قال بعضهم: من فضله ـ عليه الصلاة والسلامـ أن الله تعالى أعطاه اسمين من أسمائه، فقال: بالمؤمنين رؤوف رحيم." (1)
وهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ رحمة للعالَمين عموماً، كما قال عز وجل: "وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِين" (117) (الأنباء).
وتجلّى في رسالَة النبي ﷺ كل معاني الرحمة؛ فقد رفع الله عن أمته الأصار
والإغلال التي كانت على الأمم السابقة، فيسر لها الدين، ورفع عنها الحرج.
وقد امتلأت نفسه بالرحمة؛ فكانت تفضى بالشفقة، والرقة، وكان يوصي
بها أصحابه، ويثبت عليها أمته؛ فكانوا أرحم الناس بالناس، وأحرص الناس
على هدِيَة الناس." (2)
فالرحمة جانبٌ عظيمٌ من جوانب شخصية النبي ﷺ و بصورةٌ لنفسه الكريم.

---
1 ـ الشفا ١٥٩/١.
2 ـ انظر السيرة النبوية الصحيحة ٢٣٦/٦.
فالمحرم إمامه، والرحمة محطبة به سواء كان ذلك في حال يسره أو عسره، أو كان مع موافقيه أو مخالفيه، وهو الذي يقول: "من لا يرحم لا يرحم". 

ويقول: "من لا يرحم الناس لا يرحمه الله". 

ويقول: "الراحمون يرحمهم الرحمن؛ ارحموا من في الأرض يرحمكم من السماء".

وإذا تبعت سيرته عليه السلام، وجدت أنه يعامل الناس بمقتضى تلك الرحمة، ويتضح ذلك من خلال النظر في طوائف الناس أمامه عليه الصلاة والسلام.

فطواقمهم لا تخرج عن أربع، وذلك كما يلي:

1- طائفة المهديين المؤمنين: فهؤلاء يلاقينهم في بشر وطلاقة محبةً، ويجالسونهم في تواضع، وبحل لهم من الرحمة ما هو أرق من النسيم، وأجود من الغيث العام.

أما البشاشة وطلاقة الدنيا فقد جاء في الصحيح عن جرير بن عبد الله الباجي أنه قال: "ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رأيت إلا تبسم". 

1- أخرجه البخاري (5997) ومسلم (3319).
2- أخرجه البخاري (6013) ومسلم (3319).
3- أخرجه أحمد (160 و 161) وأبو داود (4941) والترمذي (1934).
4- أي ما معني من الدخول إليه إذا كان في بيت ما استأذن عليه.
5- أخرجه البخاري (2871) ومسلم (5739) ومسلم (2475).
فالذين يلقون ذوي النفوس الطاهرة في كُلّه وانتباض بعلة المحافظة على الوقار - لم يهتدوا إلى السيرة الخميدة سبيلاً.

وأما التواضع فقد قال أنس بن مالك : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلّقاً وإن كان ليخالطا حتى يقول لأخ لي صغير يقال له: أبو عمير: «يا أبا عمير ما فعل التغير» (1).

فالذين يخرجون للناس في وجوه عليها غلبة الكبرياء إما يلقون قلوبًا نافرةً، ولقد كان لهم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة لو شاءوا أن يكونوا أجيالًا مختريمين. (2)


وحدثنا عن هذه الرحمة مالك بن الحويث إذ قال: أتينا رسول الله ﷺ ونحن شبيهًا (3) مقاربون فأممنا عندنا عشرين ليلة، فظنننا اشتقتنا أهلاً، وسألنا عن تركنا ورنا من أهلا فأخبرناه، وكان رقيقًا رحيمًا، فقال: «ارجعوا إلى أهلكم، فعلمهم، ومَروهم، وصلوا كما رأيتموني أصلي». (4)

1 ـ التغير: طائر كان يلعب به.
2 ـ أخرجه البخاري (١٢٢٤ و١٤٣٣) ومسلم (٣١٥٠).
3 ـ انظر محمد رسول الله ﷺ وحاتم النبيين ص ١٠٠.
4 ـ جمع شاب.
5 ـ أخرجه البخاري (١٤٥٣ و١٦١١) ومسلم (٢٧٤).
4- طائفة المنافقين: وهؤلاء كان على الصلاة والسلام يعاملهم بما يشبه معاملة المهتدين من الرحمة، والرفق، والإنسان، ومقابلة الإساءة بالعنو أو الإحسان؛ فكان يعاملهم على ظواهرهم دوما بحث عما تُكَتِّبه سراً لهم، وتنموي عليه دخائل نفوسهم.

ويشهد لذلك حوادث كثيرة، ومن أجملها مواقف العظيمة مع رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول الذي آدى النبي ﷺً آمًا أدبًا؛ حيث آذاه في بئته كما في قصة الإفك فهو الذي تولى كبره، وأشاع قالة السوء عن عائشة -رضي الله عنها.

وهو الذي رجع مبن تباعه من الطريق يوم أحد، فخُذل النبي ﷺ في أحر أوقاته، وهو الذي قال -كما أخبر الله عز وجل عنه-: "لَيْبِرْجَنَّ النَّعْمَاءَ مِنْهَا الأَذْكُلَ" (المنافقون:8).

وهو صاحب المواقف المشهورة بالحزى والشنار.

هذا الرجل الذي كان من شأنه ما كان لما مات طلب ابنه من النبي ﷺ قميصه؟ لبكته فيه؟ تطهيرا له؟ فأعطاه قميصه كفنا لزعيته المنافقين؟ أرأيت أكرم من هذا الصنعي؟ وهل وقف الأمر عند هذا الحد؟

لا، بل مشى على الصلاة والسلام، إلى قبره، فوقف يريد الصلاة عليه، فوثب إليه عمر بن الخطاب ﭼ وقال: أتصلي على ابن أبي وقَد قال يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ يعدد عليه قوله، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: "أَخْرِ عَنِي يا عَمْرَ".
فلما أكثر عليه قال: «إنني خبرت فاخرتي؛ لو أعلم أنني إن زدت على السبعين
يغفر له لزدت عليها». وذلک إشارة إلى قوله تعالى: في المناققین: «لا استغفر لهم ألا تستغفر لهم».
(النبوة: 80).
ففي الخيار بين أن يستغفر أو لا يستغفر نزعت به طبيعته الرحيمة إلى الاستغفار لأعدائه.
قال عمر بن الخطاب في نهاية الحديث: «فصبلى عليه رسول الله ثم انصرف؛ فلم يكتب إلا يسراً حتى نزلت الآيتان من براءة: ولا تصل على أحد منهم مات بدلاً ولا تقم على قبره. إنهم كفرن باله ورسوله ومانوا وهم فاسقون».
(النبوة).
قال: فعجفت بعده من جرأيت على رسول الله يومئذٍ، والله ورسوله أعلم.«)
(1)
فهذه مواقفه مع زعم المناققین; فما ذاك ينون دونه؟
3- طالب🕒 المحافظين السالمين: فهؤلاء يحرص على هدايتهم، ويلقاهم بالأدب الجميل، ويضط إنهم، ولا يهضم لأحد منهم حقاً، ويأخذ فيهم بأدب قوله تعالى: «لا ينهكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخربكم من دياركم أن تبروهم وتقطروا إليهم إن الله يحب المقصطين».
(المفتحة: 8).
والامثلة على ذلك كثيرة جداً، ومنها ما جاء في صحيح البخاري عن
1 - انظر صحيح البخاري (1366).
أنس قال: "كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعده، فقعد عند رأسه، فقال له: "أسلم".

فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطم أبا القاسم، فاستلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: "الحمد لله الذي ألقى من النار".

ثم إن حسن معاملته ـ علية الصلاة و السلام ـ للمخالفين الذين دخلوا معه في عهده، أو رضوا بأن يعيشوا تحت راية الإسلام ـ من أوضح الشواهد على سماحة الدين الحنيف وبنائه على رعاية قاعدتي الحرية وتوطيد السلام؛ فراية الإسلام صالحة لأن تحقق على رؤوس أمم مختلفة في عقائدها، متفاوتة على مرايا حياتها.

وقد جرى أمراء الإسلام العادلون على هذه السيرة في معاملة أهل الذمة.

فكانوا ينصبون لئابهم بالعدل، ويخصون أهل الذمة في نصيحتهم بالذكر.

وأحسن مثل على هذا كتاب عمر بن الخطاب ﷺ إلى عمرو بن العاص ﷺ وهو يمثّل الوالي على مصر.

وما جاء في هذا الكتاب: "وإن معك أهل ذمة وعد، وقد وصى رسول الله ﷺ بهم". (1)

ومنه: "وقد قال ﷺ: "من ظلم معاهاذا أو كلمه فوق طاقته فانا خصمه يوم القيامة". (2)

__________________________
1 ـ البخاري (1356).
2 ـ كنال العمال، الهندي (1420).
3 ـ أخرجه أبو داود في سننه (304) بلقظ: ألا من ظلم معاهاذا أو انفصاها أو كلمه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً غير طلب نفس ـ فانا حجيجه يوم القيامة".
فحذروا إلى مكانة العهد في نظر الإسلام، وزنها بمعاهدات بأخذ فيها بعض الأقوياء على أنفسهم احترام حقوق شعب إسلامي حتى إذا أمسكوا بناصيته لم يستحيوا أن يعبوا بالأرواح، وتجول أيديهم في الأموال، وعملوا جهدهم على أن يقلبوهم إلى جهود بعد إيمان، ويتضورون بعد هذا كله على من يسيهم أعداء الإنسانية، وقاصي روح الحرية.

لقد أدرك الفقهاء رعائة شارع الإسلام لأهل الامة، وحرصه على احترام حقوقهم؛ فاستتبوا من أصوله أحكاماً جعلوا المسلم وغير المسلم فيها على سواء.

ومن هذه الأحكام أنهم أجازوا للمسلم أن يوصي أو يقف شيئاً من ماله لغير المسلمين من أهل الامة، وتكون هذه الوصية أو الوقف أمرًا نافذاً.

وأما قال ﷺ: "لا يع ببعضكم على بيع بعض، ولا يعن ببعض على خطة بعض"، قالوا: البيع على بيع غير المسلم الداخل في دم الإسلام كالبيع على بيع المسلم.

---
1 - اتفرز القرآن (١٤٣٦) وسحن أبي داود (٢٠٥٤).
2 - أخرجه الطبراني في الكبير (١٣٥).
3 - أخرجه مسلم (١٤١٣).
والفصل الأول: المبحث الثاني: رحلة النبي ﷺ بالبشر عموماً

والفصل الأول: المبحث الثاني: رحلة النبي ﷺ بالبشر عموماً

والفصل الأول: المبحث الثاني: رحلة النبي ﷺ بالبشر عموماً

والفصل الأول: المبحث الثاني: رحلة النبي ﷺ بالبشر عموماً

والفصل الأول: المبحث الثاني: رحلة النبي ﷺ بالبشر عموماً

والفصل الأول: المبحث الثاني: رحلة النبي ﷺ بالبشر عموماً

والفصل الأول: المبحث الثاني: رحلة النبي ﷺ بالبشر عموماً

والفصل الأول: المبحث الثاني: رحلة النبي ﷺ بالبشر عموماً

والفصل الأول: المبحث الثاني: رحلة النبي ﷺ بالبشر عموماً

والفصل الأول: المبحث الثاني: رحلة النبي ﷺ بالبشر عموماً

والفصل الأول: المبحث الثاني: رحلة النبي ﷺ بالبشر عموماً

والفصل الأول: المبحث الثاني: رحلة النبي ﷺ بالبشر عموماً

والفصل الأول: المبحث الثاني: رحلة النبي ﷺ بالبشر عموماً

والفصل الأول: المبحث الثاني: رحلة النبي ﷺ بالبشر عموماً

والفصل الأول: المبحث الثاني: رحلة النبي ﷺ بالبشر عموماً

والفصل الأول: المبحث الثاني: رحلة النبي ﷺ بالبشر عموماً

والفصل الأول: المبحث الثاني: رحلة النبي ﷺ بالبشر عموماً
فإذا أذن صلوات الله عليه بقتل كعب بن الأشرف فإن كعباً هذا كان شاعراً، وكان يهجو رسول الله، ويعرض عليه كفر قريش، ويفعل بعد هذا شيئاً وهو أشد
على قلوب العرب من وقع السهام النافذة، وهو أنه كان يشب بنساء المسلمين.
وقد احتمل منه النبي -عليه الصلاة والسلام- هذا الأذى حيناً، ولما أبى كعب أن ينزع عن إثارة هذه الفتى أذن لأحد الأنصار في قتله؛ ليمitize عن سبيل الدعوة
إلى الله حية تسعى، ويدفع عن أعراض المسلمين شعرًا مقعدًا.
ومن ذا يجهل أن محمدًا قد أفاض على العالم حكمة وهداية وإصلاحًا، وما الحسام الذي يأمر بانضائه إلا كمضع طبيب ناصح يشرط به جسم العليل؟
لتنزف دمه الفاسد حرضاً على صحته وسلامته.
ومن تقسي السيرة النبوية وجد فيها ما يصدق قول عائشة -رضي الله عنها-:
ما انقطم رسول الله لنفسه إلا أن تنتهك حرمات الله، فينتم قوم الله. (1)
فمحمد -عليه الصلاة والسلام- لم يقاتل الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون حرصًا على حيته، وإنما كان يقاتلهم حرصًا على حياة الفضيلة، وظهور الحق، وضبط أئتر البتيدة، وإقامة نظام الدينية المهذبة، ولكن الناشئين
على الله وإتباع الشهوات لا يفقوهون. (2)
فما الذي كان يريده المفترون على محمد أن يجعل بعد ما ألح عليه العدوان

---
1. أخرج الأخراشي في مستدركه (2423) وأحمد في مسندته (2062).
2. انظر حديث الأنوار 44/3/5 و 44/3/5 و 5/3/509، و محمد رسول الله وخطام النبيين ص 101، و محمد رسول
الله محمد رضا ص 330.
هكذا، حتى كاد يأتي عليه.

إن الدنيا لتعرف كيف تكتل الكفار ضده في شعب أبي طالب ذلك الخصار الإقتصادي والسياسي والاجتماعي المشهور الذي أنزل بمحمد وصحبه وبعض قرايته من الضر ما أذاهم حتى أكل بعضهم يوماً من الجوع أوراق الشجر.

ولولا أن الله عطف عليه قلوب بعض الكرام لبلغ الكفار مرادهم، مما أكره الرسول على الإذن لتصبح بالبهجة الكبرى إلى المدينة.

ثم أدركهم بعدها صبيحة الليلة التي جمع الكفار فيها من كل قبيلة فتي، وقرروا أن ينهوا حياته بالسيف؛ حتى يضبع في القبائل دمه، وما تقوم على حربهم قريش.

فأي صبر كانوا ينتظرون من الرسول فوق هذا الصبر؟ وكيف تكون الموادة بعد هذا سبيل التفاهم من أناس رفعوا عليه السيف، ولم يحميه أحد غير رعاية الله له!؟

إذا صبر محمد على قومه حتى هذا المدى لبو آية الآيات على عظمة التسامح والمصالحة عند محمد، وإرخاء العينان تقوم لم يكونوا يستحقون سوى الكبرياء والخطبة.

لقد سألّ محمد المشركين، وأجاز حُدود الصبر، فما أبدته المسألة، ولا أفاد الصبر، وأصبح الاستمرار عليهما بما لا يفق ومنظل الحياة، وما لا يفق كذلك ومنطق النبي الذي جاء قوياً كفرسان العرب، عظيماً في حسبه ونسبه وفضائله، والذي جاء قبل هذا ليكون رسول حياة يخطب أهلها بما يفهمون.
إن لقيه الناس بالإحسان فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ وإن كانت الأخرى فذين محمد فيه تزيك السمووم، وقرع الحديق بالفولاذ.

ومن عجب أن ما تخذه محمد صلوات الله عليه سلكا للنفسه، وطريقة حماية دعوته منذ القرون الطوال هو نفسه الطريق الذي آثرته البشرية دون غيره لضمان البقاء.

ولو خضع الناس، وأداروا خدودهم اليسرى لم يصبحهم على اليمنى لما قام على وجه الدنيا أحد في وجه ظالم، ولعاش الطغاة أعمارهم محفوظين بالإجلاء والإعظام.

ولو قال أصحاب محمد مقالة أصحاب موسى: "أذهب أن تزويك قاتلاً إن ها ها هنا قاعدون" (المائدة: 42) لما قدر للحياة أن تفيد من أسرار هذا الدين العظيم الذي لا يوجد له مشكلات عالم اليوم من حلول أفضل مما فرضها لها دين محمد.

وإذا جنح ـعليه الصلاة والسلامـ إلى خيار الحرب؛ فهل يعني ذلك أن يتجد من الرحمة، ويكون هدفه الأول والأخير مرازة الدماء دون مراعاة لعهد أو حرمة؟ لا، إن الحرب في شرعة رسول الله ﷺ لها آداب، وأحكام معفوفة بالرفق، والرحمة.

فمن الرفق الذي أقام عليه الإسلام سياسته الحربية أنه من تبضع

---

1 انظر مقال النبي الملحمه للاستاذ عبد الصبور مروزوق في كتاب محمد رسول الله لأحمد تيمور باشا ص 185-1861.
بالذّى لِمَ لَمْ يُنصُبُوا أنفسهم للقتال كالرهبان، والفلاحين، والنساء، والأطفال، والشيخ الهرم، والأجبر، والمتهور، والأعمى، والرُّمَّان.

ومن الفقهاء من لا يَجِزَ قَتَل الأعمى، والرُّمَّان وَلَوْ كانا ذوي رأى في الحرب.

وتدير.

وَلَا يَجِزُ قَتَلُ النَّسَاءِ إِنَّ اسْتَعْمَلَنَّ خَرَاسَةَ الْحُصُنَ أو رَمَينَ بِنِحُو الْحَجَرَةُ.

وَدَلِيلُ هَذَا قُوَّالِيْهِ: "كَأْنَاُّتُوْلاً فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقَامُاُتُوْلُهُمْ" وَلَا عُتُّدُوا.

(البَقْرَةُ: 190) فَجَعَلَ القَتَالُ فِي مَقَابِلَةِ الْقَتَالِ.

وَنَبِيَّ الْبَنِىْ لَمْ يَقِلُ لَهُمْ يَقِلُ لَهُمْ، حِينَ وَجَدَ امْرَأً فِي بَعْضِ الْغَزْوَاتِ قَتِّيْلَةً، فَأَنْكرَ ذَلَّلُ، وَقَالَ: "مَا كَانَتْ هذِهِ لَحَالَتِهِ!

وَإِذَا وَضُعَ المُحَارِبُونَ الْأَطْفَالَ وَالنُسَاءَ أَمْثَلَهُمْ، وَجِبَ الكَفَّ عَنْ قَتَالِهِمْ، إِلَّا أَنْ يَتَخَذُونَ ذِيْعَةً لِلْنَصَرِ عَلَيْنَا، وَعَشَرُ أَنْ تَكُونَ دُائِرَةُ السُّوءِ عَلَيْ جَنَّاتِنا.

وَلَا يَجِزُ الإِسْلَامُ التَّمِيْلَ بِالْمُحَارِبِ، قَالَ: "وَلَا تَقْتَلُوا وَلَا تَقَطْلُوا وَلِيْدَاً."

وَخَرَجَ أَبُو دَادُ وَابِنَ مَاجِهَ مِنْ حَدِيثِ اِبْنِ مَسْعُودِ عِنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "أَعَفُّ النَّاسُ قِتَالَةً أَهْلُ الإِيْمَانِ."

وَيِنْعُ مِنْ حَمْلِ الرِّؤْوسِ مِنْ بَلْدٍ إِلَى بَلْدٍ، أو حَمْلَهَا إِلَى الْوَلَاةِ، وَقَدْ أَنْكِرَ

١ - أَخْرِجَهُ أَبُو دَادُ فِي سَنْهُ (٣٦٦٩) وَابْنِ حِيْانَ فِي صَحِيحِهِ (٤٩١).

٣ - رَوَاهُ مُسْلِمُ (١٧٣١).

٣ - أَبُو دَادُ (٣٦٦٦) وَابْنِ مَاجِهَ (٤٦٨١).
أبو بكر الصديق رضي الله عنه: هذا؛ فقد روى البيهقي عن عقبة بن عامر الجهني أن عمرو بن العاص، وشرحجل بن حسنة بعثا عقبة بريدة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه بطرق الشام؛ فلما قدم على أبي بكر أنكر ذلك، فقال له عقبة: يا خليفة رسول الله فإنهما يصنعون ذلك بما.

قال أبو بكر: تأسسًا أو استنادًا بفارس والروم؟

لا يحمل إلي برأس، وإنما يكون بالكتاب والخبر،

وآخر أحمد وأبو داود من حدث عمر بن حصين وسمرة بن جندب أن النبي ﷺ كان ينهى عن المثلة. (1)

والملة: تعذيب المقتول بقطع أعضائه، وتشويه خلقه قبل أن يقتل أو بعده،

وذلك كان يجدع أنه، أو تصلم أذنه، أو تفقا عينه، وما أشبه ذلك من أعضائه. (2)

ولم يشرع الإسلام للأسرى حكماً واحداً، بل جعل أمره موكولاً إلى الأمير الذي يقدر مصلحة الحرب، وله أن يخلي سبيله بفداء، أو يغير فداء.

ومن أدب الحرب في الإسلام الوفاء بتأمين المحارب، فإذا أعطى أحد الجند الأمان لأحد المحاربين - وجب احترام هذا التامين، ولا يجوز لأحد أن يتعرض لذلك المحارب بأذى.

وإلى هذا يشير قوله: «ويا بيغبهم أئذناهم». (3)

وقد أمضى النبي ﷺ تأمين أم هانئ بنت أبي طالب لرجل من المشركين، وقال

1 - سنن البيهقي 1329/9، قال في تلخيص الجدير 2/88: «إسناده صحيح».
2 - المسند 439/4، و440، وأبو داود (2667).
3 - انظر جامع العلم والحكم لأبي داود (2623) وأخريجه أبو داود في سنة (453).
4 - أخريجه الحكم في مستدركه (462) وأخريجه أبو داود في سنة (450).
لها: "قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ" (1).

وحدث في عهد عمر بن الخطاب أن عبداً أمياً أهل بلد بالعراق، فكتب قائد الجيش وهو أبو عبيدة إلى عمر يأخذ رأيه في هذا التأمين، فكتب إليه عمر: "إن الله عظّم الوفاء، فلا تكونون أوفياء حتى تواكدوا; فوفوا لهم، والصرفا عنهم". (2)

ومن آداب الحرب في الإسلام، وما يُرجى معنى الرفق والرحمة محملة رسول الله، وترك التعرض لهم بأذى ؛ فقد يأتي رسول العدو في شأن الصلح أو غيره لما فيه خفيف شر الحرب، فمن حسن الرأي أن لا يُتعرّض للرسول بأذى، وأن يكونوا في أمين حتى يعودوا إلى قومهم؛ فإن التعرض لهم بأذى يقطع صلة الرسالة بين الفريقين، ويسد طريق المفاوضات التي يُتوسّل بها إلى عدم الدخول في الحرب، أو إنهائها إذا كانت ناشئة.

ومكارم الأخلاق تأتي أن يُتعرّض لرسول بأذى ولو أرسله قومه لإبلاغ ما عزموا عليه من محاربتيهما، أو صدر منه كلام في تعظيم أمر قومه بقصد الفخر أو الإرهاب.

وقد جرى نظام الإسلام في الحرب على هذا الأدب المقبول (3)

قدم أبو رافع يكتب من قريش إلى رسول الله ﷺ: "فلما رأى رسول الله ﷺ في قلبه الإسلام، فقال: يا رسول الله: إني سأواته لا أرجع إليهم أبداً، فقال رسول الله ﷺ:" (4).

---
1 - أخرجه البخاري (350 و3000 و5806 و639) ومسلم (336).
2 - تاريخ الطبري 3:188/3.
3 - نظر رسائل الإصلاح 1118-1117، وأداب الحرب في الإسلام للمشيم محمد المدير حسين ص.45.
قال: فرجع، ثم أقبلت إلى رسول الله ﷺ، وأسلمت.

هذه نبذة من خلق الرحمة التي كانت تحمل النبي ﷺ في حروبه، تلك الرحمة التي غَرَّت نظر الناس من بعد للحرب؛ إذ نظرتهم تعني أن مبدأ الشفقة مناقض للحرب التي تعني الكُلْحَ، والعبوس، والغشوة بكل حال.

وخصوصاً ما نراه اليوم من حروب هذا العصر التي تأكل الأخضر واليابس، وتصسب بالوحشية، ولا تعرف الرحمة لا في أثناها ولا بعد نهايتها.

غير أن الناظر في تاريخنا المجيد، وسيرة نبينا الأعظم يجد هذا المعنى لائحاً واضحاً -كما مر- ويراه كذلك. بعد نصره ﷺ، وتمكنه من الأعداء الذين ناصبوه العداوة، ولم يدعوا طريقة في سبيل إياذاته إلا وسلكوه.

وإذا أردت مثلاً يثبت فؤادك فانظر إلى ما كان منه -عليه الصلاة وسلام- يوم فتح مكة الذي حصل بعد صراع مرهق، وبعد أن فعلت قريش بالنبي ﷺ وأصحابه ما فعلوا.

فجعنا انصر عليهم، وأحاض بهم إحاطة السوّار بالعصم، وظنت قريش الطنون؛ لعلمهم بسوء صنيعهم السابق، وحسبوا أنه سيدخل مكة دخول الجابرة والطغاة مرهماً منتقماً -فاجأهم بأن جاء متواضعاً متخشعاً لربه، غير مرهوماً بنصره، ولا شامت بأعدائه.

---

1 - أخرجه الحاكم في مستدركه (٤٥٣) أبو داود في سنن (٧٥٨) وأحمد في مسند (٣٣٩٠٨).
ولقد كان لتحلي المسلمين بأدب الحرب من الرحمة والسماحة أثر بالغ في نفس كثير من أعدائهم؛ حيث أعجبوا بدين الإسلام، ونبيه، ورحمة أهله، وحسن معاملتهم.

بل لقد وجدوا عدلًا ورحمة لم يجدوها عند بني ملتهم، مما حدد بكثير منهم إلى الدخول في الإسلام، والحوادث في هذا السياق لا تكاد تقصى.(1)

---

1. - انظر سنن البخاري الكبير 118/9، وفتح الباري لابن حجر 18/8.
2. - وما مضى من أحكام الحرب وآدابها إنما هو نزل بسير مجمل، أما تفاصيل ذلك، واستثناءاته وأحكامه فهي مبوبة في التفسير، وكتب الفقه، وشرح الحديث، والكتب التي أدرفت في الحرب، والجهاد وما إلى ذلك.
3. - انظر المبسوط للمرحشي 4/10، وشرح فتح القدر لابن الجهمي 90/4، والغزني لابن قادمة 326/9، وروى الطالبي للنووي 10/15، وآداب الحرب للشيخ محمد الخضر حسين، وقواعد الحرب في الشريعة الإسلامية للشيخ عوام الوذكاري، ومن الأمثلة على ذلك أن كثيرًا من زعماء الصليبيين، وكثيرًا من عامتهم الذين قطعوا الأرض لقطع رقاب المسلمين - ارتدوا في أحياذ الدعوة الإسلامية التي غامرها كل مغامراتهم للقضاء عليها، منذ أول تعارف؛ ذلك هو أعجوب أثار التسامح!
فقد أسلم في الحرب الصليبية الأولى من أسلم (رينود) أمير طوارئ الجرمن والمبارزين، وأسلم معه خلق كثير منهم.
وأسلم في الحرب الصليبية الثانية خلق كثير، كما يروي السير توماس عن راهب من رهبان سنن، دينسكان في مسجد الحصصي للملك لويس السابع، ووافقه في هذه الغزوة طائفة كبيرة، وإليكم ما يقوله الراهب في عبارة شاقة: 
وفي طريق الصليبيين إلى المقدس، عبر جبال الأناضول النفوذ عبيش المسلمين، فهزم الصليبيون شر هزيمة.
وكان في المعركة الجبلية (فرجيا) وذلك سنة 1148م، ولم يصلوا إلى مرسي (أطاليا) إلا بضعة الأسس، ومنها استطاع القادرون بعد تلبية طلبات التجار اليونانيين الباهظة أن يرحلوا إلى أطلسية بجا، وقد دفعوا مبالغ طائلة، وتركوا خلفهم الجريح، والمرضى، والمحتجز، فدفع كذلك لويس خمسة مارك لليونانيين على أن يدفعوا ببولاء الضغفاء حتى يشفوا، وعلى أن يراقهم حرس اليونان حتى يحلوا ببن بيلهم، فما كان من اليونان الغادرين إلا أن يرسلوا حتى تباعد جيش الصليبيين، واتصلوا بالصليبيين الأراك، وأخبروه بما عليه الحجاج والجريسي، ممن خذلوا من الونه والعجز، ثم قعدوا بنظور إلى إخوانهم في الدين ينال منهم الوضوء، والمرض، وسلم المسلمين.
ولما ضاقت الصليبيون المختلوفن ذرعاً ما أصابهم خرج ثلاثة آلاف أو أربعة من قلعتهم محاربين النجاة بأنفسهم، فخسرهم المسلمون، وشدو عليهم، ثم حملوا على المعسكرات الصليبية، وكان حال من خرج ومن في المعسكر ليس فيه أقل رجاء، ولم يقذروا إلا ما تزل في قلوب المسلمين من الرحمة، حين أطلعوا على ما فيه عدلهم من أساء، وما أصبهم من ضوء قلوبهم، وذات فوؤدهم: رحمة لأعدائهم الصليبيين المساكن، فواسوا المريض، وأحسروا للقيصر، واطعموا المسكيين بسهام وكرم، وبلغ من إحسانهم أن بعضهم استرد بالشراء أو الجيلة أو القهر الفرضة الفرنساوية التي أخذوها.
اليونان من الحجاج، ورذلهم عليهم، ووزعها على المحاربين من الصليبيين.
وقد كان الفرق واضحًا بين معاملة هؤلاء الكفار —يقصد المسلمين— للحجاج المسيحيين، ومعاملة اليونان الذين سحقوا إخوانهم في الدين، ونهبهم أمواتهم وضربهم.
كان الفرق عظيمًا لدرجة حملت الصليبيين على اعتناق دين الأعداء المقدرين، ومن غير أن يكرهوا أو يظهروا.
وقد قُرِّوا من إخوانهم في الدين الذين أساؤوا إليهم، فلَحق ثلاثة آلاف من الجيوش الإسلامي بعد أن
رجع عليهم ودخلوا في دينه.
قد كانت الرحمة أشد قسوة من الحياة! لقد أغضب المسلمين أخيرًا وسبعبهم الإمام، واحسنتهم! لقد ارتدُّوا عن المسجح من غير أن يُجرَّوا أحدًا منهم على ترك دينه.
ذلك ما يقوله الرأياء!
وقد بلغ تأثير الإعجاب بشجاعة صلاح الدين وفضائله في الصالحين، أن كثيرًا من أمرائهم
وعامَّهم العجّين به ذهب بهم هذا الإعجاب إلى ترك ذهنهم، وأهلهم ودخولهم في الإسلام.
مثل ذلك ما فعل الزعيم الإنجليزي (روبرت ستنت أليام) وكان ذلك قبل انصار صلاح الدين في
معركة حطين الفاضلة التي وقع فيها ملك القدس (جابي) أسيراً.
ويقول بعض مؤرخي التصاريح: إن ستة من أمراء هذا الملك استسلموا على يديهم المَهَرَة،
فأسلموها، واتضموا إلى صفوف الأعداء دون أن يظهروا من أحد على ذلك.
وقد وصل الأمر (ريمون الثالث) أمير طرابلس الشام أن اتفق مع صلاح الدين على أن يدعو قومه
إلى الإسلام.
وحتى بعد صلاح الدين، لما قام الصليبيون بحربهم الثلاثة اتفقنا، لمسقوط بيت المقدس، و hashوا
عكة، وأصابتهم الباساء، وعثّهم الجوع، فرُكْت كثيرًا إلى صفوف المسلمين؛ فإنهم من أمّن، ومنهم من
رجع إلى قومه، وهم من استمر على نصرانيته، واختير القتال وأن يقاتل في صفوف المسلمين.
وفي هذا المعني يقول السير (جون ما تيفيل) أحد المعاصرين للصليبيين: «كان بعض المسجدين
يرتدُون عن ذهنهم، ويعيشون غريًا، أو يغزوهم، أو يشققوهم».
ولا يُنتظر بالطبع من صليبي كارسير جون أن يفطر ما يسمى المسلمون بالبداية إلا بالِغَباوة
والشفاوة.
والذي يعني من الأمر أن الفقراء والأغبياء والضالين الذين ذكَرهم السير ما تُدْفِق دخلوا في الإسلام
الذي جاورُوه مخترعين، واحتَتبوا إليه بالدعوة والإرشاد لا القهر والاضطهاد، بل إن بعض المؤرخين
الصليبيين المعاصرين للمؤذن الإسلامي واسترداد بيت المقدس، وبعد ذلك بكثير بعد انتهاء دُول الفرقة
في الشام كلها يشيرون إلى فرح النصارى بالتحرر من حكم الصليبيين.
وإن تعجب بعد هذا كله فاعجب من صنع كثير من الظلمين البعدين كل البعد عن العدل، وحقائق التاريخ، من يصفون دين الإسلام ونبيه وأهله

ويقول السير توماس في هذا المعنى: «فقد سكنوا إلى الحكم الإسلامي وداعين مستبشرين، كما استمر الحكام المسلمون على عاداتهم القديمة من السامح، وسعه الصدر لأهل الملائ الأخرى».

يقول الأساتذة عبد الرحمن عزام في كتابه (بطل الاثنين): «إذا كانت ما ذكرنا هو بعض الشهادين على تنافر الدعوة المحمية بالحججة بين أشخاص خصومه المبدرين، وفي أخلع أيام الدولة الإسلامية أيام غارات الصليبيين والنصارى فإننا نراه إخراً من بقيادة خرسان يأذي كأي أيام الدولة الأموية العربية، فتخذه به هذا الفصل، يقول الطريق (يوباس الثالث) النقدي في خطاب طويل بعث به حفيز زميل: »أين أنتواك أيها الأدب! أين هذا الشعب العظيم شعب مهوَّر لم تصفهم جائحة، ولا سقطوا للسيف، ولا عقبوا بدار، وإنما أصابهم منغب الدنيا، فارتدوا عن دينهم، وقذفوا بفسهم كما يقذف الفاجئ في مهارى الهلاك والكفر، فلم ينج من هذا السروع إلا قيميانيان أثنا فرئاً بنفسهما من جميع الكفر يأتي الإسلام، واحترأ على الآلاف المؤلفة الذين حملوا اسم المسيحية وصفها، ولم يقع منهم شهدٌ واحد، ولا ضحي واحد منهم لديه!!

أين كذلك برجمان، وكنائس فارس؟

لم يكن قدو شيطان، ولا ملك، ولا أمير، ولا مرحلة، أو سلطان هو الذي قضى عليها.

لم يكن ساحراً مهوباً أو قلق عقله، وسطاً الشيطان على النفس، ولكنها ساحر حُز رأسه فقط، فخرج كنانس فارس كله على الأرض!

أما العباد الذين آنتما الله ملك الدنيا كما تعلم - فإنهم عندك كذلك، فلما طبعوا في ديننا، لا اعتدوا على بيئنا، بل بالعكس ضالوا مع ديننا، وفضلوا على غيور، وأركروا رحبانا وفشاوتنا، واجتمعوا أولياءنا، وأحسنوا لبدنا إلى مغائبنا، فلماذا إنا. هجر أهل مرو نصرانيتهم زُنفَ ليهؤلاء العرب، وهم يعلمون ويقولون: إن العرب ما طلوا منهم تغريب دينهم، بل أقرؤُهم عليه كاملاً، ولم يسألهم إلا ضرية بسيطة يُذْونوُها عن أنفسهم، ولكنهم أشردوا خلوذ أرواحهم في دين السريع يمتاع، قليلٌ ١٤.

نظر الرسالة الخالدة لعبد الرحمن عزام ص ٣٣٣-٣٣٥.
بالقسمة والمجمدة، والطرف والإرهاب إلى غير ذلك مما هو محض افتراة،
и وطاعة للصد عن دين الإسلام.

والمشهد المائل إلى تصور أن الإسلام دين الراحة، والرفق، والتسامح;
فأذا فعل المسلمون حين انصروا على خصومهم؟ هل تكيروا وتسلتو،
وإستندوا؟ وهل إنهوا الأعراض، وقتلو الشيوخ، والنساء، والأطفال؟
فأذا فعل النبي ﷺ عندما انصروا على خصومه الذين كانوا يؤدونه أشد
الأذى؟ ألم يكن يصفح عليهم؟ ويفهم عليهم بالسبيل والأموال؟
وماذا فعل المسلمون عندما انصروا على وكير وقيصر؟ هل خانوا وغدوا؟
هل عرضوا للناس؟ وهل أساؤوا للرهبان في الأديرة؟ وهل عاشوا في الأرض
فساداً؟ وهل هدموا المنازل، وقطعوا الأشجار؟
وماذا فعل صلاح الدين لما انصروا على الصليبيين الذين فعلوا بالمسلمين
الأفاعيل، ونكلوا بهم أيّما تمكنل؟ فاذا فعل بهم صلح الدين لما انصر
عليهم؟ ألم يصفح عن قاتلهم؟ ويعالجه؟ ويطلقي سراحه؟
وماذا كانت أحوال أهل النصر في بلد المسلمين عبر العصور المتطاولة إلى يومنا
هذا؟ ألم يكونوا ينعمون بالأمان، والعدل، والإحسان؟

ألم يجدوا من عدل المسلمين وإحسانهم ما لم يجدوه من بني جلدتهم؟
فهذه المواقف النبيلة وأمثالها كثير في تاريخ المسلمين، مما كان له أبلغ الأثر في
حبة الناس للإسلام، والدخول فيه عن قناعة وقين.

أفغير المسلمين يقوم بهذا؟ ألم ي끔د مثل هذه النماذج؟
الفصل الأول: البحث الثاني: رحمة النبي ﷺ بالبشر عضومًا

الجواب ما تراه، وسمعه؛ فمن أين خرج هتلر، وموسوليني، ولينين، وستالين، وحوغوو السرب؟ أليس أوربا هي التي أخرجت هؤلاء وأمثالهم من الشيامين الذين قتلوا الملايين من البشر، ولاقت منهم البشرية الويلات إثر الويلات؟

ألا يعد أولئك هم طلائع حضارة أوربا؟ فمن الهمج القسامة العناة إذا؟

ومن المنكرن الإرهابيون حقيقي؟

ثم من الذين صنعوا القنابل النووية، والعنقودية، والذرية، والحرميومية، وأسلحة الدمار الشامل؟

ومن الذين لُقْوا الهواء بالعوادم، والأنهار بالمبيدات؟

ومن الذين يسلكون الطرق القذرة التي لا تنت إلى العدل، ولا إلى شرف الخصومة شيء؟

من الذين يعْثومن النساء؟ ويسرقون أموال الشعوب وحرياتهم؟ ومن الذين ينفرون الإيدز؟

أليس الغرب، ومن يسير في ركابهم؟

ومن الذي يدعم اليهود وهم في قمة التسلط والإرهاب؟

وماذا حصل في محامين التفتيش، وما أدراك ما محاكم التفتيش؟

وماذا حصل في بعض السجون كأتي غريب وغيره مما يندى له الجبين؟

هذا هي الحقيقة الواضحة، وهذا هو الإرهاب والتسلط.

ولا يعني ذلك نقل من الأحوال أن يكون غير المسلمين على ستة واحدة من
الفصل الأول: البحث الثاني: رجعة النبي ﷺ بالبشر عموماً

الظلم والسلطة والجبهوت، لا بل إن فيهم من هو قائم بالعدل، بعيد عن الظلم.
أما جهاد المسلمين لإحقاق الحق، وقمع الباطل، ودفاعهم عن دينهم،
 وأنفسهم وبلادهم فليس إرهاباً، وإنما هو العدل بعيده.
وأما أن يحصل من بعض المسلمين من أخطأ في سلوك سبيل الحكمة فقليل لا يكاد
ينذك بجانب وحشية الغرب، وتعبته تعود على من أخطأ السبيل، ولا تعود على
الدين، ولا على المسلمين، ولا يُقرّ عليها من قام بها، بل إن أهل الإسلام
ينكرون مثل ذلك أشد الإنكار.
وهكذا ينبغي للعائل المنصف؛ أن ينظر إلى الأمور كما هي بعيداً عن الظلم
وتزوير ونظرة القاصرة.
وبعد هذا فإن كان الإنسان من عجب فإنه من الأوروبيين، والأمريكان؛ حيث
لم يكتشفوا حقيقة الدين الإسلامي وعظمته نبّة فيما اكتشفوه، وهو أجل من
كل ما اكتشفوه، وأdam للسعادة الحقيقية من كل ما وصلوا إليه؛ فهل هم
جاهلون بحقيقة الإسلام حقاً أو أنهم يتععون ويصدون عنه؟
إن كانت الأولى، فهي مصيبة، وإن كانت الثانية فمصيبة!
المبحث الثالث: رحمة النبي ﷺ بالضعفاء والمساكين

لقد امتدت رحمة ﷺ إلى الضعفاء والمساكين من نحو الصبيان، والخدم، واليتامى، والفقراء؛ فكان يجلسهم، ويلاطفهم، ويحنو عليهم، ويحسن إليهم، ويرفع من شأنهم، ويُحذّر من ظلمهم؛ فكانوا يأوون إلى ظله الشريف، ويحنون بطرافه السامي الذّى.

وأخباره عليه الصلاة والسلام: في هذا الباب كثيرة متنوعة، وإليك طرفاً من ذلك فيما يلي:

١- رُفِّع من شأن الضعفاء وَحْنَه على التخفيف عليهم، فعن حارثة بن وهب

قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "ألا أخبركم بِأَهْلِ الجَنَّةِ؟ كُل ضعيف مَضْفَعٌ.

لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُل عَطْل جَوَاوِر مستكبر".

واعتناص بن سعد الساعدي ﷺ أنه قال: "مر رجل على رسول الله ﷺ، فقال لرجل عندبه جالس: "ما رأيك في هذا؟" فقال رجل من أشراف الناس: هذا والله، حريّ إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع، قال: فسكت رسول الله ﷺ ثم مر رجل، فقال له رسول الله ﷺ: "ما رأيك في هذا؟".

قلت: يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حريّ إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال أن لا يسمع لقوله، فقال رسول الله ﷺ: 

---
1- أخرجه البخاري (٤٩١٨) ومسلم (٣٨٥٣).
الفصل الأول: البحث الثالث: رحمة النبي 

(1) وهذا خير من ملء الأرض مثل هذا.

ومن أبي سعيد الخدري عن النبي قال: "احتجت الجنة والنار، فقالت النار: في الجبرون والتكبرون، وقالت الجنة: في ضفاف الناس ومساكينهم؛ فقضى الله بينهما، إنك الجنة رحمي أرحم بك من أش애، وإنك النار عذابي أعذب بك من أش애، ولكليما علي ملؤها.

ومن أبي هريرة عن رسول الله قال: "إذا صلى أحدكم للناس فليخفف؛ فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء".

2- تفقده لأحوال الضعفاء، وسألهم عنهم، ووافوه لهم: فعن أبي هريرة عن رسول الله رضي الله عنه وقال: "إذا صلى أحدكم للناس فليخفف، وإن امرأة سوداء كانت تقسم المسجد، أو شاباً، ففتقدها رسول الله فسأل عنها أو عنه، فقالوا: مات، قال: "أنا كنت آذنموني".

وقال: "فكانهم صغرَوا أمرها أو أمرها، فقال: "دلوني على قبره" فدلوا فصلى عليها، ثم قال: "إن هذه القبور ملموسة على أهلها، وإن الله عز وجل ينورها لبصلاتي عليهم".

فانظر كيف بلغت رحمةه، ووافوه لهذه الجاربة المحترقة، أو هذا الشاب المحترق؟

3- رأته فالتم، وبيانه جزاء كاف Fé: فعن أبي هريرة عن رسول الله رضي الله عنه قال: "إذا صلى أحدكم للناس فليخفف".

1- آخرجه البخاري (6091).
2- آخرجه مسلم (2846).
3- آخرجه البخاري (702) ومسلم (4376).
4- آخرجه البخاري (1373) ومسلم (956).
الله ﷲ: «كافل البتيم له أو لغيره أنا وهو كاهاتين في الجنة» وأشار مالك بالسبابة والوسطى (2) ونحوه عن سنبل عند البخاري (3).

4- حن على القيام بشأن الأرملة والمسكين: فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷲ: «الساعي على الأرملة، والمسكين كالمجاهد في سبيل الله».

أحسبه قال: «كالقائم لا يفتر، كالصائم لا يفطر». (4)

5- دعوة الطعام الذي نحن فيه الفقراء: فعن أبي هريرة ﷺ أنه كان يقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

6- رأىه بالشبات، وببنته فضل إعالتهم، والإحسان إليهم: فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷲ: «من عاد جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كاهاتين، وضم أصابعه». (5)

وعن عائشة ﷺ رضي الله عنها قالت: «جاءتني امرأة عينها ابتنتان تسألني. أمضت عندي نزهة واحدة، فأعطيتها إياها، فقُسِمتها بين ابتنتها، ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت فدخل النبي ﷺ فحدثه، فقال: «من ابتنتي من هذه البنتين فأحسن إليهم كل له ستراً من النار». (6)

7- تأذيره من تضيع حقوق الضعفاء: فعن أبي شريح الخزاعي ﷺ قال:

1- أخرجه مسلم (3983).
2- البخاري (530).
3- أخرجه البخاري (535) ومسلم (3982).
4- أخرجه البخاري (537) ومسلم (1243).
5- أخرجه مسلم (3631).
6- أخرجه البخاري (1418) ومسلم (3629) و(3630).
قال رسول الله ﷺ: «للهم إني أخرج حق الضعيفين: اليتيم، والمرأة».

8- رحمته بالمرضى إذا زارهم: فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. قال:

«اشتهى سعد بن عبادة شكوى له، فأتبى رسول الله ﷺ يعوده مع عبدالرحمن ابن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم. فبكي رسول الله ﷺ فلما رأى القوم بكا رسول الله ﷺ بكوا، فقال: «لا تسمعون؟ إن الله لا يذنب بدمع المين، ولا يحزن القلب، ولكن يعذب بهذا لسانه أو يرحم».

9- رحمته بالصغر، وكاأه عليهم: فعن أبي قتادة الحارث بن ربيعة ﷺ.

قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأقوم إلى الصلاة وأريد أن أطول فيها؛ فاسمع بكاء الصبي؛ فأتتبع في صلاتي؛ كراهية أن أشق على أمه».

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قبّل النبي ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما.

وعن عطبرة الأقرع بن حابس، فقال الأقرع: «إن لي عشرة من الولد ما قبلاً منهم أحداً» فنظر إلى رسول الله ﷺ فقال: «من لا يرحم لا يرحم».

وعن عائشة برضي الله عنها. قالت: قدم ناس من الأعراب على رسول

1- أخرجه أحمد 2/243، والنسائي (9149) وأبو ماجه (279) والحاكم (132) والجامع (87/6 و138)، وقال

«صحيح الإسناد على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في الصحيح (1105)

2- أخرجه البخاري (1304) ومسلم (924).

3- أخرجه البخاري (2319).

4- أخرجه البخاري (5997) ومسلم (3219).»
الله ﷺ فقالوا: أتقبَلُون صبائنك؟ فقال: "نعم" قالوا: لكننا والله ما تقبل، فقال رسول الله ﷺ: "أو أملك أن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة". (1)

وعن أسامة بن زيد ﭼ ﷺ ﷺ ﷺ رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ رفع إليه ابن ابنته وهو في الموت، فضاّت عينا رسول الله ﷺ فقال له سعد ما هذا يا رسول الله، قال: "هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده، وإما يرحم الله من يشاء ويفرقك يا إبراهيم ليحزونون". (2)

وعن أنس ﭼ: "أن رسول الله ﷺ دخل على ابنه إبراهيم ﷺ وهو يجد نفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله، فقال: يا ابن عوف، إنها رحمة» ثم أتبعه بآخرين، فقال: "إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا تقول إلا ما يرضي ربنا، وإذا لفراقك يا إبراهيم ليحزونون". (3)

١٠ - حطة على إكرام الخذم، والخشم: فمن المرور بن سويد قال: "رأيت أبا ذر الغفاري ﷺ عليه حلة، وعلى غلامه مثلها، فسألته عن ذلك، فذكر أنه سابً رجلاً على عهد رسول الله ﷺ فعذرته بأنه، فقال النبي ﷺ: "إنك أمرؤ فيك جاهيلة، هم إخواتكم، وخولكم" جعلهم الله ﷺ تحت أيديكم فمن كان أخوه نمت يده فليطعه بما يأكل، وللبيس مما يلبس، ولا تكلفوهما ما يناله، فإن
الفصل الأول: البحث الثالث: رحمة النبي ﷺ بالضعفاء والمساكن

كلفتموه فاعينوه». (1)
وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن
لم يجلس به فليتناوله لقمة أو لقعتين، أو أكلة أو أكلتين؛ فإنه ولي علاجه». (2)

11- نهى عن أدية الخدم: فعن سويد بن مقرن ﷺ قال: «رأيتني سابع سبعة
من بني مقرن مالنا خادم إلا واحدة لطمعها أصغرنا، فأمرنا رسول الله ﷺ أن
نعمتها». (3)

وفي حديث ابن عمر ﷺ رضي الله عنهما: «كيفته أن يعتقه». (4)
كل ذلك أثر من آثار رحمته التي أودعها الله في نفسه الشريفة المباركة.

1 - أخرجه البخاري (545) ومسلم (1661).
2 - أخرجه البخاري (557) ومسلم (1663).
3 - أخرجه مسلم (1658).
4 - أخرجه مسلم (1659).
المبحث الرابع: رحمة النبي ﷺ بالنساء

أما رحمة النبي ﷺ بالنساء فحدث ولا حرج، فلقد أولاهم جانباً عظيماً من اهتمامه، وتوجيهه، وأمره بالقيام بذلك، وتخذيره من التقصير في شأنهن؛ فنالت المرأة في شريعته من الرحمة، والرعاية ما لم تكن في أي شريعة أو نظام، سواء كانت آمنة، أو أصيبت، أو نتشاء، أو زوجة، أو غير ذلك.

بل لقد كان ﷺ المثال الحي لحسن التعامل مع نسائه، حيث ضرب أروع الأمثلة في ذلك.

وتجلَى هذه الرحمة في أقواله، وأحواله، في هذا الشأن، وفيما يلي ذكر لشيء من ذلك.

أولاً: من أقواله في رحمة النساء، ورعاية حقوقهن:


2- وصايته بالنساء، وأمره بالإحسان إليهن: فقد قال النبي ﷺ: «اتقوا الله في النساء، فإنهن عوان عندكم، أخذموهن بأمانة الله، واستحلتم فروجهن بكلمة الله، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف».

---

1. رواه البخاري (634) ومسلم (3548).
2. أخرجه مسلم (1318) وأبو داود في سنته (190) وابن ماجه (3074).
الفصل الأول: البحث الرابع: رحمة النبي ﷺ بالناس

3- بيانه فضل الـصدقة إلى الأهل: قال ﷺ: "دينار ألقته في سبيل الله، ودينار ألقته في رقبة، ودينار تصدقته به على مسكن، ودينار ألقته على أملك، أعظمها الذي ألقته على أملك". (1)

وقال ﷺ: "ابدأ بنفسك، فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلاملك، فإن فضل شيء فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا". (2)

4- وصيته بالصبر على النساء، وتحذيره من الاستعمال في شأن الطلاق:
قال ﷺ: "استوصوا بالنساء؛ فإن المرأة خلت من صلب أعوج، وإن أعوج شيء في الصُلم أعلاه، إن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، استوصوا بالنساء خيراً". (3)

وقال ﷺ: "لا يَفْرَكَ مَن يَبْغُضْ مُؤْمِنَ مَؤْمِئَةً، إِن كَرَهُ مِن هَا خَلْقًا رَضِيَ مِن هَا خَلْقًا آخِرَ". (4)

قال النووي: في شرح هذا الحديث: "ينبغي أن لا يبغضها؛ لأنه إن وجد فيها خلقة يكره، وجد فيها خلقة مرضيًا، كان تكون شرسة الخلق، لكنها دَينة، أو جميلة، أو عفيفة، أو رفيعة، أو نحو ذلك". (5)

---
1 - رواه مسلم (995).
2 - رواه مسلم (997).
3 - رواه البخاري (332) ومعن (1467).
4 - رواه البخاري (1468).
5 - صحيح مسلم بشرح النووي 47/10.47.
5 - بياته أن خيار الناس خيارهم لنفسهم: قال: "أملا المؤمنين إياً
أحسنهم أخلاقاً، وخاركم خياركم لنفسكم ماشٍ.

6 - تخذيه من إفشاء سر الفراش: قال: "إذا ذكرت الناس منزلة يوم
القيام الرجل يفضي إلى أمراته، وتفضي إليه، ثم ينشر سرها.

7 - بياته أن النساء شقيقات الرجال: قال: "نساء شقيقات الرجال.

8 - نهيه عن ضرب الزوجة بلا مسح: قال: "لا يجلد أحدكم أمراته جلد
العيد ثم يضافها.

9 - تخذيه من الميل لإحدى زوجاته إذا كان عنده أكثر من زوجة: قال:
"من كانت له أمراتان، فالله ي وهذا يوم القيامة وشيكه
مائل.

10 - بياته أن المرأة لا تنفِّذ إلا بإذنها: قال: "لا تنكح الأيم حتى
تستأمر، ولا تننك البكر حتى تستأذن.

---
1 - أخرجه أحمد 4/ 373، والترمذي (1162) وقول: حسن صحيح، وابن حبان (417).
2 - رواه مسلم (1437).
3 - أخرجه أحمد 4/ 373، والترمذي (1162) وصححه أحمد شاكر في تحقيق
الترمذي 1948-1951.
4 - أخرجه البخاري (436) ومسلم (385).
5 - رواه أحمد 4/ 495 و 447 و 1131 والترمذي (1154) وأبو داود (1323) والحاكم (4/30).

وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.
قالوا: يا رسول الله! وكيف إذنها؟ قال: "أنت تسكت". (1)

11 - يذكره لفضل العناية بالبنات، وإحسان تربيتهم: قال ﷺ: "من أبلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهم كن سراً له من النار". (2)

وقال ﷺ: "لا يكون لأحد ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، أو بنتان، أو أختان، فيتيق الله فيهن، وحسن إليهن إلا دخل الجنة". (3)

12 - نهيَ الزوج عن مفاجأة زوجته بعد طول الغياب عنها: فعن جابر ﷺ
قال: كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة، فلما قدمتنا المدينة ذهبتنا لندخلها، فقال رسول الله ﷺ: "أمهلوا، لا تدخلوا ليلةٍ يعاني عشاق، حتى تستنشق الشعثة". (4)

وتستتمد الغيبة (5).

والهدف من هذا التشريع إبقاء الرغبة في الزوجة قوية; بحيث لا يحدث منها ما يُلطع الزوج على شيء من عيوبها، أو ما ينافي كمال زيتها من تشتهر الشعر، وإهمال الزوجة، وغفوه ذلك.

بل يجدها دائماً في حال من الجمال والزينة، وما شأنه أن يبقي على سرور النفس، وشدة الرغبة.

13 - نهي عن طرق الأهل ليلةً: فقد جاء في صحيح البخاري أن النبي ﷺ

---

1 - رواه البخاري (5136).
2 - رواه البخاري (1418) ومسلم (4249).
3 - أخرجه أحمد 423.
4 - الشعثة: البعيدة العهد بالغسل، وتسريح الشعر والنظافة.
5 - المغيبة: التي غاب عنها زوجها.
6 - رواه مسلم (761) وأبو داوود (3776) والترمذي (1172).
قال: «إذا أطلأ أحذكم الغيبة فلا يطرق أدخله ليلًا» (1).

قال ابن حجر: «الطروق بالضم الأمليء ليلاً من سفر أو من غيره على
غفلة.

يقال لكل آت بالليل طارق، ولا يقال بالنهار إلا مجازاً» (2).

ففي هذا الحديث دليل على أنه يستحب التأيي للقادم على أهله حتى يشعروا
بقدومه قبل وصوله بزمان يتسع فيه التحمل والاستعداد؛ فلربما كانت الزوجة في
حال انفرادها على وضع لا يلبق، وربما كانت مشغولة بعض أعمال المنزل،
فأهملت بعض زيتها واستعدادها للقاء الزوج.
والزوج راغب فيها، فإذا هجم على زوجته وهي على هيئة تذكيرها العين,
وتتفر منها النفس. كان ذلك مدعاة للنفور من الزوجة، وقلة الرغبة فيها.
ومن هنا كان تبنيه الزوجة وإعلامها بقدوم الزوج أولي وأودم لتعلق القلب
بها، وأحفظ من النفور والملل وبوء العين عنها (3).

قال ابن حجر في شرح الحديث السابق: «فلمما كان الذي يخرج الحاجة
مثلِ نهارٍ ويرجع ليلاً لا يتأتى له ما يحذز من الذي يطلب الغيبة. كان طول الغيبة
مظنة الأمن من الهجوم، يقع الذي يهجم بعد طول الغيبة غالبًا ما يكره (4) إما
أن يجد أهله على غير أهبة من التنظيف والتزني المطلوب من المرأة، فيكون ذلك

1- البخاري (5444).
2- فتح الباري (9/251).
3- انظر اللقاء بين الزوجين للشيخ عبد القادر عطا ص. 73.
4- لعلها: على ما يكره.
الفصل الأول: البحث الرابع: رحمة النبي ﷺ بالنساء

سببًا للنفرة بينهما (1).
والحاصل أن الزوج لا ينبغي له أن يفاصل زوجته إذا قدم من غيبته؛ اتباعًا للسنة، وتالياً لما ذكر; فعليه أن يرسل من يخبرهم بقدومه، وأن يترث بعد وصول الخبر لأهلها، أو أن يرسل إليهم بأنه سيأتي في اليوم التالي إن يسر الله له القدوم.
وفي هذا الوقت تيسر سبل; فيمكن الزوج أن يتصل عبر الهاتف، ويخبر أهله بأنه قادم في اليوم الفلالاني أو الساعة الفلالانية.
ثم إن على الزوجة إذا علمت بقدوم زوجها أن تأخذ زينتها، وأن تستعد له أمر الاستعداد.
وهكذا يبين لنا شيء من عظم شأن المرأة، ومنزلتها عند رسول الله ﷺ (2)...

---
1- فتح الباري 2/423
2- قارن بين هذا وبين صنع أهل الجاهلية الذين يعاملون المرأة بكل قسوة، ولا يرونها إلا هملاً مضرعاً، ولقى مزدريًّ، وحمى مسبحاً.
ويكتفي شاهدًا على ذلك تسخطهم بالداني، ووادههم للبنات.
قال الله تعالى: ناعًا عليهم هذا الصنيع: «وإذا المؤموذة سبتت (8) يأي ذنب قبالت؟» (التكوين).
قال الشيخ عبد الطاهر بن عاشور ﷺ في تفسير هذه الآية: «والولد: ذهين الظاغة وهي حية: ققبل هو مقبول آدها، إذا ألقى؛ لأنه إتمال الدقيقة بالتراب.
قال في الكشف: كان الرجل إذا ولدته لم يبنت; فأراد أن يستبقيها أبضها جبة من صوف أو شعر ترعي له الإبل والغنم في البادية، وإن أراد قتلها تركها حتى إذا كانت سداسية يقول لأمها: لطبيها وزينتها; حتى أذهب بها إلى أحمائها، وقد حفر لها بئرًا في الصحرا; فيبلغ بها البقر، فيقول لها: اقتفي فيها، ثم يدقها من خلفها، ويهتفل عليها التراب، حتى تستوي البقر بالأرض.
وقيل: كانت الحامل إذا أقربت حفرة حفرة، فتمضخت على رأس الحفرة، فإذا ولدت بنتاً رمت بها في الحفرة، وإن ولدت ابنًا حبسته» (3).

---
1. (1)
2. (2)
3. (3)
وكأننا يفعلون ذلك؛ خشيّة من إغارة العدو عليهم، فيسبّي نساءهم، وخشية الإملاق في سي الجدب؛ لأن الذكر يحتل للكسب بالغارة وغيرها، والأنثى عالة على أهلها، قال تعالى: «ولا تقلّوا أولاً لكم خشيّة الإملاق» وقال: «إذا بَيْرَ أحدهم بالأنثى ولّه وجهه مسّة وقدّ قيم» (58) يُؤثّر من الفوق من سوء ما يُبرِّه أيّسِكَة على هوَن أم يُدّنَه في التربّاب إلا ساء مَا يُحَجَّمُون».

وإذ قد فقد فشيّهم كراهية ولادة الأنثى فقد لما في نفوسهم بعضها، فتحرّكت فيها الخوارج الإجرامية؛ فاضل جبل يكره أن تولد له أنثى لذلك، وإمراتة تكره أن تولد لها أنثى؛ خشيّة من فراق زوجها إياها، وقد يهجر الرجل إمرأته إذا ولدت أنثى.

وقد توارثت هذا الجهل أكثر الأمّ على تفاوته بينهم فيه، ومن كلام بعضهم وقد ماتت ابنته: »نعم الصهار الغبير».

ومن آثار هذا الشعور حرقان البنات من أموال آباءهن بأنواع من القرآن مثل وقف أموالهم على الذكور دون إناث، وقد قال مالك: إن ذلك من سنة الجاهلية، ورأى ذلك الجُبُس باطلًا، وكان كثير من أرباء اليمن يجلبون بناته إلى إسقاط حقهن في ميراث أبيهن لأخطىتهن في فور الأسف على موت أبيهن؛ فلا يمنحون من ذلك، ويرى امتثال من ذلك عارًا عليهم؛ فإن لم يفعلن قطعهن أنيابهن.

وتعرف هذه المسألة في الفقه بتيان القبائل، وبعضهم يعدوا من الإكرام. تفسير التحرير و التنوير

٣٠/١٤٢،١٤٥٥

هذه لحظة المرأة في الجاهلية ولا يبعد عنها ما تعانيه المرأة في الظلم الأسري الذي لا يرعى للمرأة كرامتها، حيث يبرأ الأب من ابنته حين تبلغ سن الثامنة عشرة أو أقل؛ لتخريج هائة على وجهها تبحث عن مأوى يستحٍ، وللمدة تسد جوعها، ولريها كان ذلك على حساب الشرف، ونبل الأخلاق.

فأين رحمة الإسلام بالمرأة، وجعلها إنساناً مكرماً من الأنظمة التي تهددها مصدر الخطيئة، وتسبّها حرقاً في الملكية والمسؤولية، وتجعلها تعيش في إنذال واحتقار، وتعديها مخالفاً ظنيًا؟

وأين رحمة الإسلام بالمرأة من يجعلن المرأة سلعة يتجرون بسجدها في الديعات والإعلانات.

أين رحمة الإسلام بها من الأنظمة التي تعد الزواج صفقة متبلعة تنقل فيه الزوجة؛ لتكون إحدى ممتلكات الزوج؟ حتى إن بعض مجتمعهم العقد: لتنظر في حقية المرأة وروحها هل هي من البشر أو لا؟!
الفصل الأول: البحث الرابع: رحمة النبي ﷺ

ثانياً: من أحوال النبي ﷺ مع نسائه:

الناظر في سيرة المصطفى ﷺ يرى صورةً مشرقةً من خلقه الكريم في معاملته

الناس جميعاً.

ولكن سلوكه في بيتها، ومع أزواجه له دلالته الخاصة المبتكرة عن سلامة ذوقه،
ورقة طابعه، وعمق عاطفته، وقردته الفذة على مراعاة مشاعر أزواجه،

فالحضارة المعاصرة لا تكاد تعرف شيئاً من معاني الندم والرحمة، وإنما تنظر للمرأة نظرة مادية
بحثة، فترى أن حجابها وعفونتها تخفف ورجعية، وأنها لابد أن تكون دمية يبعث بها كل ساخط؛ فذلك
سر السعادة عندهم.

ولما علموا أن تبرج المرأة وتهتكها هو سبب شقائهما وعذابهما.

وإلا فما علاقة التطور والتعليم بالتبرج وإظهار الثانين، وإبداء الزيّة، وكشف الصدر، والأفخاذ،

وما هو أشد؟!

وهل من وسائل التعليم والثقافة ارتداء الملابس الضيقة والشفاقة والقصيرة؟!

ثم أي كرامة حين توضع صور الحساسات في الإعلانات والدعايات؟

وماذا لا تبرج عندهم إلا الحساس الجميلة، فإذا استنفدت السنوات جمالها وزيتها أهملت ورميت

كآياً أنتهت مدة صاححتها؟!

وما نصبح قيمة اجتمال هذه الحضارة؟ وما نتصور الأم المسنة، والخدمة، والعجوز؟

إن نصبهم في أحسن الأحوال يكون في الملاجي، ودور العجزة والمسنين؛ حيث لا يزال ولا يسأل

عنها.

وقد يكون لها نصب من رابط تقاعض، أو تجوع، فتأكل منه حتى تموت؛ فلا رحم هناك، ولا صلة،

ولا ولي حريم.

أما المرأة في الإسلام فكلما تقدم السن بها زاد احترامها، وعظم حقيها، وتنافس أولادها وأقاربها

على براء - كما سبق - لأنها أدت ما عليها، ويقي الذي لها عند أبنائها، وأحفادها، وأهلها، ومجتمعها.
ولاحترام رغبتهن ما دامت في حدود الشرع.
و فيما يلي ذكر لبعض المواقف العظيمة التي تدل على رحمته بأزواجه:
وحسن تعامله معهن:
1- هذه عائشة ﷺ رضي الله عنها تتح معه ﷺ تيمنها حيضتها من أداء العمرة.
مع الناس، فلما أراد الرسول ﷺ العودة إلى المدينة قالت: يا رسول الله تعذرون
بجح وعمرة، وأعود بحججة وحدها؟
فإذا بالرسول يشقق أن تعود زوجته وهي تشعر بفوات بعض الفضل والخير
عليها، فيتوقف، ويطلب من أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ رضي الله عنهما.
أن يصحبها إلى التنعيم حيث تحرم بالعمرة.
2- وفي غزوة الرسول ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ، يتوقف الجيشه كله، لأن عقدًا لعائشة
انفرط منها فهي تجمع حياته من بين الرمال.
3- وروى البخاري ﷺ لما رجع من غزوة خبير، وتزوج صفية بنت حبي.
كان يدير كساءً حول البعير الذي تركه يسهر به، ثم يجلس عند بعيره، فضع
ركبته، فتضع صفية رجلاً على ركبته حتى تركب!!
ولم يكن هذا المشهد بعيدًا عن أعين الناس، بل كان على مشهد من جيشه
المتصرح... (1)

1 - انظر السيرة النبوية الصحيحة، 143/6.
2 - انظر صحيح البخاري (1722) ومسلم (1311).
3 - انظر صحيح البخاري (371 و 313 و 423 و 425 و 423 و 433 و 434 و 433 و 434).
4 - انظر صحيح البخاري (310 و 736 و 737 و 738 و 739 و 740).
كان يعلهم أن الرسول ﷺ والنبي ﷺ الرحمة، والقائد المظفر لا ينقص من قدره أن يوطئ أجنحة لأهله، وأن يتواضع لزوجه، وأن يعينها ويسعدها.

4- ويشهد الإنسان طابع الصدق في علاقاته بزواجه، فهو الرسول البشر، ليس فيه تعاظم الأقوام بمجاهم أو غناهم، بل فيه سماحة الأنبياء، وندى العظماء، وسيرة الأنبياء، تجده يحسن على أزواجه ويعينهن، فيقم بيه بيه، ويجد تلبه، يخرج العل، يتلقف إله، ويحارض غضب، ويعدل بينهن، ويراعي ما جيل عليه من الغيرة، ويعمل حفواتهن، ويرفع بصغيرتهن؛ حيث تعيش أمهات المؤمنين في غرفهن الصغيرة بجوار المسجد النبوي، تمتزج حياتهن بأصوات الأذن للصلوات، ويشهدن جمع الناس مقبلين مدرين يصلون، ويشمرون لأحاديث الرسول ﷺ، ويستركن في بيان تعاليم الإسلام، وخاصة في شؤون المرأة، حين تتعذر على النبي ﷺ لحياته - البيان.

ثم لهن حياة خاصة مع الرسول ﷺ حافلة بالعبادة وبالعلم، مليئة بالعمر، دافئة بالخير، ولا تخلو من الجدل والخصومة حينها، والقرية حينها آخر، قالت عائشة ﷺ، رضي الله عنها: «ما علمت حتى دخلت علي زينب بغير إذن وهي غضبي، ثم قالت: يا رسول الله أحسنهاً إذا قلبت لك بنت أبي بكر، دينه ثارت – أي ساعدتها؟ ثم أقبلت عليّ، فأعرضت عنها، حتى قال النبي ﷺ: «دونك فاتصري»، فأقبلت عليه حتى رأيتها، وقد يبس ريقها في فيها ما ترد علي شيئاً، فرأيت النبي ﷺ يتهلل وجهه!"».

1- انظر البخاري: الأدب المفرد (558) والنسائي - الكبير (914-8915 و8916) وابن ماجه (1981)
لا نلمس تقدير النبي ﷺ لغيرة الضرائر من بعضهن، ومراعاته للفطرة، فقد ترك زينب تفرغ غضبها، وأذن لعائشة أن ترد عليها، وعدل بين زينب -وهي بنت عمه وزوجته - وعائشة -وهي بنت صاحبه وزوجته- ولم يغضب من هذه الملاحاة، فهي أمر طبيعي في حياة الضرائر.

بل لم تتغير ملامح وجهه إلى العبوس لتكدير صفوه، بل عَلَّته ابتسامة رقيقة.

وهو يشهد انتصار عائشة من زينب.

وفي هذا أيضاً دلالة على أن سيرة النبي ﷺ وحياته كتاب مفتوح، لا يخفي منه شيء.

و كانت زينب بنت حش تطالع عائشة وتفاخرها في الخفوة عند رسول الله ﷺ، كما ذكرت عائشة في حديث الإفك (١).

و كانت تفاخر بأن الله ﻷتعالى - زوجها من الرسول ﷺ، فأنزل في ذلك قرآنًا فلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَفَرَأ زَوُجَاهَا لِكَيْ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاج أَذْعَانُهُمْ إِذَا قَضَى مِنْهُمْ وَطْرَاً (الأحزاب: ٣٧).

أما عائشة -رضي الله عنها، فكانت البكر الوحيدة من أزواجه، وكانت تُبْلُعُ بذلك، وتُشير إليه بذكاء وفطنةامتازت بها، تقول: يا رسول الله أرأيت لو نزلت وادياً وفيه شجرة قد أكل منها، ووجدت شجرًا لم يؤكل منها في أيها تُرَتَ بعيرك؟ قال: «في التي لم يرتع منها» تعني أن رسول الله ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها. (٢)

١ - انظر صحيح البخاري (٤١٨) ومسلم (٣٧٧)。
٢ - انظر صحيح البخاري (٤٧٨٩).
وهو هذا الإدلاع المقبول لا يخالف الحقيقة، ولا ينافض الصدق، فليس من ضرر في استجابة الرسول ورضاه لهذا الإدلاع والاعتذار، وإدخاله بذلك السرور على قلب زوجه.

6- وكان رسول الله يغضب إذا تجاوزت الغيرة حدًا، واعتذرت على حقوق الآخرين، فلم يكن زمام الوقت يفلت من يده، بل كان يبين الخطأ ويعتمد.

قالت عائشة رضي الله عنها: "ما غرت على أحد من نساء النبي ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبي يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة، ثم يقطعها أعضاءً، ثم يبعثها في صداق خديجة، فربما قالت له: كان لمن يكون في الدنيا امرأة إلا خديجة؟ فقول: إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد". (1)

وهكذا كان عظيم وفاته لزوجه خديجة أول من أمن به وأزره، وتحمل معه أعباء دعوته، فكان يذكرها دائماً، ويثني عليها أبداً، ويصل صديقاتها ومعارفها، ويفرح للقاء أقاربها ويكربهم حتى غارت أم المؤمنين عائشة؛ لإكثره من ذلك وإلا فهل يغفر الحي من الميت؟!

 جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها. قالت: استأذنت هالة بنت خويلد، أخت خديجة، على رسول الله فارتاغ لذلك، فقال: "اللهم هالة".

قالت عائشة: فغرت. (2)

____________________
1 - انظر صحيح البخاري (3818) ومسلم (4435).
2 - البخاري (3851) ومسلم (4437).
لا يمنع حب لائشة أن يصرّح بفضل خدودها ومكانها في قلبه، ولما في ذلك الموقف الذي ظهرت فيه غيرها، بل لم يكتم حبّ لها، وقد مضى على وفاتها أكثر من خمس سنين؟ فقال لائشة: «إني قد رزقت حبّها».

فما أعظم وفاء، وما أحبّ قبله، وما أصدق لسانه، وما أضرح وأفصح.

تعبرها

إن محمدًا الرسول البشر لا يجد غضابة في أن يحبّ أمرته، وأن يصرحها بذلك معيّراً عن عاطفة خيرة، ويكتم كثيرون سواه عواطفهم تجاه أزواجهم؛ لن لا تُخدش كبراؤهم، أو يقل احترامهم فيما يحسون وهم مخطؤون.

روى البخاري عن عمرو بن العاص أنه قال لرسول الله ﷺ: أي الناس أحبّ إليك؟ قال: «عائشة».

وكان -عليه الصلاة والسلام- يراعي صغر سن عائشة -رضي الله عنها- وحبا للعب مع صديقاتها، قالت عائشة: «كنت ألعب بالبنات -أي اللعب- عند النبي ﷺ، وكان لي صوابح يلعب معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمع منه -أي يخافون- فيسيرّون -4- إليّ، فيلعب معي».

---

١ - انظر صحيح مسلم (٤٤٣٦).
٢ - انظر السيرة النبوية الصحيحة/٣/٣٧/٦٩.
٣ - رواه البخاري (٣٤٦) ومسلم (٣٣٨٤).
٤ - يُسرّبون: أي يرسلون سراً، ويبدآن إلها.
٥ - رواه مسلم (٤٤٤٠).
8- وكانت عائشة ﷺ رضي الله عنها توصي المسلمين برعاية ذلك مع أزواجهم

حديث النساء تقول: «رأيت النبي ﷺ يستنفر بردائه، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون
في المسجد حتى آكون أنا الذي أسأل؛ فافقدوا قدر الجارية الحديثة السن الخريصة
على اللهو» (1).

9 - ولم يجد الرسول ﷺ غضبًا في أن يسبق عائشة ﷺ رضي الله عنها. مرتين

في متأى عن الناس لإدخال السرور على قلبه.

قالت عائشة ﷺ رضي الله عنها: «خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره، وأنا
جارية لم أحمل اللحم، ولم أبدين، فقال للناس: تقدموا، تقدموا، ثم قال
لي: «تعالي أسبابك».

فسباقته فسبقتها، فسكت عنى حتى إذا حملت اللحم، وبدنت، وسنت
خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: تقدموا تقدموا، ثم قال: «تعالي
حتى أسبابك».

فسباقته فسبقتها، فجعل يضحك وهو يقول: «هذه بتلك» (2).

10 - وكان يتعلق معها بالكلام، ويداعبها، قال لها مرة: «إني لأعلم إذا

كنت عني راضية، وإذا كنت علي غضبي».

قالت: ومن أين تعرف ذلك؟

1- روایة البخاري (944) والمسلم (894).
2- روایة أحمد (6734) وأبو داود (2578).
قال: "أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبي قلت: لا ورب إبراهيم".

قالت: قلت: أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك. (1)

فما أحسن هذه المحاصرة، وما ألف رسول الله ﷺ، وما أحسن خلق عائشة برضي الله عنها مع زوجها الرسول الكريم. (2)

---

1 - رواه البخاري (4938 و 5728 و مسلم (4429).
2 - انظر زاد المعاد لابن القيم 151/151-152-152 و سيرة الرسول ﷺ مقتبسة من القرآن الكريم ﷺ. عزة دروزة 68-67، محمد ﷺ المثل الكامل ص 45-46، وفقه السيرة ﷺ ﷺ. ﷺ. منبر غضبان ص 243-276.
الفصل الأول: البحث الخامس: رحمة النبي ﷺ بالحيوان

لم تقف رحمة ﷺ عند حد الرحمة بالبشر، بل تعدت ذلك إلى الرحمة بالحيوان البهيم الذي لا يبين عن شكوكه وآلامه؛ فجزاء على الصلاة والسلام. بأخلاقه وآدابه خاصة بالحيوان تلاهم مع هداية الإسلام المؤسسة على الرحمة، المحفوفة بالرحمة؛ فالرحمة تبعث النفس مبعث الرفق والإحسان.

والحكمة تقف بالرحمة عند حدود لولا تجاوزتها انقلب إلى ضعة ورغوة.

وعلوة هذا الطريق جاءت الأحكام والآداب الخاصة بالتصرف في الحيوان.

و فيما يلي طرف ما جاء به في أحكام الحيوان فين من خلالها مدى الحكمة والرحمة والرفق الذي جاء به سيد البشر -عليه الصلاة والسلام-.

1 - أن الإسلام أذن في كل للطيب من الحيوان: ونهى بهذا الإذن على خطاً أولئك الذين يقبضون أيديهم عن تذكية أو أكله بدعوى الرفاه أو الزهد.

وأباح استعماله في نحو الركوب، والحراثة، وحمل الأثقال.

وقد امتن القرآن الكريم بهذه الضروب من الاستمتاع المألوف بين العقلاء، فقال تعالى: "وَالْأَعْنَامَ خَلْقًا لَّكُمْ فِيهَا دِفَافٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأكُولُونَ (5) وَلَكُمْ فِيهَا جُمَالٌ حَيْنَ تَرْجَوْنَ وَحَيْنَ تَسْرُحُونَ (6) وَيَحْلِلُ أَنفَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيُّ الْأَنفُسِ إِلَّا نَيْسٌ رُؤُوفٌ رَحْيمٌ (7)" (التحل).

وقال تعالى: "وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جَلُوْدِ الْأَعْنَامِ بُيُوتًا تَسْتَخْفُونَهَا يَوْمَ الْطَعْنِ" (1)

1 - انظر رسائل الإصلاح 139/1 147-148.
أن الله تعالى - ذكر في كتابه العزيز بما يتخذ من أصوات الأعفاء وأبوابها وأشعارها وجلودها من الملابس والفرش والبيوت، بما يتغذى به من ألبانها وحومها، وما هُيَّت له من حمل الأثقال.

وهي من أهم ما تتنظم به حياة الإنسان، ومن أعظم ما يكون به إكرام الحيوان ما دام على قيد الحياة.

قال تعالى: "والخيل، والبغال، والحمير ليتركُوهما وزينةً ويخلعُ ما لا تعليمون" (8) (النحل).

فذكر في هذه الآية أهم ما خلقت له الخيل والبغال والحمير من الموارد وهو الركوب، وفي الركوب راحة البدن، وسرعة الانتقال من مكان إلى مكان، والراحة من ممات الصحة، وسرعة الانتقال حفظًا للوقت من أن يذهب في غير جدوى.

امتن الله تعالى - بالأنعام والخيل وما عطف عليها، وبه على ما فيها من جمال وزينة.

وفي هذا ما يرشد إلى أن يكون الاستمتاع بها في رفق ورعاية، فإن إراحة قدم، أو قلة القيام على ما تستمد منه حياتها - يجعل نفعها ضيئلاً، ويهب بما فيها من جمال وزينة.

3- أنه كان للعرب قبل الإسلام عادات تحرمهم من الانتفاع بعض أفراد الحيوان، وفيها قوة على أن ينتفعوا بها: ومن هذا القبيل الناقة المسماة بالسائبة.
الفصل الأول: البحث التفصيلي: رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بالحيوان

وهي الناقة التي يقول فيها الرجل: إذا قدمت من سفري، أو برئت من مرضي فهي سائبة، ويجرب ركوبها ودرها.

والوصيلة: وهي أن تلد الشاة ذكرًا وأثى، فيقولون: وصلت أخاه، فلا يدبيح من أجلها الذكر.

والجمل المسمى بالحمي: وهو الفحل الذي ينتج من صلبه عشرة أبطن، فكانوا يقولون: قد حمى ظهره، ويحتاجون من ركوبه والحمل عليه.

البحيرة: وهي الناقة التي تنتج خمسة أبطن أخرى ذكر، فإنهم كانوا يحرون أذنها - أي يشعرونها - ثم يحرون ركوبها ودرها.

ثم جاء الإسلام فلم يلزم من الحكمة تعطيل الحيوان وهو صالح لأن ينفع منه، فنهى عن هذا التعطيل الناشئ عن سفاهته الرأي، فقال تعالى: "ما جعل الله من بحرية ولا سائبة ولا وصلية ولا حام ولا كأن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكبرهم لا يعقلون" (المائدة).

4- أنه كان للعرب عادات يسومون فيها الحيوان سوء العذاب: ومن هذه العادات ما يفعلونه لموت كريم القوم؛ إذ يفترون نافته أو بيته عند القبر، ويتركونها في حفرة لا تطعم، ولا تسدى حتى تموت.

ومن هذا الباب شغفهم لآذان الأعظام كما مر في عاداتهم في البحيرة، وهو ما أشار القرآن إلى قببه، إذ جعله ما يأمر به الشيطان، فقال تعالى: "وقال لا تتخذ من عبادة نصبًا منفوضًا (118) والأضلتهم ولا أميتهم ولا مرتمهم وآيتنا" (المائدة) 1

--- منظر التحرير والتنوير ٧٣٧٧.
أن الحيوان كان كسائر الأمثلة تحت يد مالك، فيكيف يشاء، وإذا ناله رفق فمن ناحية عاطفة الإنسان على ما يملك؛ لطول مدة اتفاعاه به. ولكن النبي ﷺ أرشد إلى أن الحيوان في نفسه حقق بالنطبع، فغرس له في القلب عطفاً عاماً، واستدعى له الرحمة حتى من قوم لا ينتفعون أو لا يروجون أن ينتفعوا به في حال، وجعل الرفق به من قبل الحسنات التي تذهب السينات، وتتنال بها الثواب عند الله ﺖ. ﻴ. ﻢ. ﺖ. كمسيأتي بيانه بعد قليل.
فِقَد أَذَن النَّبِيُّ ﷺ فِي قَتْلِ الحَيْوَانِ الْمُؤْدِي كَالْكِلْبِ الدَّعَمَ، وَالْفَأْرَاءُ، وَأَمْرُ بِالإِحْسَانِ فِي الْقَتْلِ، فَقَالَ ﷺ: "إِنَّ اللَّهُ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُل شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلَمَا أَحَذَّنَا القِتَالَ". فِأَحْسَنَا الْحِيْوَانَ، وَلِيُحْدِدَ أَحْذَكَمْ شَغْرَهَهُ، وَلِيَبْرِزْ ذِيْبِنَهُ".
وَقَد يَخْطَر فِي الْبَالِ أَنْ مَتَى أُذْنَ فِي قَتْلِ الْحَيْوَانِ، أَوْ ذِيْبَنَ فَلَلْإِسْرَائِيلِ أَنْ يَتَخَذَ إِلَّا غَزَا رُوْحَهُ مَا شَاء مِنَ الْطَّرَقِ أَوَّلَا الْوُسَائِلِ؛ فَقَصَدَ الشَّارِعُ الْحَكِيمُ إِلَى دَفْعِ هذَا الخَاطَرِ، وَإِرْشَادِ الْمَسْلِمِ إِلَى اِتْخاذِ أَحْسَنِ الْطَّرَقِ فِي الْقَتْلِ أَوَّلَا الْذَّبْحِ؛ فَلَا يُجَوِّزُ إِحْرَاقِ مَا أُذْنَ فِي قَتْلِهٰوَأَوَّلَا الْتَمْثِيلِ بِهِ، وَيُجِبُ إِرْهَابَ آَلَةِ الْذَّبْحِ؛ حَتَّى لا يَلَايِقُ الْحَيْوَانُ قَبْلٌ إِلَّإ غَزَا رُوْحَهُ آَلَامًا.

١ - أَخْرَجَهُ مَسْلِمُ (١٩٥٥).
٢ - مَسْلِمُ (١٩٥٥).
قال ابن رجب في شرح الحديث الماضي: «و الإحسان في قتل ما يجوز قتل من الناس والدواب - إزهاق نفسه في أسرع الوجه وأسهلها من غير زيادة في التعذيب، فإنه إيلام لا حاجة إليه.

وهذا النوع هو الذي ذكره النبي ﷺ في هذا الحديث، ولعله ذكره على سبيل المثال، أو الحاجة إلى بيان تلك الحال.

إلى أن قال: «والفتية والذبحة بالكسر: أي الهيئة.

والمعنى: أحسسناً هيئة الذبح، وهيئة القتل.

وهذا يدل على وجوه الإسراع في إزهاق الأرواح التي يباح إزهاقها على أسهل الوجه.

وقد حكى ابن حزم الإجماع على وجوه الإحسان في النبي ﷺ في الحقيقة.»

وقال ابن رجب: «فلهذا أمر النبي ﷺ بإحسان القتل، وأمر بأحذة الفراء، وأن تراح الذبيحة، يشير إلى أن الذبح بالآلة الحادة يريح الذبيحة بتعجيل زهوق نفسها.»

و جاء في مسند الإمام أحمد عن معاوية بن قرة عن أبيه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: يا رسول الله إنني لأذبح الشاة وأنا أرحمها. فقال النبي ﷺ: (والشاة إن رحمتها رحمك الله).»

---

1 - جامع العلوم والحكم 384/1.
2 - جامع العلوم والحكم 391/1.
3 - المسندر 345/5.
وقد ذكر أهل العلم آداباً اقتبسوها مما جاء به المصطفى من أصول الرحمه والرفق بالحيوان، فقد روى عبد الرزاق في المصنف عن ابن سيرين أن عمر بن الخطاب رأى رجلاً يسحب شاة برجلها؛ ليدجها، فقال له: «وَلَكُنَا إِلَى الْمَوْتِ قَوْدًا جَمِيلاً».

وقال الإمام أحمد: «تُقَادِ إِلَى الْذِّيْحِ قُوَّدًا رَفِيقًا، وِتَوَارِي السِّكَنِ عنَهَا، وَلا تُذْهَب السِّكَنُ إِلَّا عَنَّ الْذِّيْحِ».

6- أن الشريعة أباحت صيد الحيوان بنحو الجوراح والنبال والشباك، لينفع منه الإنسان بما يجل الانتفاع به، ومنعت من أن ينصب الحيوان غرضاً ليرمي بنحو النبال.

وأما جاء في ذلك من أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: «لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً».

وفي الصحيحين عن ابن عمر: «أَنَّهُ بَفْتين من قَرْيَشٍ قد نصبوا طيراً وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطفة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال ابن عمر: مَن فِعْلَ هَذَا؟ لَعْنَ اللَّهُ مَن فِعْلَ هَذَا، إن رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَعْنَ مِنْ أَتْخَذَ شَيْئاً فِيهِ الرَّوحِ غَرْضًا».

---
1 - المصنف (8605).
2 - جامع العلماء والحكم (296/1)
3 - أخرج مسلم (1957).
4 - البخاري (5516) ومسلم (1958).
الفصل الأول: البحث الخامس: رحمة النبي ﷺ بالحيوان

البحث الخامس: بزحمة الحياة

1- أنه قد وردت آحاديث عن النبي ﷺ في فضل سقي الحيوان وإطعامه، وعدّهما من عمل الخير الذي تناول به.xlabelب عند الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة» (1).

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بزحمة على العطش، فوجد بئراً، فنزل فيها، فشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث بأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البر، فما خفة، ثم أمسكه بفيته، فapsulation الكلب، فشكره الله ﷺ فغفر له». قالوا: يا رسول الله: وإن لنا في البهائم أجازاً! فقال: «في كل ذات كبد رطبة أجزاً».

وانظر إلى قولهم: «وإن لنا في البهائم أجازاً» تراهم كيف كانوا يستهيون بأمر الحيوان، ولا يعتقدون أن الإنسان إليه يبلغ مبلغ الإحسان إلى الإنسان، فستكون عليه أجزاً. وكيف يكون حال حيويان وقع تحت يد من لا يعتقد أنه سينال بالإحسان إليه ثواباً، ويلقي من أجل القسوة عليه عذاباً؟

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «عندي امرأة في هرة لم تطعمها، ولم تمسها، ولم تركها تأكل من خشاش الأرض» (2).

---

1- أخرجه البخاري (330) ومسلم (1553).
2- البخاري (2466) ومسلم (2444).
3- البخاري (2328 و 3318 و 3483) ومسلم (2443).
الفصل الأول: البحث الخاص: رحمة النبي ﷺ بالحيوان

والوعيد بعقوبة النار على الأمر يدل على أنه من المظهر حظراً لا هوادة فيه، ومن ذلك يخطر على باله قبل هذا أن يكون حيوان كالهرة حرمة تبلغ في الخطر أن يعاقب من يتهكها بعذاب النار؟ وقرر الفقهاء وجب القيام على سقي الدابة وإطعامها بأن يعلنها أو يرعاها بنفسه، أو لكل لغيره رعياً ولو بأجر، ولم يختلفوا في وجود ذلك عليه، وصرف طائفة منهم بأنه يجبر عليه قضاءً، فإن لم يفعل بعث الدابة، ولا تترك تحت يده تقاسي عذاب الجوع.

ومما جاء في السنة النبوية من هذا القبيل ما جاء في حديث رسول الله ﷺ أنه مر بعبر قد لحق ظهره ببطنه فقال: «اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صالحة وكلها صالحة» (١).

٨- ومن الرفاق بالحيوان تجب أذنِه في بدنه: بنحو الضرِ الأمير، والإشعار الوارد في بنده الدي الك pies إلاأجراء في سنام البعير بنحو المبضع: ليكون علامة أنها مهدية، وأما طعن البئدة بنحو السنان حتى يتجاوز الجلد إلى اللحم فإما يركبه الجهال، ولا يختلف العلماء في تحريم.

٩- ومن الرفاق بالدابة أن لا يتبع السير عليها متابعية ترهقها تعبًا: قال ﷺ: "إذا سافرتم في الخصب فأعطوا الإبل حظها من الأرض" (٢).

١- أخرج أبو داود (٤٥٤٤) وأبو حنيفة في صحيحه (٤٥٤٥).

٢- أخرج مسلم (١٩٣٦).
وفي رواية: "ولا تعدوا المنازل".(1)  
10- وورد في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: "لا بيع في رقيه بغير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت".(2)  
فذهب بعض أهل العلم في فهم الحديث مذهب الرحمة بالحيوان، وقال: إنما أمر بقطع القلائد من أعناق الأبل، خلافاً لاختلاف الدابة بها عند شدة الركض، ولنها تضيض عليها نفسها ورعياً، وكراهة أن تتعلق بشجرة فينخنقتها أو تعوقها عن المضي في سيرها.  
11- ومن المحظور وقف الراكب على الدابة وقوفاً يؤلهما: وقد ورد في النهي عن هذا الصنيع حديث: "إياكم أن تتخذوا ظهور دواوكم منابر; فإن الله إما سخرها لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغنه إلا بشق الأنفس".(3)  
ومن الفنون التي يسلكها فساة القلوب في تعذيب الحيوان تهيج بعض الحيوان على بعض، كما يفعل بين الكباش والدبوكة وغيرها، وهو اللهو الذي حرمته الشريعة؛ لما فيه من إيلام الحيوان وإتباعه في غير قلادة، وفي سنن أبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال: "نهي رسول الله ﷺ عن التحريش بين البهائم".(4) والتحريش بينها إغراة بعضها على بعض.

---

1 - أخرجه أبو داود (1570) وأحمد في سنده (15132).  
2 - أخرجه البخاري (2843) ومسلم (2115).  
3 - أخرجه أبو داود (2567).  
4 - أبو داود (2562).
وإن شئت أن تزيد يقيناً بما جاء به الإسلام من الرقة بالحيوان فانظر إلى ما رواه أبو داود عن ابن مسعود قال: "كان مع النبي ﷺ في سفر فانطلق الحاجة، فرأينا حمرة (1) معها فرحان، فأخذنا فرحان، فجاءت الحمرة فجعلت تعرش (2)
فلا ما جاء رسول الله ﷺ قال: "من فجع هذه بولدنا؟ ردوا ولدها إليها".
ورأى قرية ممل قد أحرقها، فقال: من أحرق هذه؟ قلنا نحن، قال: "يئيغي أن يعذب بالنار إلا رب النار" (3).

هذه شذرات بما وصى به الإسلام من الرقة بالحيوان، وإن شئت أن تعلم كيف كان أثرها في نفس من يقتدون بأدابه في كل حال فإنما مثل من آداب عذي بن حاتم أحد أفاصل الصحابة ﷺ رضي الله عنهم هو أنه كان يفت الخيز للنمل، ويقول: إنهم جارات، ولن حق.

ومن أدب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ﷺ: أنه كان يمشي في طريق لرافقه فيه بعض أصحابه، فعرض لهما كلب، فزجره رفيق الشيخ، فنهى الشيخ، وقال له: أما علمت أن الطريق بيني وبين مشترك؟!
فقال رأيت كيف حاربت الشريعة السمعة طبيعة القسوة على الحيوان، وقرر للتصرف فيه أحكاماً مبينة على قاعدة الرفق بكل ذي كبد رطبة.
ومن خلال ذلك يتبين أن الإسلام قد وضع جميعيات الرفق بالحيوان أساساً

---
1- الحمرة: ضرب من الطير، وقيل: القُرْبة.
2- تعرش: أي ترتفع، وتظلبح بناحيتها على من تحتها.
3- أبو داود (937/5).
الفصل الأول: البحث الفاصل: رحمة النبي ﷺ بالحيوان

يقيمون عليه دعوتهم، وما من نفس أو جمعية تدعو إلى ناحية من الأخر إلا وجدت في هذه الشريعة ما يؤيد دعوتها، ويهديها سبيل الرشد إذا تشابهت السبيل عليها.

وما تضطر له القلوب أسفًا أن تؤسس جمعيات الرفق بالحيوان في بلاد أوربا منذ ما يزيد على مائة وثمانين سنة، ويرفع صوت الدعوة إلى الرحمة بالحيوان أكثر ما يرفض في بلاد الإسلام.

وقد ظن كثير من الأحداث والواعمة الذين يقيسون الأديان بسير المتبين إليها أن الإسلام لم يوجه عنايته إلى واجب الشفقة على الحيوان، وأن أوربيا هي صاحبة الفضل في الدعوة إلى هذه الشفقة؛ حيث أنشئت في إنجلترا جمعية الرفق بالحيوان الملكية سنة 1834 م، ولما علموا أن النبي ﷺ قد قرر تلك الحقوق على أحسن ما يمكن قبل 1400 سنة.1

---

1 ـ انظر رسائل الإصلاح 147/1.
الفصل الثاني: من جوانب العظمة في سيرة النبي ﷺ

وتحته: مدخل، وخمسة مباحث:

- مدخل: في مفهوم العظمة
- البحث الأول: في رجاحة عقل النبي ﷺ وغزارة علمه.
- البحث الثاني: في عظمة خلق النبي ﷺ.
- البحث الثالث: في إخلاص النبي ﷺ وصدق عزيته.
- البحث الرابع: في حسن بيان النبي ﷺ.
- البحث الخامس: من شهادات المتصفين على عظمة النبي ﷺ وصدق رسالته.
الفصل الثاني: من جوانب العظمة في سيرة النبي
تضاف العظمة إلى الإنسان، فرادفها التجربة والخيال، وهذا المعنى لا يعود على نفس الرسول ﷺ بقينًا، ولا ينزل بساحته في حال. وقد برّد من العظمة الجلال الذي هو أثر سمو القدر، ويلوغ المنزلة الكبرى في خصال الشرف.

وقد يصل من العظمة عظيم القدر، والتناهي في خصال السؤدد والكمال.

ورسل الله ﷺ أسوأ الناس في هذه العظمة عيانًا، وأبعدهم فيها آمداً، وأرسخهم فيها قفداً.

فلا جناح على من ينفي عن رسول الله ﷺ العظمة قاصداً معنى التجربة والآية، أما من ينفي عنه العظمة يقصد الجلال، ويقصد بلوغه في الكمال الأمد الأقصى - فقد تنكر عن الحقيقة جانباً (1).

وإن من يبتغي عظمة رجل يبحث عنها في ناحية عقله، وعلمه، وعقله، وإخلاصه، وعزمه، وعمله، وحسن بياته.

ولقد جمعت هذه الخصال للنبي ﷺ مبذارها، فقد كان راجح العقل، غزير العلم، عظيم الحلق، شديد الإخلاص، جليل العمل، صادق العزم، راجح البيان.

وهذا ما سيتبعين في المباحث التالية.

1 - انظر محمد رسول الله ﷺ وখاتم البينين ص 191.
الفصل الثانى: البحث الأول: في رجاحة عقل النبي ﷺ وغرارة علمنه

البحث الأول: في رجاحة عقل النبي ﷺ وغرارة علمنه

أولاً: في رجاحة عقل النبي ﷺ:

لا يمتي عاقل منصف أن النبي ﷺ أرجح البشرية عقلاً، وأذكاه جناناً، وأنفدهم بصيرة، وأوعسعهم حلماء.

ويتجلى رجحان عقله في مظاهر كثيرة، ومنها أنه نشأ بين قوم يعبدون الأصنام، ويتنافسون في مظاهر الأبهة والخيلاء، وينحترون في شهواتهم إلى المنزلة السفلى، فلم يكن لهذه البيئة المظلمة من أثر في نفس محمد ﷺ قليل أو كثير; فقد اتبذ من بين هذه الظلمات المتراكمة مكانًا يخلو فيه نفسه، ويقدح فيه زناد فكشه، ويناجي فيه ربي; فإذا نور النبوة تلالاً بين جنبيه، وحكمه الله تتدفق بين شفتيه.(1)

ويتجلى رجحان عقله في كونه أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وكان مع هذه الأمية، والنشأة البعيدة من مواطن العلوم، ومجالس العلماء ينظر إلى الحقائق الغامضة;

فيصب كبداها، وينطق إذا الحكمة كاشفة النقاب، والبلاغة آخذة بالألباب.

فكمال عقل المصطفى ﷺ من النوع الذي يخص الله ﷺ تعالى - به بعض المصطفين من عباده؛ ليعذبهم بذلك إلى أشرف مقام، هو مقام النبوة والرسالة.

وإذا كان ما ألقى على عاتق هذا الرسول العظيم هي الرسالة العامة الخالدة - فمن العقول أن يهب الله ﷺ تعالى له من فضل العقل، وسمو الحكمة ما يناسب

1 - انظر محمد رسول الله ﷺ وخلات النبيين ص4-200-520.
عموم رسالتها، وبقاءها إلى قيام الساعة.

وإذا تحدث متحدث عن كمال عقل محمد، فلا يتحدث عن عقل يرجع
سبب عظمته إلى بيئة أو دراسة، إما يتحدث عن عقل أودع ـ تعالىـ في أكمل
خلقه؛ ليفهم به مقاصد الوعي؛ يقوم ببيانها، ويدرك أمراض الفنوس؛ فيصف
أدوارها، ويندلع أمور الجماعات؛ فيحسن سياساتها.

وإذا قرأت سيرته في تلك السنين المعدودة التي قضاها ـ عليه السلامـ في
المدينة، نظرت ماذا كان يقوم به من جلائل الأعمال، ويدعو إليه من وجود
الإصلاح، وبيته من حلال وحرام، ويؤم الناس في الصلوات، ويدعو الجيوش
في الغزوات، ويفتني السائلين في العبادات والمعاملات والجنايات، ويجلس إلى
الأفراد والجماعات: يذكر الغافلين، ويرشد الضالين، ويجادل المعاندين، ويشر
المتقين، ويفصل بين المتخصصين، وينظر في شؤون منزله، ويسوس آل بيته
ومدنه في رفق وعدل.

ولا شك أن هذه الأعمال المختلفة النواحي ـ كما ترى ـ لا يكفي في تدبيرها
وإقامتها عقل من هذه العقول التي يتحدث عنها التاريخ، ولو صدقت مباليته في
إطراتها، وإعلاء شأنها.

قال القاضي عياض في كتاب (الشفا): «وأما وفور عقله، وذكاء لبه، وقوة
حواسه، وفصاحة لسانه، فلا مرية أنه كان عقل الناس، وأذكاهم.
ومن تأمل تدبيره أمير بواطن الخلق وظواهرهم، وسياسة العامة والخاصة مع
عجب شملائه، ويديع سيره، فضلاً عما ألفاه من العلم، وقرره من الشرع،
فلا تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة لكتبه - لم يرغب في رجحان عقله، وثواب ذلك لأول بديته.
وهذا ما لا يحتاج إلى تقريره لتحقيقه.
وقال قال وهب بن منبه: قرأته في أحد وسبعين كتاباً، أوجدت في جميعها أن النبي ﷺ أرجح الناس عقلاً، وأفضلهم رأياً.
وقال الماوردي ﷺ متحدثاً معدداً بعض صفات النبي ﷺ:
«إحداهن: رجاحة عقله، وصحته وهمه، وصدق فرسته.
وقد دل على فور ذلك فيه صحة رأيه، وصواب تدبره، وحسن تأليفه، وأنه ما استفعل في مكيدة، ولا استعجز في شديدة، بل كان يلبظ المبادي فيكشف عيوبها، ويجل خطوبها.
وهذا لا ينظم إلا بأصدق وهم، وأوضح جزم».
فظهور هذا العقل الكبير في أمي لا يقرأ ولا يكتب من نظير الدلائل على أن هذا الأمي صادق في دعوى أنه رسول رب العالمين، فإنما يكلم أحد في كمال عقل المصطفى ﷺ، فإنما يصف آية تبعث في قلب الجاحظ إيماناً، وتزيد قلب المؤمن اطمئناناً.
ولعلك تذكر قوله تعالى: (وَشَاوَرُوهُمُّ فِي الْأَمْرِ) (آل عمران: 159) فيختلج

---

1- النشأة تعريف حقوق المصطفى للقنصي عباس 91/1-92.
2- هكذا في الأصل، ولعل الصواب ما استغفل.
3- أعلام النبوة للماوردي ص 95/1.
الفصل الثاني: المبحث الأول: في رجاحة عقل النبي ﷺ وغزارة علمه

في صدرك أن أمره باستشارة أصحابه يقتضي أن آراءهم قد تكون أصوب من رأيه.
والجواب أنه كان ﷺ يستشير أصحابه في أمر الحروب وغوازها; ليقم قاعدة
الشورى بين الناس، وبالشورى تسعد الأمة، ويرفع شأن الدولة.
قال الحسن ﷺ: "قد علم الله أنه ما به إليهم من حاجة، ولكن أراد أن يستن
به من بعده".

وفي استشارته ﷺ لأصحابه تطييب لذفوسهم، وزيادة تأليف لقليوبهم; إذ كان
العرب من أشد الناس كراهية للاستبداد، ومثافرة من الرئيس الذي لا يجعل لهم
في تصريف الأمور العامة نصيبًا من الرأي.

وفي استشارته ﷺ أصحابه إشعار به لعلو مكانتهم عنده؛ إذ يدلّهم على أنه
يراهم مطلع الآراء السديدة، ومواطن الإخلاص، والإخلاص رأس كل
فصيلة، وأي منزلة أرفع من منزلة قوم يعرض عليه ﷺ الأمر يستطلع آراءهم
فيه، وهو الغني عنهم بما يأتيه من وحى السماء، وما رزقه الله تعالى. من سمو
الفكر، وصفاء البصيرة.

ولعلك تذكر أن طائفة من المشركين بلغت بهم الرقاعة أن وصفوا صاحب هذا
العقل العظيم بالراجحون، كما حكى الله ﷺ عنهم ذلك في قوله تعالى: "يا أيها
الذي نزل عليه الذكر إنك لمن الجنون" (الحجر: 6).

ويقnde في خاطرك أن عقولا تهبط منه الحكم البالغة، وتستع منه الحجج الدامغة
لا يصف صاحبه بالراجحون إلا من فقد عقله، وصار يرمى بالألفاظ في غير معنى;
فقول: كيف يحمي القرآن كلام من فقدوا عقولهم، وأطلقوا في الهدية آلستهم؟
والجواب: أن القوم يعلمون أنه ينطق بالحكمة، ويجادل بالحجة، وإما رموع بالجنون؛ تناهيًا في العنان، وقصدًا للإساءة بالقول، وحكي الله عنهم ذلك الزعم للبعين البطلان؛ ليبرنا مبلغهم من العنان، وسقوطهم أمام الحجة، وتحريهم في تطلب وچَّوبه يصرفون به الناس عن إجابة دعوته. 

أيْ تُخَبِّيطُ بعدَ تُخَبِّيطٍ من يأتي إلى أرجح البشر عقولاً، وأسناهم خلقاً، وأحسنهم سمناً، وأجَّلهم وقارةً - يقول عنه: إنه مجنون؟!

وقد امتدت من سماء ذلك العقل العظيم حِيْكَم أَنْفُسُهُ من الدرر، وأتفع من الغيّث.

ثانياً: غزارة علم النبي ﷺ: 
كيف لا يكون النبي ﷺ أغزر الناس علمًا وقد خاطبه ربه بقوله: "وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمَ" وَكَانَ فَضُلُّ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (۱۱۳) (النساء).

فلم يتولّ تعليمه معلم أو مربٍ، وإنما علمه ورباه وركاه ربه - عز وجل. 
ذلك العَلَمُ الذي يزكي النفس، وينقِي الأصابع، ويرفع الأمم إلى ذروة العز والشرف، حتى تحرز الحياة الطيبة في الأولى، وسعادة الباقية في الأخرى.
ومن ينذبر القرآن والأحاديث الثانية حتى يتمتع فيما أنطوي عليه من حقائق وحكم وآداب - يلف رأسه حياةً من أن يفني عن المصطفى عظمة العلم.
تحت اسم الفلسفة متكننا على أنه كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب.

وقد خرج من بين يدي مُحَمَّد ﷺ رجال عظماء، ولم يتلقوا من العلم غير ما

1 ـ انظر محمد رسول الله ﷺ وحياة النبيين ص ۱۱۸-۱۳۳، ومحمد ﷺ المثل الكامل ص ۱۸-۳۰۰.
كانوا يلتقيون في مجلسه من حكمته، فكانوا منبع علم وأدب، وأدركوا في حضائر
الأي وقوّة الحجة الأمد الأقصى.  

قال الأوردي دوماً ما عن علمه: «ما أويتي من الحكمة البالغة،
وأعطي من العلوم الجمة الباهرة، وهو أمي من أمة أمية لم يقرأ كتاباً، ولا درس
علماً، ولا صحب عالماً ولا معلماً، فأتي بما بهر العقول، وأذهل الفئن، مع
إتقان ما أبان، وإحكام ما أظهر; فللم يُعتِر فيه بزل في قول أو عمل».

وقد كان العالم قبل البهجة يتخطى في ظلمات بعضها فوق بعض: ظلمة من
الجهل، وظلامة من دناءة الأخلاق، وظلمة من منكر الأعمال، فبعث الله
المصطفى ليخرج الناس من هذه الظلمات إلى نور يسعى بين أيديهم في الحياة
الأولى، ويهدويهم سبيل إلى السعادة في الحياة الأخرى.

طلع محمد صلوات الله عليه بكتاب موثق بالحكمة، مقوّم لأخلاق
مصلح لالأعمال، منظم لشؤون الحياة، تدبرته فئة قليلة، وأتخذه قائدها المطاع;
فكانت خير أمة جاهدت في الله فانتصرت، وغلبت فرحُمت، وحكمت فعدلت،
وساست، فأطلقت الحرية من عقالها، وفجرت المعارف ينابيع بعد نضوبها،
وأسألوا التاريخ؛ فإنها قد استودعته من مآثرها الغرّ ما بصر بضوته الأعمى،
وازدهر في الأرض ازدهار الكواكب في كبد السماء.

هذه حقائق لم يَنْح فيها خُو البالغة؛ فإن المصطفى صلوات الله عليه. قد

1 - ماظر محمد رسول الله وlexical الببيص ص 50.
2 - أعلام النبوة ص 263.
قضاء على عبادة الأوثان، والغلو في الخضوع لغير الواحد القهار، وقضى على الإخاد وإنكار الإله، فأصبح المؤمنون أما بعد أن كانوا أفراداً.
ولا يخفى أن الغلو في تعظيم غير الله جرى من عمل الشيطان، وأن الإخاد داعية الفسوق والطغيان، فلدعوهم محمد الفضل الأكبر في رفع النفس من حضيض الشرك إلى سماء التوحيد الخالص، ولها الفضل في تطهير النفس من خبث الإخاد الذي يشوه فطرتها، ويوفر أسباب شقوتها.
جاءد المصطفى الأجل، وشرّ الجهل عدم معرفة مبادئ الكائنات بحق، والتوجه إلى غيره في سائر القربات.
وجاءد الأخلاق الفضيلة، فكره للنفس الجزع، والجنين، والبخل، والصغار، والكبراء، والقسوة، والأثراء.
وكثيرة العصبة، والشجاعة، والكرم، والعزة، والتواضع، والرحمة، والإيثار.
점을 علّمها الصبر، فهان عليها كل عسير، وعلمها الشجاعة؛ فحفر أمامها كل خطير، وعلمها الكرم؛ فجاجزت في سبيل الخير بكل نفيس، وعلمها العزة؛ فسمت إلى كل مقام مجيد، وعلمها التواضع؛ فتألفت كل قلب سليم، وعلمها الرحمة، والرحمة رباط التآزر والتعاون على تكاليف الحياة، وعلمها الإيثار، والإيثار أقصى ما يبلغه الإنسان من مراتب الكمال.
رفع المصطفى أعلام العلم، وهدى إلى مكارم الأخلاق، ثم علّم الإنسان كيف يعمل صالحًا، ويعيش آمنًا، وهو الذي أوحى إليه بأصول تجعل الدنيا
الفصل الثاني: المبحث الأول: في رجاحة عقل النبي ﷺ وغزارة علمه

محكمة البناء، وآداب تكسوها رونقاً ويهاماً.(1)

بل لقد تظاهرت البراهين الحسية والعلمية والتجريبية على صدق ما جاء به الرسول ﷺ حتى في أشد المسائل بعدًا عن المحسوس، وأعظمها إنكارًا في العصور السابقة.

خذ على سبيل المثال قول النبي ﷺ: "طهر إناءً أحدثك إذا ولج(2) في الكلب

أن يفصل سبع مرات أو لا هم بالتراب".(3)

ولقد جاء الطب باكتشافاته ومكابراته؛ فأثبت أن في لعاب الكلب ميكروبات وأمراضًا فتاكة لا يزلها الماء وحده، وأظهرت البحوث العلمية الحديثة أنه يحصل من إنهاء التراب لهذه النجاسة ما لا يحصل بغيره.

وجاء أيضاً أن شرب الكلب في الإفطار يسبب ألمًا خطيرًا، فالكلب كثيراً ما تكون فيه ديدان مختلفة الأنواع، ومنها دودة شريطية صغيرة جداً، فإذا شرب في الإفطار، أو لمس إنسان جسد الكلب بيده أو بلباسه انتقلت بويضات هذه الديدان إليه، ووصلت إلى معدته في أكله، أو شربه، فتنثأ جدرانه، وتصل إلى أوعية الدم، وتصل إلى الأعضاء الرئيسية، فتصيب الكبد، وتصيب المخ، فينشأ عنه صداع شديد، وقيّ متواضع، وفقد للشعور، وتشنجات، وتشل في بعض الأعضاء، وتصيب القلب، فربما مزقته، فيموت الشخص في الحال.(4)

---
(1) انظر محمد رسول الله ﷺ وخاتم النبيين ص 198-9.
(2) الوثوق: الشرب بأطراف اللسان.
(3) أخرجه مسلم (279).
(4) انظر توضيح الأحكام من بلوغ المرام للشيخ عبدالله البسام 134/137-138.
ثم إن العلوم الطبيعية تؤيد الإسلام، وتؤكد صحته على غير علم من ذويها.

مثال ذلك: تلقين الأشجار الذي لم يُكتَشِف إلا من بعد عهد قريب، وقد نص عليه القرآن الذي أنزل على النبي الأمي منذ أربعة عشر قرناً في قوله تعالى:

أو أرسلنا الروح لُوقُف (الحجر: 33) وكذلك قوله تعالى: وأَنْبَتْنَاهُا مِنْ كُلِّ نَّفْسٍ نَزْوَجِينَ (الذاريات: 44)

وقوله: سُبُحَانَ الَّذِي خُلِقَ الأَزْوَاجَ كَلِهَا (بسط: 36).

فهذا كلام رب العالمين في القرآن قبل أن تبين لنا العلوم الطبيعية أن في كل نبات ذكرًا وأنثى.

ولقد اعتنق بعض الأوربيين الإسلام لما وجد وصف القرآن للبحر وصفًا وائيًا مع كون النبي ﷺ لم يركب البحر طول عمره، وذلك مثل قوله تعالى:

أو كَظَمَلَتْ فِي بَحْرٍ لَجِيٍّ يُغَشِّي مَوْجَ مِنْ فَوْحِ مَوْجٍ مِنْ فَوْحِ سَحَابٍ طَلْمَاتٌ (النور: 40).

وهناك إشارات كثيرة في علم الطب سواء في القرآن أو السنة، قال تعالى:

وَكَلَّا وَاشْتُروا وَلَا تَسْرُفُوا إِنَّهُ لا يُجَبِّ السَّمَرَفْينَ (الأعراف: 31).

قال العلماء: إن هذه الآية جمعت الطب كله؛ ذلك أن الاعتدال في الأكل والشرب من أعظم أسئاب حفظ الصحة.

ومن الإشارات لحفظ الصحة أن الإسلام حرم الحمر، ولا يُخفى ما في الحمر من أضرار صحية كثيرة، فهي تضعف القلب، وتفري الكلى، وتُمزق الكبد إلى

1 ـ انظر الطريق إلى الإسلام، للكاتب ص 386.
غير ذلك من أضرارها المتنوعة.

ومع ذلك: أن الإسلام حرم الفواحش من زنا ولوط، ولا يخفى ما فيهما من الأضرار الكبيرة، ومنها الأضرار الصحية التي عُرفت أكثر ما عُرفت في هذا العصر من: زهري، وسيلان، وهريس، وإيدز وحوها.

ومع حفظ الإسلام للصحة أنه حرّم حضنة الخنساء، الذي عرف أنه يؤدّ في الجسم أدوار كثيرة، ومن أخصها الدودة الوحيدة، والشعرة الخزونية، وعمّلهم في الإنسان شديدًا، وكثيرًا ما يكون السبب في موته.

ومع الإشارات في هذا الصدد ما عرف من أضرار الوضعوء، وأنه يمنع من أمراض الأسنان والأذن، بل هو من أهم الموانع للسل الروئي؛ إذ قال بعض الأطباء: إن أهم طريق لهذه المرض الفتاك هو الأنف، وإن أنفنا نُعمل في اليوم خمس عشرة مرة جّديدة بالآ نبقى فيها جرائم هذا الداء الوبيب، ولذا كان هذا المرض في المسلمين قليلًا؛ وفي الأفريج كثيرًا.

والطبيب أن المسلمين يتورؤون للصلاة خمس مرات في اليوم، وفي كل وضوء يغسل المسلم أنفه مرة أو مرتين أو ثلاثة.

ومع الأمثلة أيضًا ما رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يأكلوها، ولم يجمعوها في البيوت.

فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ فأنزل الله تعالى: «وَيَسْأَلُونَكُمُ أَيْنَ الْمَحِيضُ، قُلْ هُوَ أَذَى فَاعْتَلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ» إلى آخر الآية.

1 - انظر الطريق إلى الإسلام ص 3635.
قال ابن القيم: "وجماع الخائص حرام طبعاً وشرعًا، فإنه مضر جداً، والأطباء قاطبة تذذ منه".  

وجاء في تفسير المراغي: "وقد أثبت ذلك الطب الحديث، فقالوا: إن الوقائع في زمن الخيش يحدث الأضرار الآتية:
1- آلام أعضاء التناسل في الأثني، وربما أحدث التهابات في الرحم، وفي المبيضين، أو في الحوض تضر صحتها ضرراً بليغاً، وربما أدى ذلك إلى تلف المبيضين، وأحدث العقم.
2- أن دخول مواد الخيش في عضو التناسل عند الرجل قد تحدث التهاباً صديقاً يشبه السيلان، وربما امتد ذلك إلى الخصيتين فآذاهما، ونشأ عن ذلك عقم الرجل، وقد يصاب الرجل بالزهري إذا كانت جراهم في دم المرأة.
3- أن التهاب عضو التناسل، وعقم المرأة في هذه المدة قد يشهد العقم في الذكر أو في الأثني، وعلى الجملة فقربانها في هذه المدة قد يشهد العقم في الذكر أو في الأثني، ويؤدي إلى التهاب أعضاء التناسل، فتضعف صحتها، وكفى بهذا ضرراً.

ومن ثم أجمع الأطباء المحدثون في بقاع المومرة على وجوب الإبعاد عن المرأة في هذه المدة كما نطق بذلك القرآن الكريم المنزل من لدن حكيم خبير."

---

1. رواة مسلم (200).
2. زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم 4/34.
3. تفسير المراغي 318/317.318/317.
فمنذ ما جاء به -عليه الصلاة وسلم- يتفق مع الحقائق العلمية، وللهذا لا يمكن أن تتعارض الحقائق العلمية الصحيحة مع النصوص الشرعية الصريحة.
والإضافة إلى ذلك، فإن الواقع والواقع المعاصر، فإما أن يكون الواقع مجرد دعوى لا حقيقة لها، وإما أن يكون النص غير صريح في معارضته، لأن النص وحقائق العلم كلاهما قطعيان، ولا يمكن تعارض القطعيان.
ولقد قرر هذه القاعدة كثير من علماء المسلمين، بل لقد قررها كثير من الكُتَّاب الغربيين المتصدرين، ومنهم: الكاتب الفرنسي الشهير (موريس بوكياي) في كتابه (الكتاب واللغة والقرآن والعلم) حيث بُني في هذا الكتاب أن التوراة المُحرّفة، والإنجيل المُحرف الموجودين اليوم يتعارضان مع الحقائق العلمية، في الوقت الذي سجل فيه هذا الكاتب شهادات تفوق للقرآن الكريم سبق بها القرآن العلم الحديث.
وأثبت الكاتب من خلال ذلك أن القرآن لا يتعارض أبداً مع الحقائق العلمية، بل إنه يتفق معها تمام الاتفاق.

1 - انظر التوراة والإنجيل والقرآن والعلّم لموريس بوكياي ترجمة الشيخ حسن خالد.

فهذه نبذة يسيرة جداً تشهد بغزارة عقل النبي.
نيما محمد هو خير البرية، وأزكي البشرية، وأعلاها رتبة، وأجلىها قدراً، وأحسنها خلقاً، وأكرمه على الله مبكر و تعالى.

اختاره الله على علم، وأكرمه بالرسالة، وأيده بالوحي.

جبله على حميم الخلال، وفطره على كريم الخصال، ثم أدبه فأحسن تأديبه، فرباه فأحسن تربيته، فكان خلقه القرآن، كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها... عن خلقه لما ستلت عنه.

وإما أدبه القرآن مثل قوله تعالى: «خذ العَنْوَى وأمر بالَعْرَفْ وأعْرِضْ عَنْ العَجَالِينَ» (الأعراف، 199) وقونه تعالى: «إِنَّ اللَّهُ يُأْمِرُ بِالْعَمَلِ الْإِحْسَانِ وَإِيَّاْيَ النَّاسِ يُنْهِي عَنِ الْمُكَذَّبِينَ وَالْمُنْفَكِّرِينَ وَالْبَغْشِيْنَ» (النحل، 90) وقونه: «وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» (النمان، 17) وقونه: 

فَاعْفَ عَنْهُمْ وأصْمَحْ إِنَّ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» (المائد) وقونه: «فَاصْحَفْ الصَّفِّ الْجَمِيلِ» (الحجر، 85) وقونه: «وَلَمْ نَصْبْ وَغُفِّرْ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ» (الشورى، 43) وقونه: «أَدْعِي بَيْنَى هَيْنَ اِحْسَنْ إِنْذَا يَنْبِئُ وَيْبِئْ عَدَادَةً كَأَنَّهُ وَلِيّ حَمِيمَ» (فصلت، 34) وقونه: «وَالْكَاتِبِينَ الْعَظِيمِ وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» (آل عمران، 134) وقونه: «اجْبِئِيْنَ كَثِيرًا مِنَ الْظُّنْ» (الحج، 11)

إن بعض الظُنْ إِنْذَا لَمْ لَا يُجَسَّسُوا وَلَا يُعْتَبَّ بِعَضْكَمْ بَعْضًا» (الحج، 12).

وأمثال هذه التآديبات في القرآن كثير لا يكاد يحصر.

وهو عليه الصلاة والسلام. هو المقصود الأول بالتأديب والتهديد، ثم منه...
يشرق النور على كافه الخلق؛ فإنه أُذِب بالقرآن، وأذَّب الخلق به، ثم لما أكمل الله له خلقه أُثنى عليه فقال تعالى: 
«وَإِنَّكَ لَعَلَّ خَلْقٌ عَظِيمٌ» (القلم: 4). 
فسبحانه ما أعظم شأنه، وأهم امتتانه، انظر إلى عظيم فضله، وعميم لطفه;
كيف أعطى ثم أثني؟ (1)
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: 
«فَأَمَّا الخلق العظيم الذي وصف الله به محمدًا فهو الدين الجامع جمع ما أمر الله به مطلقاً، هكذا قال ماجده، وغيره وهو تأويل القرآن، كما قالت عائشة برضي الله عنها: 
كَانَ خَلْقِهِ الْقُرْآنُ» (2).

وحقيقة المبادرة إلى اعتقاد ما يعده الله تعالى - بطَبْيْ نَفْسٍ، وانسراج صدر». (3)
وقال ابن القيم في تفسير الآية السابقة: 
«قال ابن عباس وجاهد: لعلى دين عظيم، لا دين أحب إليَّ، ولا أرضي عندي منه، وهو دين الإسلام.
وقال الحسن: هو آداب القرآن.
وقال قتادة: هو ما كان يأمر به من أمر الله، ويهذي عنه من نهي الله.
والمعنى أنك على الخلق الذي أذكر الله به في القرآن » (4).
وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: 
«والخلق العظيم: هو الخلق الأكبر»

1 - انظر إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، 3/168.
2 - رواه مسلم (1246) من حديث هشام بن حكيم أنه سأل عائشة برضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ.
3 - جمع الفتاوى لابن تيمية 6/158.
4 - مدارج السالكين في منزل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم 2/289.
فيع نوع الأخلاق، وهو البالغ أشد الكمال المحدود في طب الإنسان؛ لاجتماع مكارم الأخلاق في النبي ﷺ فهو حسن معاملته الناس على اختلاف الأحوال المقتضية لحسن المعاملة; فأخلاق العظيم أرفع من مطلق الخلق الحسنٔ(١).

وقال: «علم أن جماع الخلق العظيم الذي هو أعلى الخلق الحسن هو التدین، ومعرفة الحقائق، وحلم النفس، والعدل، والصبر على المتأكل، والاعتراف للمحسن، والتواضع، والزهد، والعفة، والعفو، والجود، والحياء، والشجاعة، وحسن الصمت، والتوبة، والوقار، والرحمة، وحسن المعاملة والعارة ونهاة كامنة في النفس، ومظاهرها تصرفات صاحبها في كلامه، وطلاقة وجهه، وثباته، وحكمه، وحركته وسكونه، وطهارته وشرابه، وتأديب أهله ومن لِنظره، وما يرتبط على ذلك من حرمته عند الناس، وحسن الثناء عليه والسمعة، وأما مظاهرها في رسول الله ﷺ فهي ذلك كله، وفي سياسته أثنه، وفيما خص به من فصاحته كلامه، وجوامع كلمتهٔ(٢).

قال أحمد شوقي في همزمته اليبويةٔ(٣):)

يا من له الأخلاق ما تهوى العلا ومنها وما يتعشّق الكبار

لا يلزمُ ديناًّ لقالمة وحدها

يا من له الخلق العظيم شمان يُفرِّقه وَليْلَع الكرماة

لا يستهين بفَتاءك الجهلاءٔ
وإذا حرصت فانان في أم أو أبو
وإذا غضبت فإنما هي غضبة
وإذا رضيتم فذاك في مرضاته
وإذا خطبتم فللمنابه هنزة
وإذا قضيت فلا إرتبات سكانا
وإذا حميست الماء لم يعود ولو
وإذا أجرت فانت بيت الله لم
وإذا ملكت النفس قمت ببرها
وإذا بنت فخيم روج عشيرة
وإذا صحت رأى الوضاء مجسمًا
وإذا أخذت العهد أو أعطيته
وإذا مشيت إلى العدا ففسفُت
وإذا جريت فإنك الكلباء
حتى يضيق برضك السفهاء
ولكل نفس من سطاك مهابة
والراي لم ينض المهند دونه
وقد كتب العلماء -رحمهم الله- في شمائل النبي ﷺ وأخلاقه، فحدثوا عن
حلمه، وعفوه، ورحمة، وشفته، وحيته، وشجاعته، وجوده، كرمه،
وصدقه، وبره، ووفائه، وأمانه، وإشارة، وتوضعه، ولين جانبه، وكرم
معهره، ونعو ذلك مما بلغ به الذروة في كل خلق كريم.

1. التكية: ريح بين يديين.
فمن تأسي به، وخلقه كان في أعز جوار، وأمنع ذمار. فيحسب متابعته تكون العزة، والكفاية، والنصرة كما أن يحسب متابعته تكون البداية والفلاح والنجاح؛ فنال مسحانة علق سعادة الدارين متابعته، وجعل شقاعة الدارين في حلفته.

فلأتباعه الهدى والأمن، والفلاح، والعز، والكفاية، والنصرة، والولاية والتأيد، وطيب العيش في الدنيا والآخرة والمخاليفة الذلة، والصغار، والحلف، والضلال، والخشون، والشقاء في الدنيا والآخرة(1).

فسط شمائله الخميدة، ونشر أخلاقه الكريمة - من أمثل الطرق، وأقوم السبيل لحكم الفساد، وكسر شوكة الباطل، بل إن ذلك مرتقي العز، وسلم السعادة، وسبي التأسي.

و فيما يلي من أسطر ذكر لبعض ما رقمه أقلاع العلماء في أخلاق النبي وذلك على سبيل الاختصار والاختزال، دون ذكر للأسانيد، أو إكثار من الإحالات; إذ المقام ليس مقام إطالة وإسهام.

فمما قبل في أخلاقه - عليه الصلاة والسلام - ما يلي:

كان أحلم الناس، وأشجع الناس، وأعدل الناس، وأعف الناس، وكان أسعى الناس، لا يبيت عندن دينار ولا درهم، وإن فضل شيء ولم يعد من يعطيه وفاجأ الليل لم يأوى إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه.

---

1 - انظر زاد المعاد لابن القيم 37/1.
وكان لا يأخذ ما آتاه الله إلا قُوت عامه فقط، وكان ذلك أيسر ما يجد من
التمر والشعر، ويرضى ذلك في سبيل الله، ولا يسأل شيئًا إلا أعطاه، ثم يعود
إلى قوت عامه، فيؤثر منه حتى إنه ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء.
وكان يُحفِّص النحل، ويرفع الثوب، ويخدم في مَهَّة أهله، ويقطع اللحم
معهن، وكان أشد الناس حياءً، لا يثبت بصريه في وجه أحد
وكان يجيب دعوة العبد والحر، ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لين، أو فخذ
أربض، ويكافئ عليها، وياكلها، ولا يأكل الصدقة، ولا يستük عن إجابة
دعوة الأمة والمسكين.
يغضب لربه، ولا يغضب لنفسه، وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع،
ومرة يأكل ما حضر، ولا يرد ما وجد، ولا يتورغ عن مطعم خلال، وإن وجد
تمراً دون حز أكله، وإن وجد شواء أكله، وإن وجد خبز بر أو شعبير أكله، وإن
وجد حلواً أو عسل أكله، وإن وجد لبناً دون خبز أكثفي به، وإن وجد بطيخاً أو
رطبأً أكله.
وكان يعود المرضى، ويُشهد الجنازة، ويَشي وحده بين أعدائه بلا حارس.
وكان أشد الناس تواضعاً وأسكرهم من غير كبير، وأبلغهم من غير تطويل،
واحسنهم بشراً، لا يهوله شيء من أمور الدنيا.
يلبس ما وجد، فمرة شملة، ومرة برَّد حِبرةً مُنذِلًا، ومرة جبَّة صوف، فما
وجد من الملابس
يركب ما أمكنه، مرة فرساً، مرة بعيراً، مرة بغلة شهباء، ومرة حمارًا,
ومرة يمضي راجلاً حافياً.
يجلس الفقراء، ويأكل المساكين، ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم، ويتألف
أهل الشرف بالبر لهم، يصل ذوي رحمه من غير يؤثرهم على من هو أفضل
منهم.
لا يجفو على أحد، يقبل معذرة المعتذر إليه، يزح ولا يقول إلا حقًا،
يضحك من غير قيقدته، يسابق أهله، ترفع الأصوات عليه فصير.
وكأن لا يمضي له وقت في غير عمل الله تعالى - أو فيما لا بد له منه في صلاح
نفسه.
لا يختر مسكيناً لفقره وزمانته، ولا يهام ملكاً لملكه، يدعو هذا وهذا إلى الله
دعاء مستوىً، قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة، والسياسة النادرة وهو أمي
لا يقرأ ولا يكتب.
نشأ في بلاد الجهل والصحاري في فقره، وفي رعاية الغنم يتماً لا أب له،
فلعله الله تعالى - جميع محسن الأخلاق، والطرق الحميدة، وأخبار الأولين
والآخرين، وما فيه النجاة والفوز في الآخرة، والغيبطة والخلاص في الدنيا،
ولزوم الفضل، وترك الفضول.
ما شتم أحداً من المؤمنين إلا جعل لها كفارة ورحمة، وما لعن امرأة قت، ولا
خادماً بلغته.
وما ضرب أحداً بيده قت، إلا أن يضرب بها في سبيل الله تعالى - وما انتم
من شيء صنع إليه قت إلا أن تنتهك حرمة الله، وما حِير بين أمرين إلا اختيار
أيسرهما إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم، فيكون أبعد الناس من ذلك.

وأما كان يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة إلا قام معه في حاجته.

ولم يكن فظاً ولا غليظاً، ولا صخباً في الأسواق، وما كان يجري بالسيدة السيدة ولكن يعفو ويصفح.

وكان من خلقه أن يبدأ من نفيه بالسلام، ومن قادمه حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف.

واما أخذ أحدّ بيده، فيرسل بيه حتى يرسلها الآخر، وكان إذا لقي أحداً من أصحابه بدأ بإلتهاب، ثم أخذ بيده، فشافه، ثم شد قضبه عليها.

وكان أكثر جلوسه ينصب صاحبه جميعاً، ويستعدها عليه شبه الجبل، ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه؛ لأنه كان يجلس حيث انتهى به المجلس، وما رؤي قط ماداً رجليه بين أصحابه؛ حتى لا يضيق بها على أحد إلا أن يكون المكان واسعاً لضيق فهو.

وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليس بينه وبينه قربة ولا رضاً مجلسه عليه.

وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تحته، فإن أبي أن يقبلها عزم عليه.

حتى يفعل.

واما استصافه أحد إلا ذئ أن أكرم الناس عليه، وكان يعطي كل من جلس إليه نصيبه من وجهه، وسمعه، وحديثه، وليف محاسنه وتوجهه.

وجلس مع ذلك مجلس حياة وتواضع وأمانة.

ولقد كان يدعو أصحابه بكناهم؛ إكراماً لهم، واستمالته لقلوبهم، وكان يكتنّي

الفصل الثاني: البحث الثاني: في عظمة خلق النبي
من لم تكن له كنية، فكان يدعى بما كاتبه، ويكتي أيضاً النساء اللاتي لهن أولاد، واللاتي لم يلدبن بيئئ لهن الكني، ويكتي الصبيان، فيستيلن به قلوههم.
وكان أبعد الناس غضباً، وأسرعهم رضاً، وكان أراف الناس بالناس، وخير الناس للناس، وكان لا يهاشه أحداً ما يكرهه.
هذ بعض أخلاقه وسمائله، رزقنا الله حسن اتباعه، والاتضاء به، والاهتداء بهديه. (1)

---
1 - انظر الشمائل المحمدية المتمدنية ص 186-283، 262-280، إبراهيم اليعقوبي 1/111-268، وأخلاقي النبي لأبي الشيخ الأصبهاني تحقيق جعفر الدين الصباغي ص 13-88، ودلالات النبوة لأبي نعيم ص 551-556، وإحياء علوم الدين 5/357-386، وشمائل الرسول ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه لأبين كثير 73/1.
الفصل الثاني: المبحث الثالث: في إخلاص النبي ﷺ وصدق عزيمته

المبحث الثالث: في إخلاص النبي ﷺ وصدق عزيمته

أولاً: إخلاص النبي ﷺ لربه:
كان عليه الصلاة والسلام أشد الناس إخلاصاً لربه ﷺ وعلاء. وكيف لا يكون كذلك، وهو الذي أُوحِى إليه ربه ﷺ: "ليُشرككُ نَجْحَطْكَ وَلَكُنْ تَقْبَلْهُمْ مِنْ أَخْبَارِهِمْ (165)" (الزرور).

واتَ أُوْحِي إِلَيْهِ "بِلَلّٰهِ فَاعْبَدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاَكِرِينَ (166)" (الزرور).

واتَ أُوْحِي إِلَيْهِ "وَمَا أُمَرْوَا إِلَّا لِيُبَيِّنُوا اللّٰهَ مُخْلَصِينِ لَهُ الْذِّينَ لَهُ الْذِّينَ" (البيئة: 5).

كيف لا يكون كذلك وهو القائل: "إِنَّا الأَمْعَالُ بَالْنِيَاتِ وَإِنَّا لَكُلْ أَمْرٍ مَا نَوِيْ" (1).

كيف لا يكون كذلك وهو الذي يروي عن ربه قوله -عج وجل-: "أَنَا أَغْنِي
الشَّرَكَاءُ عَنِ الشَّرَكٍ؛ فَمَنْ عَمَلَ عَمَلًا فَأُشَرِكَ فِهِ غَيْرُ فَأُصِيبُهُ بِهِ، وَهُوَ
لِلذِّي أُشَرِكَ" (3).

ولو أراد أحد تفصيل مظاهر إخلاصه لطال بله القلم، والجاهل لا يتسع لذلك،
وفيما يلي ذكر شيء من تلك المظاهر التي يتجلى بها إخلاصه الذي هو روحو
العظيمة، فمن ذلك ما يلي:

١- صفاء سيرته: فقد كان صافي السيرة لا يُغيظ إلا هدياً، ولا يُنوي إلا

١- أخرجه البخاري (1).

٢- أخرجه مسلم (2985).
إصلاحاً؛ فلم يكن يريد العلَو في الأرض، ولا صرف وجه الناس إليه.

2- سلامته من الأغراض الشخصية، وترفعه عن الطاعم الدنيوية: فما كان صلوات الله وسلامه عليه- خاملاً، يطلب بهذه الدعوة نباهة شأن ووجاهة؛ فإن في شرف أسرته، وبلاغة منطقه، وكرم خلقه ما يكفيه لأن يحرز في قومه الرعامة لوضاء.

وأما ما كان مقتلاً حريصًا على بسطة العيش؛ فيبغي بهذه الدعوة ثراءً، فإن عيشه يوم كان الذهب يصب في مسجد ركاماً لا يختلف عن عيشه يوم كان يلاقى في سبيل الدعوة أذي كثيراً، وعيشه يوم كان يتعبد في غار حراء كعيشة يوم أطلت رايته البلاد العربية، وأطلت على مالك قيصر من ناحية تبوّك.

3- قوة إقباله على الله -عز وجل-. فقد كان مملوء القلب بخشية الله -جل وعلا- موصول الهمة بعبادته؛ فكان -عليه الصلاة والسلام- يقوم بالدعوة، ويضيف إلى هذا العمل العظيم التقرب إلى الله -تعالى- بالذكر، والصلاة، والصيام، وتلاوة القرآن.

وكان يتهجد بالليل على وفق قوله -تعالى:- «وَمَنْ الْيَلِدَ فَهُدِيَهُ بِقَاطِعٍ لَّكَ عَسَى إِنَّ مَعَ رَبِّكَ مَقَامًا مَّحُمُّدًا (79)» (الإسراء).

جاء في الصحّحين عن المغيرة بن شعبة ، أنه قال: «إن كان النبي ﷺ يقوم ليصلِي حتى ترم٣ وقدماه فيقال له، يقول: «أنا أكون عبادًا شكورًا». 

1 انظر محمد رسول الله ومحات النبيين ص 135.

2 تنتَص.
فإن العمل جمعه: وأيكم يطبق ما كان رسول الله ﷺ يطبق؟

1 - أخرجه البخاري (1864 و1866 و1105)، ومسلم (2821 و1102).
2 - ينص الليل بالنهار في الصوم يومين أو أيام.
3 - أخرجه البخاري (1864 و1866 و1105)، ومسلم (2821 و1102).
4 - انظر محمد رسول الله ﷺ، يحيى البصيني ص 69-70.
5 - أخرجه البخاري (1886).
فصول الثاني: المبحث الثالث: في إخلاص النبي ﷺ وصدق عزيمته

ولو لم يكن محمد ﷺ صلوات الله عليه مخلصًا في ما يفعل صادقًا فيما يبلغ لما استطاع أن يملا الليل والنهار بعبادت يأخذ بها نفسه في الحضر والسفر، ويعم
بها في العلن كما يقوم بها في حجرته وأهل الحجرة نائمون.

4- زهده في الدنيا: إذ لو كان للشهوات عليه من سبيل لذهب به في إبقاء
العيش الناعم مذهب أولئك الذين يتظاهرون بالىهد إذا لم يجدوا; حتى إذا ما
أيسروا، ورأوا زهرة الحياة الدنيا طوع أينانهم خلعوا ثوب الزهد، وتحولوا إلى
طبيعة الشتر كثيرًا أو قليلاً.

قال القاضي عياض ﷺ: «وأما زهده في الدنيا فقد تقدم من الأخبار في هذه
السيرة ما يكفي.

وحسبك منه تقلله منها، وإعراضه عن زهرتها، وقد سبقت إليه بجذافها،
وتزداد عليه فتوحها إلى أن توفي ودرعه مرحونة عند يهودي في نفقه عياله». ٨
أما تعدد زوجاته -عليه الصلاة والسلام- فلا ينافي زهده؛ فقد كان لمصالح
جليلة، ومقاصد نبيلة.١٠٤)

---

1- انظر شمائل الرسول ص ١٣٨-١٣٥/١۳٨٠-١٩٦٧.
2- الشهر ١٧٩/١٨٠.
3- انظر الشفا ١٨٨-١٨٤/١٩٠٤-١٩٠٣، وشمال الرسول ص ١٢٤-١٢٤/١٩٠٤-١٩٠٥.
4- يقول الشيخ محمد ﷺ بهجة البطار، مبيناً شيئًا من تلك الحكمة: »لو رجعنا إلى التاريخ الصحيح
في أزواج النبي ﷺ، أمهات المؤمنين، لعلمنا أن التعدد، أو الجمع بين السع، لم يكن إلا بعد هجرته
إلى المدينة في السنوات العشر الأخيرة من عمره. «
- أما في مكة فقد عاش فيها قبل الهجرة ثلاثة وخمسين عاماً، لم يجمع في أثنتين بين زوجتين قط،
والسيدة خديجة التي كانت أولى أزواجه وأم أولاده -عدها إبراهيم- فإنه من ماراقطعية. قد تزوج بها
وهي امرأة في الأربعين من عمرها، وهو في الخامسة والعشرين من حياته الشرفية، في نضارة الصبا،
وربعانة زهوة، وجمال الطلعة، وكمال الرجولة، وعاشت معه 35 عاماً، ثم توفيت وهي عجوز في
الخامسة والسنين من عمرها.

قضى حياة الشباب، وسُنَّ الحاجة إلى النساء مع خديجة، المرأة التي تزوج عنها في السن خمسة
عشر عاماً، ولم تزوج عليها، ولا أحب بعدها أحدًا أكثر من جمه لها، وكان طول حياتها يذكرها،
ويكرم صديقاتها وعارفاتها، واقال فلانت له عاشقة: هل كانت إلا جزءًا أبلذك الله خيراً منها تعني
نفسها، وكانت تتنبّ بنجاحها وجمالها، وكونها بنت صديقة الأول، وصديقة الأكبر أبي بكر. قال: فغضب، وقال: وَاللَّهُ مَا أَبْدَلَني خِبْرًا أَنْمُتْ بِهِ إِذْ كَفُرَ النَّاسُ، وصَدِقْتِنِي إِذْ كَلَّبَني
الناس، وواسيتني بالبِلاوَة إِذْ حَرَمْتِ النَّاسَ، ورزقُتْ نِيَّة هِيْنَا الْوَلْدَ دُون غَيْرَهَا مِن النِّسَاءِ.

من هذا الشاهد تعلم أن عُنطَها لا تظير لها، ولو شاء لتنزوج بحصن الأكبر، أو لو شاء لتنزوج
على خديجة كما كان يفعل غيره، لا إما أن تعدد النساء كان في الجاهلية شائعاً جدًا، وليس له حدٌ
معين، ولكنه عفّ ضميره، ولم يلد عينه إلى زهرة الحياة، ويئتها. أما بباقي أزواجه فخمَس من قرش، وهمّ عاشته بن أبي بكر، وحفلته بنات عمر، وأم حبيبة
بن أبي سفيان، وزوجته زادة، وأم سلمة بنت أمية، وأم الأربع الباقينات فهي نصف بنت حي
الخبرية، وهمونه بنت الحارث الخياطية، وزببنت جمجمة، وجويرية بنت الحارث
المطلقة، وليس فيهنّ كلهم بكرٌ إلّا عاشته.

والحكمة في تزوجه بعد هجرته إلى المدينة بضع نسوة في بضع سنين هو العناية بإصلاح البيوت،
وتهدئة النفوس، ونشر الفضيلة، وأن تكون أزواجه قدة حسنة لجميع النساء في ثقلي العلم،
والحكمة، والرحمة، والقوّة والعبادة، والتربيّة والتعليم. ثم شرع في بيان عدد من الحكم، وحزم كلاهه بقوله: فأتى ترى أن النبي ﷺ قد قصر على
أزواجه الظاهرة، وحزم عليه أن يبد عنيته إلى غيرهن بالزيادة أو التبدل، بخلاف رجال أمته الذين

ثانياً: صدق عزيمته

أما صدق عزيمته فيتجلى من خلال كثير من المواقف التي مر بها -عليه الصلاة والسلام- ومن ذلك -على سبيل المثال لا الحصر- ما يلي:

1- صدق عزيمته في احتماله للشدائد والمَلََ٤ْطْوَبِْ: فإنه كان يلقاها يقلب لا يخضع للنواب، وعزم تزول الرسومات ولا يزال.

وأقرب مثل يُساق على هذا الخلق الجليل واقعة أحد التسليط الله بأن يبلو فيها المسلمين، ويُميز بها المناقشين من المؤمنين، فقد لقي فيها رسول الله بأسباً شديدًا وكسرت فيها ربابته، وجرحت وجنته وشفتها، وملف فيه أفطع تمييز، ولكنه حذر -عليه الصلاة والسلام- أن يظن المشركون به وبأصحابه وهذا:

- أبيع لهم التعدد بشروط، وكذا التطبيق، وأن يستدلو بأزواجهم غيره، إذا، فقد قصر النبي

على دائرة ضيقة من الأزواج، وكانت الأمه في دائرة أوسع منها.

أهذا الذي يسمونه متعاً بنساء أو الأزواج؟

نساء كلهن ثوابات -عذ السيدة عائشة- ومنهن من لما أولاد، تزوجهن عقوله الله عليه، في سن الكهولة أو الشيخوخة، حين الحاجة إلى التبليغ والتعليم، وربما كان التزويج بين كلهن قبل تزول آية التحديد بأربع نسوة، فهي قد نزلت في السنة الثامنة للمجرة، وكان تزويجها آخرهن ميمونة بنت الحارث البيلالية في أواخر ستة سبع منها، وحرم عليه تطبيقه؛ لأنهن قد أخثرن ما عند الله على زهرة الحياة الدنيا وزيتها، على أنهن قد صرن أمهات المؤمنين، فما القائدة من طلائفهن وهن حرام على الرجال؟

أوليست الحكمة في بقائهن عند هذا الزوج الكريم، والرسول العظيم معلمة، ومعلمة، وعياً على في البر والقوى وسائر الصالحات؟ بل هي ثم لها.

انظر كتاب: محمد يهودي البصائر، إعداد الأستاذ علي الرضا الحسيني ص 36-28، ومحمد المثل

الكامل ص 231-259.
وتدور نشوة الانتصار في رؤوسهم، فيهموا بالعودة إلى المدينة، ويطعموا في استقبال من فيها من المسلمين، فقصد إلى أن يبريقهم وعزمًا، فبعث في الغد من بنادي في الناس بطلب العدو، ويوذنهم أن لا يخرج معهم إلا من شهد الوقعة بالأمس، فتندب منهم سبعين رجلاً، فخرج بهم يقفو أثر القوم حتى بلغ القوم مكانًا يقال له (حمراء الأسد) فألقي الله الرعب في قلوب المشركين، فانصرفوا إلى ديارهم، وانقلب رسول الله والذين معه إلى المدينة، وقد أمنوا ما كانوا يحرون. (1)

٢ - صدق عزيته في احتمال الأذى: حيث يلعى صبره عليه الصلاة والسلام. وقوة عزمه ساعة يعتدي عليه السفهاء من خصوم هديته، فإنه كان يقابل أذاهم بالتجلد والمضي في الدعوة كيف يشاء، ولنُشُد ما لقي من الأذى، فلم يحجم به يومًا عن أن يضرب بالدعوة في وجه أولئك الجبابرة. (2)

٣ - صدق عزيته في مقابلة الإساءة بالإنسان: فكان صلوات الله وسلامه عليه يقابل الإساءة بالرفق والانثانية. جاء في صحيح الصحيحين أن رجلاً أتى النبي ﷺ يتقاضاه، فاغلظ له في القول، فهَّم به أصحابه، فقال: «دعوه، فإن لصاحب الحق مقالًا». (3)

وجاء في الصحيحين أن رهطاً من اليهود دخلوا عليه وقالوا: «السام عليكم»

---

١ - انظر محمد رسول الله وخلايث النبيين ص ١٧١.
٢ - انظر محمد رسول الله وخلايث النبيين ص ١٦١-٢١٧.
٣ - البخاري (٣١٨٧٦ و ٣٥١ و ٤٢٦ و ٤٣٧ و ٤٣٧ و ٤٣٧) ومسلم (١٦٠).
محرفين كلمة (السلام) إلى (السام) والسام الموت، فلم يزد رسول الله على أن قال: «وعليكم».

وأما ردّت عليهم أم المؤمنين عائشة بقولها: «وعليكم السلام والعنا» قال لها:

»مهالاً يا عائشة إن الله يحب الرفق بالأمر كله«. (1)

و جاء في صحيح البخاري أن عائشة -رضي الله عنها- تصف رسول الله ﷺ، فقال: «والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتي إليه قط؛ حتى تتهلك حرمات الله، فينتقم له». (2)

وإذا تقصّب سيرته بختٍ وتنقيباً، وجدت مرضِّه لما وصفته به أم المؤمنين من الرفق والحلم، فما عاقب -عليه الصلاة والسلام- أحداً مسه بأذى، ولا اضطُّن على أحد أغلظ له في القول، بل كان يلقي الإساءة بالحسنى، والغلظة بالرفق، إلا أن يتعبد الشر، فيلقي في سبيل الدعوة حجرًا أو يحدث في نظام الأمة خللاً، فلمحمد ﷺ يؤمن شأنه الذي يقول فيه: «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها» (3).

4 - صدق عزيته في الاعتدال حال السراء والضراء: فتراه كالعلم الشامخ حين تمسه الضراء؛ حيث تهب عليه عواصف البلاء، فلا تلقي إلا قبلاً صابراً، وقديماً ثابتاً، ويتكفي شاهداً على هذا ما كان يلقيه في بعض غزواته من شدائد، فلا

---

1 - البخاري (5688 و 5683 و 5901 و 5902 و 6038 و 6238) ومسلم (3165).
2 - أخرجه البخاري (2136).
3 - أخرجه البخاري (3288 و 4053 و 6406) ومسلم (1688).
4 - انظر محمد رسول الله وحاتم النبيين ص 77، وموضوعة نظرة التعميم 2/04387 و 3399.
يكون من هذه الشدائد إلا أن تؤكد عزمه، وتشد أزره، وتزيد داعية توكله على
الله قوة.

وكذلـك ينبغي للمسلم أن يواجه البأساء في صبر ووقار، ويعمل على كشفها
ما استطاع، ويضيف إلى هذا الدواء الناجح الاعتماد على من بيده ملكوت كل
شيء؛ فقد قال تعالى: "لقد كَانَ لَكُمْ في رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ (الأحزاب: 32)
(الأحزاب: 32).

هـذا شأنه في الحشوـب، أما إذا أفقـس الله عـليه نعمة فإنها تنزل بآرـض طيبة
المبتء؛ فـلا تثـم إـلا شـكراً، وـمن شـكروا للـنعمة أن لا يتعاظم بـها، أو يلبس في
معاملة الناس حـالةً غـير ما كان يلبسـه قـبلها.

وـقد كـان حـالة في الـزهد والـتوـضع بعد فتح مـكة وـغيرها من البـلاد كحاله
يـوم كـان يدـعو إـله وحيدًا وـسفهاء الأحلام في مـكة يـسخرون منه
ويضحكون.(1)

قال المواردي محدثاً عن هذا المعني في سيرة النبي(1): "والخصيلة الثانية:
ثباته في الشدائد وهو مطلوب، وصبره في البأساء وهو مكروب ومحروب، ونفسه
في اختلاف الأحوال ساكنة، لا يجوز في شديدة، ولا يستكن لعظيمة أو كبيرة،
ويقدر على الخلاص، وهو بالشر لا يزداد إلا اشتداداً وصيراً، وقد لقي بـمعكة ما

---
1 - انظر محمد رسول الله وخدام النبيين ص1-101-102.
يشيب النواصي (1) ويهد الصياصي (2) وهو على الضعف يصاب صبر المستعلي، ويثبت ثبات المستولي (3).

5- شجاعته المتناهية: فلم تنتهي إليه الشجاعة بسرا، ومن مواقفه البطولية ما كان من أمر الحبجنة وذلك لما اجتمعت عليه قريش ورتمه عن قوس واحدة، وأجعست على قلته، والقضاء على دعوته، فما كان منه إلا أن قابل تلك الخطوب بيشين رابط، وحين طلق، وعزم لا يتوي.

واحش نجوم الناس عن كنها جبين رسول الله إذشاهد الزحفاً

ولم كان ذلك ذهب ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم تكن تأخذ رهبة من أشياع الباطل وإن كثير عددهم، بل كان يقاتهم بالنفثات القليلة، وينفوج عليهم فوزًا عظيماً، وكان يقابل الأعداء بوجهه، ولا يبولهم ظهره، وإن تزلج جنده، وانصرفوا جميعاً من حوله.

وكان يتقدم في الحرب حتى يكون موقفه أقرب موقف من العدو، وإذا انتقدت جمرة الحرب، واشتدت لهبها أوى إليه الناس، واحتموا بظله الشريف، فلم يكن يتورى من الموت، أو يقذب عند لقائه، كيف وهو يبقن أن موت هو أنتقال من حياة مخلوطة بالمتاعب والكارة إلى حياة أصفي لذة، وأحق راحة، وأبقى نعماً؟ (4)

6- قيامه بصغار الأمور وكبارها: فتراه لا يقدر شيئًا من الأعمال التي ترضي الله، وتتفتح الناس، فهي الوقت الذي يقوم فيه جلال الأعمال من تركية الأمه.
وتدبير شؤونها، ومن قيامه بعبادة ربه في الليل وأطراف النهار، ومن تبيينه الحلال والحرام، وإخضاع الناس في الصلاوات إلى غير ذلك من تذكير الغافلين، وإرشاد الضايدين، وعذاب العارفين، وتشيير المنتمين، والفصل بين المتخاصمين تراه مع ذلك كله ينظر في شؤون منزله، ويسوس آل بيته في رفق وعدل، بل تراه لا يغفل ملاحظة الصغار، وإلقاء السلام على الصبيان.

و لم يكن أحد يلتهب عن أحد صاحبه ود الناس أطفال

---

1 - انظر محمد رسول الله وحاث النبي ص 130.
لا ريب أن حسن البيان، وفصاحة المنطق، وبلاغته من ضروب العظمة الحاملة على إجلال صاحبها.

وغير خاف أن النبي ﷺ قد بلغ الذروة في ذلك الشأن؛ فقد أخرز من خصائص الفضاحِة والبلاغةِ الغاية التي ليس وراءها لمخلوق غاية، فأنظرُوا إن شئتم إلى مخاطباته وخطبه، وما يضرة من الأمثال، وينطق به من جوامع الكلم تجدوا جزالة الفضاحِة، وبثة التركيب، وسهولة المأخذ إلى رفعة الاسلوب، إلى حكمة المعنى.(1)

أما حديثك في العقول فمشعَّ، هو صيغة الفرقان نفحتُ قدسه جرّت الفضاحه من ينابيع النهي في بحرة السواقيين به على قال القاضي عياض: وأما فصاحة الساسان، وبلاغة القول فقد كان من ذلك باخل الأفضل، والوضعي الذي لا يجهل، سلاسة طبع، وبراعة منزع، وإيجاز مقطع، وفضاحة لفظ، وجزالة قول، وصحة معان، وقلة تكلف، أتت جوامع الكلم، وخص بردائع الحكم.(2)

---

1 - انظر محمد رسول الله وحاتم النبي ص ٣٠٦.
2 - الشوفي ٣٧/١.
3 - الشفا ٥٥/١، وانظر أعلام النبوة ص ٣٦٦.
ولقد كان يتبع في الأساليب، ويراعي مقتضيات الأحوال، واستخدم أنواع التأثير التي سبقت كثيرًا من النظريات والدراسات الحديثة في فن الخطابة، والإلقاء، والتأثير في الناس.

ولو اتبرى دارس جمع شيء من ذلك لظفر بما لا يخطر بالبال من تلك المادة.

وإليك فيما يلي شيئًا من هذا القبيل مما يؤكد مرتبتة العالية في البيان والتأثير.

1- أنه يحدث الناس بما يعرفون: إذ من السياسة والحكمه في الدعوة أن يُخاطبَ كل قوم بما يفهمون، وأن يُتحامي مخاطبةً أخرً بما لا يتحمله عقله؛ فذلك أدعى لقبول الوعظة، والبعد عن مواطن النفرة والتذكيب.

وأما يعين على فهم السامعين، وعقلهم لما يلقى إليهم، ووقوعه في قرارات نفسه أن تكون الوعظة بألقاظ مأهولة، وتأليف محكم، ومعان بارزة. وهكذا كانت مواطن النبي ﷺ وخطبه؛ فهي مصوغة بألقاظ مأهولة، ومعان قربة المأخذ.

وهي مع قرب معانيها من أذهان الجمهور قد حازت في مراقي البلاغة الأبد الأساسي (1).

ومن تحدث الناس بما يعقلون أن يكون الكلام ملائماً للكافة الطبقات، فلا يحسن بالخطيب أن يتعرض في خطبه إلى المسائل التي قد يتعثر فهمها على كثير منهم، أو أن يتناولوها على غير وجهها.

وكانت خطب الرسول ﷺ جارية على هذا النحو؛ بحيث يستوي في فهمها.

---

1- انظر محمد رسول الله ﷺ والمثالي النبوي ص185.
الطبقات المختلفة دون أن يجدوا فيها ما ينوب عنه الفكر، أو يحار فيه العقل.(1)

3- مراعة المدة الزمنية للخطبة، والميل إلى الإيجاز والاقتصاد: فما كان يطيل في أغلب خطبه؛ لأنه يخشى على الناس الملل.

وكان خطبه مع قصرها، ملهمة بالحكمة، والوعظة الحسنة؛ إذ نجى حافلة بجوامع الكلم، والجمل التي تجري على الألسنة مجري الأمثال.(2)

جاء في صحيح مسلم عن جابر بن سمرة: قال: "كنت أصلي مع رسول الله فكانت صلاته قدضاً، وخطبه قدضاً".(3)

ومعنى "قدضاً": أي موسط بين الإفرط والتفرط، وبين التقصير والعوول.

وفي صحيح مسلم عن أبي وائل قال: "خطباً عمارًا فأوجز، وأبلغ، فلما نزل قلت: يا أبا البقاظ! لقد أبلغت، وأوجزت، فلو كنت تنفسَت، فقال: "إني سمعت رسول الله يقول: "إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبة مثناً من فقهه؛ فأطيلوا الصلاة، وأقصروا الخطبة، وإن من البيان سحراً".(4)

ومعنى قولهم: "لو كنت تنفست": أي أطلت قليلاً.

ومعنى: "مثناً من فقه": أي علامة.(5)

ومع أن هذا هو دأب رسول الله في خطبه ومواعظه - فهو يطيل في بعض

---

1 - انظر محمد رسول الله وخاتم النبيين ص 187.
2 - انظر محمد رسول الله وخاتم النبيين ص 185.
3 - مسلم 866.
4 - انظر مفاهيم المذاهب الملا علی قاري 3/ 498.
5 - مسلم 869.
6 - شرح النووي على صحيح مسلم ص 568.
الفصل الثانى: البحث الرابع: في حسن بيان النبي ﷺ

الأحيان من اقتضى الحال الإطالة.

جاء في صحيح مسلم عن عمرو بن أخطب ﭼ: قال: "صلى زن رسول الله ﷺ

الفجر، وصعد النبي، فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد النبي، فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد النبي، فخطبنا حتى غربت

السُم، فأخبرنا بما كان وما هو كاذن، فأعلمنا أخفظتنا." (1)

3- الترس في الكلام، وإلقاءه مفصلاً دون إبطاء أو تعجيل: فكان يلقي

حرفًا متتاليًا، وكلمات مفصلة، فتتبع في الذهن وكأنها عقدٌ جيدٌ، أحكم، تنسيقٌ;

فالتعرس والتمهل دون إبطاء أو تعجيل هو هدي النبي ﷺ في كلامه، ومواعظه.

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ ي حدث حديثًا لو

عدَّ العدل لأحصاء». (2)

وقالت: "إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم". (3)

قال ابن حجر ﭼ في شرح الحديث الأول: "قولها: "لو عهد العاد

لأحصاء" أي لو عهد كلماته، أو مفرداته، أو حروفه لأطاق ذلك، وبلغ أخرى.

والمماذ ذلك المبالغة في الترتيل، والتفهيم". (4)

وقال ﭼ في شرح الحديث الثاني: "قولها: "لم يكن يسرد الحديث

كسردكم" أي يتابع الحديث استعمالًا بعضه إثر بعضًا؛ لتلا ينسب على

__________________________
1- مسلم (3894).
2- أخرجه البخاري (3568) ومسلم (3492).
3- أخرجه البخاري (3572) ومسلم (3567).
4- 5- فتح الباري 6/269.
المستمع (1)

وجاء في سنن أبي داوود عن جابر ﷺ قال: «كان في كلام رسول الله ﷺ ترتيل، أو ترسيل». (2)
وفيه -أيضاً- عن عائشة ﷺ رضي الله عنها - قالت: «كان كلام رسول الله ﷺ كلاماً فصلاً يفهمه كل من سمعه». (3)

4. ملاحظة نيرة الصوت: جاء في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه إذا خطب احمرّت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول: صُبحكم ومساءكم. (4)

5. حسن الاستخدام للتكرار: فإن التكرار أثراً كبيرًا في جذب الانتباه، وتأكيد المعاني، وتقريرها في الأذهان.

والخطيب الباطع يحسن استخدام التكرار، ويوقعه مواقعه اللائقة به. ولقد كان النبي ﷺ يأخذ بهذا الأسلوب، وربما أعاد الجملة ثلاث مرات إذا كان المقام يقضي ذلك. (5)

ولهذا عقد الإمام البخاري ﷺ في صحيحه باباً بعنوان: «باب من أعاد الحديث ثلاثاً؛ ليفهم عنه».

---

1 - أبو داوود (4838) وقال الألباني في صحيح الجامع (4833): حسن.
2 - أبو داوود (4839) وقال الألباني في صحيح الجامع (4836): حسن.
3 - مسلم (867).
4 - مسلم (867).
5 - انظر محمد رسول الله ﷺ ص 185، والخطابة للشيخ محمد أبو زهرة ص 66.
وسبق فيه عدة أحاديث، منها ما رواه عن أنس عن النبي ﷺ: «أنه كان إذا سلم رحمة الله علیه مسماً، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً».

وعن أنس أيضاً عن النبي ﷺ: «أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً، حتى تفهم عنه» الحديث.

و عن عبد الله بن عمر ﺭ wik ارضي الله ﷺ عنهم - قال: خالف رسول الله ﷺ في سفر سافرنا، فأدركنا وقد أرهقنا الصلاة - صلاة العصر - ونحن نتوضأ، فجعلنا نمسح على أرجاننا، فنادي بأعلى صوته: "ويل للعاقب من النار مرتين أو ثلاثاً".

والأحاديث في ذلك كثيرة منها قوله: "ألا وقول الزور، فما زال يكرره".

وقال ابن عمر ﺭ wik ارضي الله ﷺ عنهم - قال النبي ﷺ: "هل بلغت" ثلاثاً.

و عن عبد الله بن عمر ﺭ wik ارضي الله ﷺ عنهم - عن النبي ﷺ - قال: "لا صام من صام الأبد، لا صام من صام الأبد، لا صام من صام الأبد".

۶ - صوغ التشبيه، وضرب الأمثلة: فلذلك أثر كبير في جعل الحقائق الخفية واضحة، والبعانة القرية مألوفة.

وعلى هذا النحو كانت تجري كثير من الأحاديث النبوية.

1 - البخاري (٩۴).
2 - البخاري (٩۵).
3 - البخاري (٩۶) ومسلم (٣٤۱).
4 - البخاري (٣٨٦).
5 - رواى البخاري (١٧٤۳).
6 - رواى مسلم (١١۵۹).
ف ضد أراك الدلالة على فعل الخير في صورة فعل الخير نفسه؛ إذ جعلها بوسيلة التشبيه مبنزة واحدة، وذلك مما يقوي دعاعة الدلالة على الخير في نفسك.

وكما قال: «إن من أكبر الكبائر أن يلمع الرجل والدية».

قيل: يأ رسول الله! وكيف يلمع الرجل والدية؟

قال: "يسب الرجل آباؤ الرجل، فسبر أباه، ويسرب أمه، فسبر أمه".  
فانظر كيف عذب سب الرجل لأبي الرجل أو أمه في صورة سب الرجل لوالديه، وذل ذلك من تأكيد الزجر عن إطلاق اللسان بالسب ما لا تجده في النهي عن سب الناس بطرق غير هذا الطريق.

1 - أخرجه البخاري (1011) ومسلم (458).
2 - أخرجه أحمد 5/274، وقال البخاري في صحيح الجامع (33): "صحيح" ورواه مسلم (1893) بلفظ: "في مثل هذا فله مثل أجر فاعله".
3 - أخرجه البخاري (5973) ومسلم (490).
4 - انظر محمد رسول الله وحاتم النبي ص 115.
8- قرن القول ببعض الإشارات الحسية التي تناسب المعنى: فهذا ما يزيد به المعنى جلاءً، ويأخذ في النفس صورة غير صورته المجردة عن الإشارة.

ولقد كان النبي ﷺ يستعين في تثبيت المعنى بالإشارة ببدء إشارة مناسبة للمعنى، مما يجعل للكلام أثرًا بليغاً في النفس.

والامثلة على ذلك كثيرة، منها ما جاء في الصحيحين عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «إن المؤمن للمؤمن كالبيتان يشد بعضه ببعض»، وشبه بين أصابعه. (1)

وفي صحيح البخاري عن سهل ﷺ قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليمين في الجنة هكذا، وأشار بالسيابة والوسطى، وفرّج بينهما شيئاً». (2)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قام عند باب حفصة فقال بيده نحو المشرق: «الفتنة من هنأ من حيث يطلع قرن الشيطان» قالها مرتين.

أوثلااثاً. (3)

9- استدعاء طلب البيان: وهذا الأسلوب قريب مما قبله، وذلك أن يأتي المتكلم بالكلام على وجه العوض يستدعي به طلب البيان، حتى إذا سئل عن ذلك، أو شعر بحاجة المخاطبين إلى الجواب - أجاب عن ذلك، وكشف العوض، فيتقرر المعنى في نفوسهم بأشد ما لو أتى من أول الأمر واضحاً بيتاً. (4)

ومن هذا الباب قوله ﷺ: «أنص أخاك ظالماً أو مظلوماً».

---

1- البخاري (481 و 444 و 426 و 602 و 606 و 605 و 530 و 526 و 524 و 523 و 522 و 521) ومسلم (3585).
2- البخاري (481 و 530) ومسلم (605 و 606).
3- رواه البخاري (1024 و 927 و 926 و 925 و 924 و 923 و 922 و 921 و 920 و 919 و 918 و 917 و 916 و 915 و 914) ومسلم (4905).
4- انظر محمد رسول الله وخاتم النبيين ص ن.116.
قال رجل: يا رسول الله! أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره؟
قال: «تحجزه، أو تمنعه من الظلم؛ فإن ذلك نصره».
وفي رواية: «تأخذ فوق يديه».
10- استعمال أسلوب النداء، ومناداة المخططيين بما يحبون: وذلك بشد اتباع المخططيين، واستدعاء استجابتهم بناءً على الخطيب في ثانياً حدثين بين الفينة والأخرى.
ومن ذلك أن يقول: أيها المؤمنون، أيها الناس، معاشر المسلمين، أيها الإخوة.
وإن كان هناك نسوة وجه النداء إليهن: ففي ذلك تنبه، وتشويق، وتغيير
لنمط الحديث.
ولقد تكرر هذا المعنى كثيراً في القرآن والسنة.
ومن ذلك قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا أتقوا الله حتى تقتاته ولا تعمون».
وقوله: «يا أيها الناس آتقوا ربيكم الذي خلقكم من نفس واحد» (النساء: 1).
والأنظمة من السنة على ذلك كثيرة، ومنها على سبيل الإيجاز ما يلي:
قال: «أيها الناس إني عليه الصلاة والسلام: «أيها الناس اتبعوا على أنفسكم».
وقال: «أيها الناس إلي».

---
1 - رواه البخاري (6954).
2 - رواه البخاري (6944).
3 - رواه البخاري (36384).
وقال: «أيها الناس إنما صنعت هذا لتتأقوا بي، وتعلموا صلاتي».
وقال: «أيها الناس تصدقوا».
وقال: «أيها الناس عليكم بالسكونة».
وقال: «أيها الناس لا تمنوا اللقاء العدو».
وقال: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الإباء فليتزوج».
وقال: «يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب؟».
وقال: «يا معشر النساء تصدقن».
وقال: «يا معشر يهود أسلموا تسلموا».

1 - رواية البخاري (937 ج).  
2 - رواية البخاري (917 ج).  
3 - رواية البخاري (1464).  
4 - رواية البخاري (1671 ج).  
5 - رواية البخاري (3966).  
6 - رواية البخاري (5065).  
7 - رواية البخاري (7543 ج).  
8 - رواية البخاري (30464 ج).  
9 - رواية البخاري (7944).
كل عاقل منصف لا يسعه إلا الإعجاب بعظمة النبي ﷺ والصدق بما جاء به؛
ذلك أن الأمارات الكثيرة شاهدة بعظمه، ناطقة بصدقه.
ولا ريب أن شهادة المحلف لها مكانتها؛ فالفضل -كما قيل- ما شهدت به الأعداء.
وأما يلي عدد من الشهادات التي أدلّ بها جمع من الفلاسفة والمفكرين من غير المسلمين من النصارى وغيرهم.

1- شهادة الفيلسوف الإنجليزي الشهير توماس كاريل الحائز على جائزة نوبل للسلام، وهذه الشهادة تكاد تكون أشهر وأعظم شهادة تلقّب بها كاتب غربي، وتكاد تلزم أن الذي كتبها مسلم خبير بأحوال النبي ﷺ.
وفيما يلي مقتطفات مما قال كاريل في كتابه الأبطال محاكاة قومه النصارى:
"لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد محترم في هذا العصر أن يضيع إلى ما يقال من أن دين الإسلام كذب، وأن محمدًا خذاع مزورٌ.
إن لنا أن نعصب ما يشع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة؛ فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المثير مدة أثني عشر فرناً نحو مائتي مليون من الناس، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الخصر والإحساء آكذوبة وخدعة؟!
أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبداً، ولو أن الكذب والغش يروجان
عند خلق الله هذا الرواح، وصدائفان منهم مثل هذا القبول، فما الناس إلا بُلُه مجانين، فوا أسفاً! ما أسوأ هذا الزعم، وما أضعف أهله، وأحقهم بالرثاء والرحمة.

وبعد، فعلى من أراد أن يبلغ منزلة ما في علوم الكائنات ألا يصدق شيئاً أبداً من أقوال أولئك السفهاء؛ فإنها نتائج جبل كفر، وعصر جحد وإنحد، وهي دليل على حب القلوب، وفساد الضماير، وموت الأرواح في حياة الأبدان.

ولعل العالم لم ير قط رأياً أكبر من هذا وألم، وهل رأتم قط معاشر الإخوان. أن رجلاً كاذباً يستطيع أن يوجد ديناً، ويشرحه عنا؟

ولله إن الرجل الكاذب لا يقدر أن يبني ديناً من الطوب؛ فهو إذا لم يكن علينا بخصائص الجبر، والجص، والتراب، وما شاكل ذلك - فما ذلك الذي يبنيه بيت، وإما هو تل من الأفلاج، وكثير من أخلاق المواد.

نعم، وليس جديراً أن يبقى على دعائنا اثني عشر قرناً يسكنه مائتا مليون من الأفلاج، ولكنه جدير أن يتبرأ أركانه، فينهمد; فكان أنه لم يكن».

إلى أن قال: (وعلى ذلك، فلسنا نعلم محمدًا هذا قط رجلاً كاذباً متصيناً، ينذر بخليل والواصل إلى بغيته، ويدفع إلى درجة ملك أو سلطان، أو إلى غير ذلك من الحقائر.

وما الرسالة التي أدّىها إلا حقّ صراح، وما كملته إلا قول صادق، كلاً (ما محمد بالكاذب) ولا الملق، وهذه حقيقة تدفع كل بطل، وتتحضر حجة القوم الكافرين.
الفصل الثاني: المبحث الخامس: من تشهادات المنصفين على عظمة النبي ﷺ وصدق رسالته

ثم لا تنسى شيئاً آخر، وهو أنه لم يتلق دروساً على أستاذ أبداً، وكانت صناعة الخط حديثة العهد إذ ذاك في بلاد العرب -وعجيب وأيم الله أمية العرب- ولم يتقين محمد من نور أي إنسان آخر، ولم يعترف من مناهل غيره، ولم يكن إلا كجميع أشباهه من الأئمة والعظماء، أولئك الذين أشحثه بالمصابيح البادية في ظلمات الدهور.

وقد رأيناه طول حياته راسخ المبدأ، صدق العزم بعيداً، كريماً برأى، رؤوفاً، تقياً، فاضلاً، حراً، رجلاً، شديد الجد، خلصاً، وهو مع ذلك، سهل الجانب، ليه العريكة، جرم البشر وطالفة، حميد العشيرة، حلو الإيناس، بل رما مازح وداعب، وكان على العموم، تضيء وجهه ابتسامة مشروقة من فوائد صادق؛ لأن من الناس من تكون ابتسامة كاذبة كذب أعماله وأقواله.

إلى أن قال: «كان عادلاً، صادق النية، كان ذكي اللب، شهم الفؤاد، لوذعياً، كأنا بين جنبيه مصابيح كل ليل بههم، مثلثاً نوراً، رجلاً عظيمةً بفطرته، لم تتفقه مدرسة، ولا هبه معلم، وهو غني عن ذلك ويزعم المتخصصون من النصارى والملحدين أن مهداً لم يكن يزيد بقيمه إلا الشهرة الشخصية، ومفاركة الجاه والسلطان.

كلا ـوأين الله، لقد كان في فوائد ذلك الرجل ابن الفقار والفلوات، المتوقف المُقلتين، العظيم النفس، الملوء رحمة وخيراً وحكمة، وحجيّ ـ أفكار غير الطمع الدنيوي، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه، وكيف لا، ولتلك نفس صامته كبيرة، ورجل من الذين لا ينكثهم إلا أن يكونوا مخلصين جادين، فينما
الفصل الثاني: المبحث الخامس: من شهادات النصفي على عظمة النبي وصدق رسولته

ترى آخرين يرضون الاصطلاحات الكاذبة، ويسببون طبق الاعتبارات الباطلة.

إذ ترى محمدًا لم يرض أن يتفَّق بألوف الأكاذيب، ويوثق بمبتدء الأباطيل.

لقد كان منفرداً بنفسه العظيمة، وحقائق الأمور والكائنات، لقد كان سر

الوجود يسطع عينيه كما قلت، بآهواله، ومخاوفه، ورواقه، ومحاربه، ولم

يكن هناك من الأباطيل ما يجيب ذلك عنك، فكان لناس حال ذلك السر البائل

يناجيه: هل أنا ذا، فمثل هذا الإخلاص لا يخلو من مبنى إلى مقدس، فإذا

تتكلم هذا الرجل فكل الآذان برغمها صاغية، وكل القلوب واعية، وكل كلام

ما عدا ذلك هباء، وكل قول جفاء.

إلى أن قال: "إذا فلنضرب صفحًا عن مذهب الجانين أن محمدًا كاذب، ونعد

موافقتهم عارًا، وسعة، وسخافة، وحكمة، فلنرى بأنفسنا عنه.

إلى أن قال: "وإنه ديناً آمن به أولئك العرب الوثنيون، وأمسكوه بالقوابهم

النارية جدير أن يكون حقًا، وجدير أن يُصدّق به.

وإذا أورد هذا الدين من القواعد هو الشيء الوحيد الذي للإنسان أن يؤمن به.

وهذا الشيء هو روح جميع الأديان، وروح تلبس أثوابًا مختلفة، وأثوابًا

متعددة، وهي في الحقيقة شيء واحد.

وباتباع هذه الروح يصبح الإنسان إمامًا كبيرًا جاريًا على قواعد الخالق، تابعًا

لقوانينه، لا مجادلاً عبثًا أن يقاومها ويدافعها.

لقد جاء الإسلام على تلك الملائكة، والنحل الباطلة، فابتلعها، وحق
لله أن يبتلعها؛ لأنه حقيقة، وما كان يظهر الإسلام حتى احترقت فيه وثنيات العرب، وجدليات النصرانية، وكل ما لم يكن يحق؛ فإنها حطب ميت».

إلى أن قال: «أيزعم الآفَّاًون الجهلة أنه مشوع ومحتال؟
كلا، ثم كلاً، ما كان قط ذلك القلب المحتمد الجائش كان يُنور فكره يفوز ولتامجج ليكون قلب محتال ومشوع، لقد كانت حياته في نظره حقاً، وهذا الكون حقيقة رائعة كبيرة».
إلى أن قال: «مث هذة الأفعال، وهذه الأفعال ترني في محمد أخ الإنسانية الرحيم، أخانا جميعاً الرؤوف الشقيق، وابن أنما الأولي، وأبينا الأول.
وإنني أحب محمدًا لبراءه طبعه من الرباء والتصنع، ولقد كان ابن القفار رجلاً مستقل الرأي، لا يقول إلا عن نفسه، ولا يدعلي ما ليس فيه، ولم يكن متكبراً، ولكنه لم يكن ذليلاً ضرعاً، يخاطب بقوله الخير البين قباصرة الروم وأكاسرة العجم، يرشدهم إلى ما يجب عليهم لهذه الحياة، وللحياة الأخرى، وكان يعرف نفسه قدرها.
ولم تظلم الحروب الشديدة التي وقعت له مع الأعراب من مشاهد قوة، ولكنها كذلك لم تقل من دلائل رحمة وكرم وغفران، وكان محمد لا يعتمد من الأولى، ولا يفتأ بالثانية».
إلى أن قال: «وما كان محمد بعثه قط، ولا شاباً شيئاً من قوله شائبة لعبه وله، بل كان الأمر عليه أمر خسران وفلاج، ومسألة فناء وبياء، ولم يكن منه بإزايتها إلا الإخلاص الشديد، والجود المير.
فأما التلاعب بالأقوال، والقضايا المنطقية، والعبث بالحقائق، فما كان من شأنه قط، وذلك عندي أفعال الجرائم، إذ ليس هو إلا رقدة القلب، ووسن العين عن الحق، وعيشة المرء في مظاهر كاذبة.

وفي الإسلام خلّة أثرا من أشرف الخلال وأجلها، وهي التسوية بين الناس، وهذا يدل على أصدق النظر، وأصوب الرأي؛ فنفس المؤمن رابطة جميع دول الأرض، والناس في الإسلام سواء.

إلى أن قال: "وعبد نوره الأخبار، وعمّ شؤون الأرجل، وعقد شعاعه الشمال بالجنوب، والشرق بالغرب، وما هو إلا قرن بعد هذا الحادث حتى أصبح لدولة العرب رجل في الهند، ورجل في الأندلس، وأشرقت دولة الإسلام حقباً عديدة، ودهوراً مدينة بنور الفضل والنبل، والمروءة، والنजدة، ورونق الحق والهدى على نصف العمورة" ادعه.

2- وهذه شهادة قلّها (الكونت هنري دي كاستري) وهو أحد وزراء فرنسا، أحد حكام الجزائر السابقين في كتابه (الإسلام) الذي عَرَبه الأستاذ فتحي زغلول باشا يقول الوزير الفرنسي الكونت: "إن أمة العرب قبل النبي كانت وثيقة على وجه العموم، وكان مذهب توحيد الله يخترق في الأذهان وروبدها، وكان المشخصون لهذا الاعتقاد فريقاً يقال لهم الأحناف، 3- بقوا على مذهب إبراهيم، وأما المسيحيون فكانوا فرعاً كثيرة كلها تعتقد بمذهب التكثير-عدد الآلهة.

1- انظر الإسلام في نظر أعلام العرب للأستاذ حسين عبد الله بإسلامة ص 95-98، محمد رسول الله -خلاصة سيرته ومقالاته نادرة فيها، الكاتب ص 35-40.

2- يقصد بهم: الحنفويون، الذين يبررون الفطرة والتوحيد.
وتلقى محمد مذهب أوائل الأحناف بحلة سطحية، لكن لما كانت نفس ذلك النبي مفطورة على التشبيه بالذين تكيف هذا المذهب في وجوهه حتى صار اعتقاداً لم يصل إليه نفس قلبه إلا قليلاً، وهو ذلك الاعتقاد الذي أحدث اقلاباً كلياً في النوع البشري.

ومن الخطا أن نبحث عن هذا المبدأ العميم فيضه في غير طريقة الأحلاف؛ لأن محمداً ما كان يقرأ ولا يكتب، بل كان كماؤ وصف نفسه مراراً نبأً أمياً، وهو وصف لم يعارض فيه أحد من معاصره، ولا شك أنه يستحيل على رجل في الشرق أن يتلقى العلم بحيث لا يعلم الناس؛ لأن حياة الشرقيين كلها ظاهرة للعيان، على أن القراءة والكتابة كانت معروفة في ذلك الحين من تلك الأقطار؛ فثبت إذن مما تقدم أن محمداً لم يقرأ كتاباً مقدساً، ولم يسترشد في دينه بمذهب متقدم عليه؛ إذ لو فرض وكان القرآن قد نقل بعضه من الكتب المقدسة الأخرى لبقي الأمر مشكلاً كما كان عليه في معرفة حقيقة ما اختلج بروح الدين، وكيف وجد فيها ذلك الاعتقاد الثابت بوحدانية الله حتى استولي عليه روحاً وجمالاً؟

وقد نعلم أنه مرّ بمثابع كثيرة، وفاضى آليماً نفسية كبري قبل أن يلخّر برسالته; فقد خلقه ذا نفس محضة للدين، ومن أجل ذلك احتاج إلى العزلة عن الناس، فكي يهرب من عبادة الأوثان، ولكي ينفرد بما نزل فيه من الفكر العظيم وهو وحدانية الله تعالى، اعتكف في جبل حراء، وأرخى عنان التفكير يجول في بحار التأملات عابداً مجدداً.
فصول الثاني: البحث الخامس: من شهادات المصنعين على عظمة النبي ﷺ وصدق رسالته

وعمر فيهم كان يفكر ذلك الرجل الذي بلغ الأربعين وهو في ربعان الذكاء، ومن أولئك الشرقيين الذين امتازوا في العقل بحجة التخيل، وقوة الإدراك، لا بوضع المقدمات، وتعليق النتائج عليها ما كان إلا أن يقول مرامًا، ويبعث تكرارًا. هذه الكلمات «الله أحد، الله أحد» كلمات ردها المسلمين أجمعون من بعدها، وغاب عنها —معشر المسيحيين. مغزاه؛ بعدنا عن فكرة التوحيد.

ولم يزل عقله مشاغلاً حتى ظهر هذا الفكر في كلامه على صور مختلفة جاءت في القرآن، لم يُبْلَدَ وَلَمْ يُوْلِدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كَفْوَا أُحْدَ (٤) (الأخلاق).

وكانت متراكبات اللغة العربية تساعده مماثلة الرقيقة على ترميز ذلك الفكر السايم الذي ذا عليه، ومن تلك الأفكار وتلك العبادة تولدت كلمة الإسلام لا إليه إلا الله، ذلك هو أصل الاعتقاد بإله فرد، ورب صمد، منزه عن النقائص، وهو اعتقاد قوي يؤمن به المسلمون على الدوام، ويتزامن به على غيرهم من القبائل والشعوب، أولئك حقاً هم المؤمنون كما يسمون أنفسهم، فظهر هذا الاعتقاد بواسطة دفعة واحدة هو أعظم مظهر في حياته، وهو ذاته أكبر دليل على صدقه في رسلته، وأمانة في نبوته.

ثم تكلم عن الوحي، ومعجزات القرآن في بلاغته ومعانيه واعتراف فصيح العرب بإعجازه، وذكر منهم عتبة بن ربيعة، وذكر مسيرة الكاذب، وأثبت بطلان ادعائه.

ثم قال: ولو قال قائل: إن القرآن ليس كلام الله، بل كلام محمد —فلا بد لنا على الحالين من الاعتراف بأن تلك الآيات البيانات لا تصدر عن مبتدع أبداً.
الفصل الثاني: البحث الخامس: من شهادات المصنفين على عظمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم رسالته

خلاصةً لرأي من ذهب إلى تكذيب نبوته، ولعل رأيهم جاء من ضيق اللغة التي تلجتنا إلى أن نرمي بالكذب نبياً هو في الحقيقة شخص ملء أمانة وصدقًا.

إلى أن قال: "إذاً ليس محمد من المبتدعين، ولا من المتنحرين. ليس هو نبي سلاب كما يقول موسى (سابع) ولا نسلم بإكبار هذه الحقيقة، وحينذا لا عجب إذا تشابهت تلك الكتب في بعض المواضيع خصوصاً إذا لاحظنا أن القرآن جاء ليتمها، كما أن النبي خاتم الأنبياء والمرسلين.

ثم قال: «لكن الأمر الذي تهم معرفته هو أن القرآن آخر كتاب سماوي ينزل للناس، وصاحبه خاتم الرسل، فلا كتاب بعد القرآن، ولا نبي بعد محمد، ولن نجد بعده لكلمات الله تبديلاً».

وقال بعد أن أطل البحث في تحليل ما تقدم، ورد على المترفرين من المستشرقين في رواياتهم على نبي الإسلام: "وبالجملة فإن الإسلام ما دخل بلداً إلا وصار هذا المقام الأول بين الديانات المسيحية من غير أن يتعرض نفوذه، وعلى هذا يتحقق أن الدين الإسلامي لم ينتشر بالعنف والقوة، بل الأقرب للصواب أن يقول: إن كثرة مسألة المسلمين، وليني أنهم كان سبباً في سقوط الممالك الغربية.

إلى أن قال: "إن ديانة القرآن تكتلت من قلوب جميع الأمم اليهودية، وال시스템ية، والوثنية في إفريقيا الشمالية، وفي قسم عظيم من آسياً حتى إنه وجد في بلاد الأندلس من المسلمين المتنورين من تركوا دينهم حياً في الإسلام كل هذا بغير إرادة".

هذه نبضة وجيزة من نظرية الكونت هنري دي كاستري الوزير الفرنسي من
كتابه (الإسلام) وهذا الكتاب يحتوي على مواضع شتى دحض بها مفتيات
القسنط، والبشرتين، وبعض المستشرقين المتطرفين الذين لا يقيمون للإنصاف
وزنًا، وكل ما أذاعوه من التشنيع على الإسلام، وكتابه ونبيه مع أنه قد صرح أنه
مسحي المشهد، ولكن الذي دفعه إلى ذلك هو:

أولاً: حرية الرأي، والإنصاف في القول الحق، وإن كان ذلك ضد مذهبه.

ثانياً: أراد أن يطبع الأمة الفرنساوية على حقيقة الدين الإسلامي؛ لتكون
على بيئة من أوروبا، ولا تغتر بفبريات البشرتين الذين يستنزفون أموال أمتهم
باسم التجنيد لديهم دون جدوى ولا طائل تمحو غير تضحية الأموال الضخمة في
سبيل شهوات القسنط، وغطرستهم التي لا حد لها.(1)

3- وهذه شهادة للأستاذ الوسيم (سيديو) الفرنساوي أحد أعلام الإفرنج،
وأحد وزراء فرنسا السابقين في كتابه (خلاصة تاريخ العرب) تعريب علي باشا
مبارك في المقدمة بعد ذكره لفضول الأمة العربية فقال: «ثم أتى النبي
فرط علاقات المودة بين قبائل جزيرة العرب، ووجه أفكارها إلى مقصد واحد: فعلا
شأنها حتى امتدت سلطتها من نهر النيل إلى بابل، وأصبحت أبكرها إلى نهر النيل،
وهو أعظم أنهاء الهند. وانتشر نور العلوم والصبر والمنطق والعرب، وأهل أوروبا
إذ ذلك في ظلها جهل القرون المتوسطة، وكأنهم نسوا نسيانًا كليًا ما وصل إليه من
أحاديث اليونان والرومان.

واجتهد العباسيون ببغداد، والأمويون بقرطبة، والفاطميين بالقاهرة في تقدم

1 - الإسلام في نظر أعلام الغرب ص28-29.
الفنون، ثم تمزقت ممالكهم، وفقدوا شؤونهم السياسية؛ فاقتصرت على السلطة الدينية التي استمرت لبعض أرخاء ممالكهم، وكان لديهم من المعلومات والصناعات والاستكشافات ما استفادوه منهم نصارى أسبانيا حين طردهم منها، كما أن الأتراك والمغول بعد تغلبهم على ممالك آسيا استفادوا معرفة من تغلبوا عليهم. ١

٤ـ وقال الأستاذ المستشرق (دوزي): «لو صح ما قاله القساوسة عن أن محمدًا نبي منافق كاذب؛ فكيف تعلل انتصاره؟ وما بال فتوحات أتباعه تر 드، ويكفل أحداهما الآخرٌ وما بال انتصارهم على الشعوب لا نقف عند حدة، وكيف لا يدل ذلك على معجزة هذا الرسول؟ ولقد كانوا يعتقدون أول أمرهم أن خلقان المسلمين سيئم ومعجزة قريبة؛ فقد طالما سمعوا عن معجزات الكنيسة التي كانت تحدث ل أهل مناسبة، وانتظروا هذه المعجزة التي تخلص البلاد المسيحية من غزوات المسلمين، ولكن انتظارهم تلك المعجزات قد طال، وذهب صبرهم أدرج الربح، وعليه حاولوا وقوع هذه المعجزة.

وأعجب من ذلك أن المعجزة ـ إن لم نقل معجزات ـ قد حلت حقًا في ذلك العصر، وكانت معجزات أعظم ما كان يتوجهه القديسون أنفسهم، وأي معجزة أروع وأعجب من أن نرى شعبًا كان إلى زمن قليل في غيابية من الحمول، ثم ظهر إلى الدنيا فجأة، وظل ينتم بسرعة لا مثل لها، وهو يغزو الأرجاء الفسيحة،

١ الإسلامية في نظر أعلام الغرب ص ٥٩.
ويتنصر على قتر بعد قتر؛ فثيَّن له البلاد بالطاعة والولاء، وتقبل على دينه
من كل حدب وصوب راضية غير مكرهة؟
ولو أننا عزواً إقبال المسيحيين على الإسلام إلى الفائدة الشخصية، أو الرغبة
في التخلص من الذل والضيقة - فنحن جديرون أن نقرر أن من الثابت الحق أن
كثيراً من المسيحيين دناو بالإسلام عن عقيدة وإيمان» اه(1).

٥- وهذه مقوله لشاعر فرنسا (لامارتين):  يقول الأساتذة محمد كرد علي في كتابه المذكرات: «وآخر ما قرأناه في سيرة
النبي العربي، وتحليل عمله العظيم، ما قاله شاعر فرنسا العظيم (لامارتين) قال: لم يقصد رجل قط مختاراً أو غير مختار إلى غاية أسنى؛ لأن تلك الغاية
كانت فوق طاقة البشر، وهي القضاء على ما دخل من الخرافات بين الخالق
والخلق؛ ليجعل الله للعباد والعبد الله، وأن يعلّد فكرة الألوهية العقولة في
الوئمة المادية المشوهة.

وما عهد قت رجل مثله قام في وقت قصير بثورة عظيمة مستديرة في العالم؛
لأن الإسلام بعد أقل من قرنين من انتشاره بالدعاء والقوة عم الأقطار العربية
الثلاثة، ودا إلى الله الواحد الأحد في فارس، وخراسان، وما وراء النهر،
والهند الغربية، والشام، ومصر، والحبشة، وجميع الأقطار المعروفة من شمالي
إفريقيا، وعدة أجزاء من البحر المتوسط، وأسبانيا، وشطر من غاليا (فرنسا).

فإذا كانت عظمة الغاية، وقلة الوسائط، ووفرة النتيجة هي الأسباب الثلاثة

١ - الإسلام في نظر أعلام الغرب ص ٤١٤-٤٢٠.
النجل الثاني: البحث الخامس: من شهادات المفسرين على عظمة النبي ﷺ وصدق رسالته

التي تبين عن نوع المرء - فمن يجترأ أن يشبه بمحمد رجلاً عظيماً من رجال التاريخ الحديث، فإن من أشتهر منهم لم يحيّش إلا جيوشاً، ولهم يس، إلا قوانين، ولم يؤمن إلا مالك، فهل ينشئا فيما أنشأوا إلا دولًا عادية كان حظها أن تدعت أركانها بعدهم.

أما ذلك الرجل فأبابه جيوشاً، ووضع شرائع، وأسس مالك، وأَّلف بين شعوب، وأقام دولًا، وضم شمل ملايين من البشر في ثلث العالم المعمور، وعاد على ذلك أن بدأ أفكاراً، ومعتقدات، وأرواحاً، وأتى بكتاب أصبح كل حرف من حروفه شريعة قومية روحية سرت إلى شعوب من جميع اللغات والعنابر، وطع هذه الجنسية الإسلامية بطبع ثابت، وقضي على الأرباب المصنوعة، ودعا إلى الاعتقاد بالله الواحد الأحد.

ومن يكون أكثر عظمة إذا قيست العظمة البشرية بكل مظاهرها بعظمة محمد الحكم الخطيب الداعية المشري المحارب المبدع في أفكاره، ومؤسس التعليم القائمة على العقل، وعلى عبادة لا صورة فيها، ومنشئ عشرين مملكة أرضية، وملكة روحية واحدة»(1)

هذا نظر يسيرة وما ورد في هذا السياق، والشهادات فيه لا تكاد تقصى كثرةً(2).

1 - المذكرات، محمد كرد علي 131/1316.
2 - وإذا أردت المزيد من ذلك فراجع إلى كتاب: الإسلام في نظر أعلام الغرب، وكتاب: أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية، لأحمد علي الملا، ص 102-103. 10. 134/1315.
الفصل الثالث: مجلس رسول الله

وتحته مدخل وخمسة مباحث:

- مدخل: و فيه بيان لأسباب إيراد هذا الفصل، وأنه بحث نادر طبيعي لم يفرده أحد من الأوائل، وأنه يجعل رحمة النبي وتواضعه، وما إلى ذلك من جوانب عظمته.

المبحث الأول: مقدمة في مجالس العظام.

المبحث الثاني: في وعود مجلس رسول الله في القرآن، وصفة ذلك المجلس.

المبحث الثالث: مكان مجلس الرسول وكيفية التنامه وخروجه إليه.

المبحث الرابع: هيئة المجلس الرسولي، وما كان يجري فيه.

المبحث الخامس: وقت المجلس الرسولي، وآدابه.
الفصل الثالث: مدخل: في أسباب إبراد هذا الفصل ضمن هذا الكتاب
لإيراد هذا الفصل ضمن هذا البحث أسباب عديدة منها ما يلي:

1- أنه موضوع نادر لا تجد من أفرده بالبحث والقصصي لا من المتقدمين ولا من المتأخرین إلا العلامة التونسي الشيخ محمد الظاهر بن عاشور 1396 هـ حيث كتب بعثاً عنوانه مجلس رسول الله ﷺ.

2- أنه موضوع طريف يخدم ما تحق بصدء من البحث في جوانب رحمة الرسول ﷺ وعظمته; حيث يُجلِي ذلك غاية التجلي، ويمثله أحسن تمثيل.

3- أن مجلس رسول الله ﷺ ميدان لِتُسبِب الآداب، وجِوْرُ تَرْفُف الكمالات.

4- أن للناس مجلس يرتادونها، وأحاديث يتجاذبون أطرافها، ولكل من المجالس والمحادثة آداب يحسن مراواتها، ويحمل الأذى بها.

ولا ريب أن الوقوف على مجلس رسول الله ﷺ وأحاديثه من أعظم ما يرتقي بالأحاديث والجلس؛ فإلى مباحث هذا الفصل.

---

1- وذلك في مجلة البداية الإسلامية، الجزء العاشر، المجلد العاشر، ص 578-579 في ربيع الثاني 1357 هـ. وقد أفادت منه كثيراً في هذا الفصل.
الفصل الثالث: المبحث الأول: مقدمة في مجال العظام

المبحث الأول: مقدمة في مجال العظام

احتفاظ العظام بمظاهر العظمة في عين ناظره وتباعه وبثة وسيلة من وسائل نفوذ تعاليمه في نفوسهم، وتدقيقهم إرشاده بالقبول والتسليم، وإدفاعةه بالعمل بما يليه عليهم.

ولإن للعظمة نواحي جمة، ومظاهر متغاضية الإتصال بالحق: فمنها العظمة الحقية الثابتة، ومنها القبولة النافعة، ومنها الزائفة التي إن نفعت حينَّا أغْرَرت وأغْزَانت، وإن رازت عند طوائف غُدَّت عن الأكثرين بطلان، وفيه الأصناف معتاد وغير معتاد، وبينها مراث كثيرة الأعداد، لا يعُزَب عن القَّذَن استخراجها من خلال أصنافها، والحكم الفصل في أدبها وأوالها.

ويعتبر إحساس العظام بسمات العظمة الحقية، يكون مقياس غُنِيَته عن خايل التعاظم الزائفة، كما أنه بمقدار خلوه من تلك السمات الحقية يفتقر من الاحتياج إلى شيء من تلك المخايل، كالمصاب بفقر الدم لا يستغني عن زيادة التدثر بذئ الدفاء.

وكتيرًا ما تحمل العظام مشاكل التكلفة، مما ينغل عليهم التظاهر به؛ مجارة لأوهام التباع أولي المدارك البسيطة: حذرًا من أن ينظروا إليهم بعين الغضب، أو يلاقوهم بمعاملة الغضب.

فهم يقترون ذلك الثقل، ولسان حالهم يقول: «مكره أخوف لا بطل».

فلا غرو أن كان المتسونين منذ القدم تقوم عليهم من صفات مجلس السّرّاء والجماعات دلالًا مثبّتًا بالآوار أصحاب تلك المجالس كما قال الشاعر:
ولا أن رأيت بني جُوَيْن
جلوساً ليس بينهم جليس
إليهم إنني رجل يؤوس

وإذا تبنا ما يعد من هيئة المجالس أحوال كمال حقاً وأوهماً نجد منها
المتضاد الذي إن اشتمل المجلس على شيء منه لم يشتمل على ضده، مثل
الحجاب وال란، والوقار والبهزل.

ووجد بعضها غير متضاد بحيث يمكن اجتماعه كوضع الأرائك والطائف
النفسية مع التزام الواقور والحكمة، والفخامة والركبكة مع إقامة الإنصاف؛ فقد
كان مجلس سليمان -عليه السلام- مكسوًا بفخامة الملك، وهو مع ذلك منيع
لآثار البوة والحكمة.

فأما الأوصاف المتضادة فلا شبهة في كون مجلس العظام حقاً تزه عما يضاد
الحق منها، وأما غير المتضادة فلا يعد مجرد مجلس عظيم عما هو من هذا الصنف
مهماً إلا زيادة في عظمة، وليس ذلك بلازيم في تحقيق أصل عظمته الحقة.

تجرى أشكال الدعوة الإلبية على حسب استعداد الأقوام؛ لتتقلى مراد الله
منهم، فيسند لهم من الأحوال والبيئات ما هم به أخرياء(1) لنفوذ مراد الله فيهم;
فقد يتسامح لدعائهم بعض الظواهر التي لا حظر لها في التأثير الخلاقي، أو
التشريعي، ولا تحت من اعتبار صاحب الدعوة في أتى أهل الكمال، وتعين على
قبول دعوته بين العلوم البسطاء؛ لموافقتها بساطة إدراكهم، وعدم مناقشتها الحق;
فإن بني إسرائيل لما فتنثهم مظهر عبدة الأصنام وقالوا الموسي: فاجعل لنا إلهًا كما

---
1 أخرباء جمع حري، يمتع خليق وجدير.
نَّهُمَ آلهَهةً» (الأعراف: 138) غضب عليهم رسولهم، ووجهم على ذلك. ولما بيهرتهم مظاهر الملك التي شاهدها عند الأقوام الذين مواهم في تههم، والذين جاوروا بلادهم، وقالوا لنبيهم شمويل: «اَبْعَثْنَا مِلَكًا تَقَالُ إِنَّ هَذَا سَبِيلَ اللَّهِ» (البقرة: 244) لم يَرْتَ نبيهم في ذلك باِسًا; إذ رأى أُوْنُ لهم على الدفاع عن جامعتهم: فأقام لهم شارل ملكاً، ثم خلفه من الملوك من كان له وصف النبوة مثل داود وإبى سليمان الذي عظم سلطانه، ومُفخِمت مظاهرُ ملكه التي ما كانت تنقشُ كماله النبوي. وأظهر حجة على ذلك أن ملكاً سبأً ما دانت له حين مجيء كتابه إليها بالدعوة إلى الإيمان بالله، والدخول في طاعة ملكه العادل، فقالت: «إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْبَةَ أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْزَى أَهْلَهَا أَذْلًا وَكَذَٰلِكَ يَبْعَلُونَ» (النمل: 34). ثم هُي ما وفدت عليه بمدينته، ورآت من عظمة سلطانه ما أوُنُها، ودخلت الصرح المرد فحسبه لجَه - هنالك قالت: «رَبِّ أَنَّىٛ ظَلَمَتْ نَفْسِي وَأَسَلَعْتُ مَعَ سُلِيمَانَ لِلَّهِ رَبَّ الْعَالَمِينَ» (النمل: 44). وكذلك فروعَ موسى كان لما منه أن يؤمن بموضى عَلَيهِ السَّلَام- أنه لم يِرْ عليه آثارَ العظيمة الزائفة؛ إذ قال في تعليل كفره به: «فَلَوَّا أَلَّىٛ عَلَيهِ أَسْوَرَةً مِنْ ذَهَب» (الزخرف: 53) وهي شعار الملوك في عرفهم. (1)

وفي هذا ما يشرح لنا تلك الجماعة التاريخية العظيمة الجارية بين عظيمين من عظماء أمتنا: عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان؛ فقد جاء في كتاب السير أن

١ - انظر البداية الإسلامية، مبحث مجلس رسول الله ۱۰-۵۷۸/۱۰-۵۸۰.
الفصل الثالث: المبحث الأول: مقدمة في مجالات العظام

عمر بن الخطاب لما قدم الشام تلقاه معاوية في موكب عظيم وهيئة، فلما دنا منه قال: انت صاحب الموكب العظيم؟ قال: نعم، قال: مع ما بلغني من طول وقوع ذوي الحاجات ببابك؟

قال: نعم، قال: ولم تفعل ذلك؟ قال: خن بأرض جواسيس العدو بها كثير، ففيّ أن نظهر من عز السلطان ما يرهجه؛ فإن نهيتي أن تهتنين.

قال: يا معاوية: ما عاتبتك عن شيء يبلغني عنك إلا تركتي منه في أضيق من رواحب الضّرّس؟ فإن كان ما قلت حقًا فرأي أربى، وإن كان باطلاً فخدعة أدبي.

قال معاوية: فماربي، قال عمر: لا آمرك ولا أنهاك.

قال عبد الرحمن بن عوف وكان في معية عمر: يا أمير المؤمنين ما أحسن ما صدر عما أوردته.

قال عمر: ليحسن مصادره وموارده جشمناه ما جشمناه.

والآن تهيات إفاضة القول في صفة مجلس رسول الله وتعلقاته، وهو مبحث جليل لم يسبق للعلماء الباحثين عن السيرة والشمالات النبوية تدونيته، وخصوصه بالبحث والتبويب، واستيعاب ما يتعلق به كما يقول ابن عاشور.

1 - هكذا في كتاب عين الأدب والسياسة لعلي بن هذيل ص 183، وفي سير أعلام النبلاء للذهبي 132/3. 2 - إلا تركتي في مثل رواج الضّرّس.
3 - انظر سير أعلام النبلاء 132/3، وعين الأدب والسياسة ص 183.
4 - انظر البداية الإسلامية 581/10.
المبحث الثاني: في ورود المسجى السلولي في القرآن، وصفة ذلم المسجى

أولاً: ورود المسجى السلولي في القرآن:

لقد وردت الإشارة في القرآن الكريم إلى مجلس رسول الله ﷺ، وذلك في قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يسح الله لكم وإذا قيل انشروا فانشروا...» (المجادلة: 111).

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: «قال جمهور العلماء من السلف ومن بعدهم: المراد بالمجلس في الآية هو مجلس رسول الله ﷺ، وسأذكر ذلك في المبحث المناسب له.

ثم إن لم أر لأحد من الباحثين في السيرة من ذكر هذا المجلس سوى عياض في كتاب الشفاء؛ فإنه ذكره بكلمة واحدة في غرض آخر; إذ قال في فصل زيارة القبر الشرف هذه العبارة: (قال إسحاق بن إبراهيم) (1) الفقيه: وهم لم يزل من شم من حج المروى بالمدينة، والقصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ والتبرك برؤيته، وروضته، ومنبره، وقبره، وجلسه)1ـه(.

فكان حقاً علينا أن نقصه بقال أن نقص في خلاف كتب الحديث.

1ـ هو إسحاق بن راهويم.
2ـ الشفاء للقاضي عياض ٢٥٥/٦٦٩ـ٦٧٠، وانظر شرح الشفاء للقاضي عياض للملا علي قاري ٢٥١/٣.
والسيرة؛ فيجيء متأثراً (1) يجهز من كان بسيرة رسول الله ﷺ كلفاً (2).

ثانياً: صفة مجلس رسول الله ﷺ:

قد جاء مجلس رسول الله ﷺ على غاية ما يكون من البساطة، والتواضع، والخلو من مظاهر الأبهة؛ لأنه أعظم المصلحين وأفضل المسلمين، فأراد الله ﷺ عز وجل أن يكون ذلك النبي مقصوراً على التأثير بالدلائل الحقة الباقية على الزمان، وأن يجرده عن وسائل الخلافة والاستهباب؛ فتكون دعوته أكمل الدعوات، وعظمه أبلغ العظمات كما هو أكمل الدعاء والوعظين.

وذلك كما يقول ابن عاشور (3) -حكم جمة، منها ما يلي:

المحاكمة الأولى: أن لا يكون جلال قدره في النفوس، ونفوذ أمره في الملا.

محتاجاً إلى معونة بوسيلة من الوسائل المكملة للتأثير الذاتي النفساني، بل يكون تأثيره الذاتي كافياً في نفوذ آثاره في قلوب أتباعه؛ إذ كانت نفسها الشريعة أكمل نفس برزت في عالم الوجود الحادث، فتكون أغلب النفوس عن التوسل بغير صفاتها الذاتية؛ إذ لا نقص في تأثير نفسه.

من أجل ذلك ادخر الله ﷺ لرسوله التأييد بأوضح الدلائل، وأثناها عن العوارض التي تتصد النفوس، وتستهرب العيون؛ حتى لا يكون شأنه جارياً على الشؤون المألوفة.

1 - ألفاً: أي جددياً.
2 - الهداية الإسلامية 1981/10.
3 - الهداية الإسلامية 1981/10، وانظر شرح الشافعي للمناجي علا كاتب علي فاري 151/2.
وعل هذا مما يلوح إليه قوله تعالى: «وقل الحق من ركتم فم شاء فلا يؤمن ون شاء فليكفر» (الكهف: 49).
أي هذه دعوة الحق الخض الغني عن البهرجة الزائدة والله أعلم؛ فيكون هذا
من المعجزات الخفية التي هي آيات للمتوسرين على كُل أورايات والسنين.

الحكمة الثانية: أن يكون الرسول غير مشارك لأحوال أصحاب السعادة
الباطلة من الجبايرة والطغاة; حتى لا يكون من دواعي إيمان بعض الفرق به
وطاعتهم لهما بههم من تلك الزخارف، حال الذين استكبروا من قوم نوح.
إذ قالوا: «وما تَرَاكَ أَتَبَعَكَ إِلَّا الذين هم أَراْدُوا بِأَيْدِي الرَّأْيِ» (هود: 7).
وهذا معنى قول رسول الله ﷺ: «خيرت بين أن يكون نبيًا عباً، أو نبيًا
ملكًا، فاخترت أن يكون نبيًا عباً» (١).

الحكمة الثالثة: أن يحصل له مع ذلك أعظم جلال في نفوس أعدائه بله
أوليائه؛ فيكون فيه دليل على أن جلاله مستمد من عناية الله تعالى وتأييده.
روى أبو داود، والترمذي أن قيلة بنت مهرمة جاءت رسول الله في المسجد
وهو قاعد الفرساء قالت: «فلم رأيت رسول الله المتضخم في الجلسة أرعدت
من الفرق» (٢).

فقولها: المتضخم في الجلسة أوما إلى أن شأن المتضخم في المعتاد آلا يرهب،
وهي قد أرعدت منه؛ رهة.

١ - رواه أحمد في المسند (٧١٦).
٢ - أبو داود (٤٨٤٧) والترمذي في سننه (٣٨١٤) وفي الشافعى (١٣٠).
وصف كعب بن زهير رسول الله حينما دخل عليه المسجد في أصحابه مؤمنًا
ثانيًا، وكان كعب يومئذ أقرب عهداً بالشرك، وأولغ في معرفة ظاهر ملوك العرب وسادتهم؛ إذ هو الشاعر ابن الشاعر، فإذا هو يقول بين يدي رسول الله يصف مجلسه:

لقد أقام ممايراً وقائوم بالله
نفس الرسول بيذن الله تنويل
ثم يقول في سماه الرسول:
لذا ذلك أهيب عندي إذ أطلقه من
همن خادم من بيوت الأسجد مسكته
من بطن عنده غير دينه غيل

وجاء في صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص وهو في سياق
الموت، أن قال: «وما كان أحد أحب إلي من رسول الله، ولا أجمل في عيني منه، وما كنت أُطيق أن أملأ عيني منه، إجلاً له، ولو سئلت أن أصفه ما أُطلقت لأني لم أكن أملأ عيني منه.»

1- عثر: مكان مشهور بكثرة السياح، والغيل: الشجر الكبير الملون. انظر السيرة النبوية لأبو هشام.
2- أخرجه مسلم (131).
نهاية: مكان مجلس الرسول:

إن من مارس الحديث والسيرة لا يشكي في أن مجلس رسول الله الذي يلفح حوله فيه أصحابه، وتجري فيه معظم أعمالهم في شؤون المسلمين - إنما كان بمسجده، وأن ما عدا من الأمكنة التي ورد في الآثار حوله فيها إنما هي مقاعد كان يجلس فيها قبل البعثة، وبعد هذا قبل الهجرة، وبعد ذلك قبل أن ينتظم أمر المسلمين، أو بعد ذلك فيما بعد الهجرة؛ لعوارض تعرض من زيارة، أو ضيافة، أو عيادة، أو قضاء مصلح، أو نحو ذلك؛ فقد جلس قبل البعثة وهو بعثة في دار ابن جعدان، وفي المسجد الحرام، وأوى إلى غار حراء يحتوي بالله من الله - تعالى - استناداً بالواحي، وجلس بعد البعثة في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وفي شعب أبي طالب مدة القطيعة، وسكن فيها أبو إبوب الأنصاري عند مقدمة المدينة، وجلس في المسجد قبل بناء المسجد النبوي، ولم يلبث أن بنى مسجداً; فكان مجلسه بعيد في ذلك المسجد فيما عدا أحوالاً تعرض مثل خروجه إلى بني عمرو بن عوف للإصلاح بينهم. (1)

وقد أرشدنا إلى ذلك ما في الصحيح عن أبي موسى الأشعري أنه قال:

"توضأت يوماً وخرجت من بيتي فقلت: لأنزن رسول الله يومي هذا، ولاكون معه، فجئت المسجد فسألت عنه، فقالوا: خرج... إلخ. " (2)

1 - انظر صحيح البخاري (684) ومسلم (131).
2 - مسلم (420).
فقوله: «فجئت المسجد، فسألت عنه» ينبي أن ماظة لقاء الرسول في المسجد.
ثم إن تعيين مكان جلوسه من المسجد لم يجر لم ذكر في كلامهم.
والذي يظهر أنه كان يلزم مكانًا معيناً للجلوس، لينظره عند أصحابه
والقادمون إليه. (1)
والظاهر أن هذا المكان المعين هو ما بين المنبر وحجرة عائشة رضي الله عنها-
وهو الملقب بالروضة، ويدل لذلك ثلاثة أدلّة:
الدليل الأول: ما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:
»ما بين بيت ومنبري روضة من رياض الجنة«. (2)
والعلماء في معنى ذلك تأويلات أظهرها والذي قال إليه جمهورهم أنه كلام
جري على طريقة المجاز المرسل؛ فإن ذلك المكان ما كان موضع الإرشاد والعلم
كان الجلوس فيه سبباً للتنعم برياض الجنة؛ فأطلق على ذلك المكان أنه روضة من
رياض الجنة بإطلاق اسم المسب على السبب.
أو جرى على طريق الاستعارة بأن شبه ما يصدر في ذلك المكان من الإرشاد
والتشريع والعلم والموعظة والحكمة المتعشة للأرواح بما في رياض الجنة من الشمار
والزهر والأنهار ذات الإرعاش الحالد، فأطلق اسم المشبه به على المشبه.
وفي هذا إنباء بأن موضع الروضة مجلس رسول الله الذي كان فيه معظم
إرشاده وتعليمه الناس.

---
1 - انظر البداية الإسلامية 586-584/10.587.
2 - البخاري (1192) ومسلم (1390 و 1391).
الدليل الثاني: أنا نجد أحاديث كثيرة رواها عائشة -رضي الله عنها- تتضمن ما دار بين رسول الله وبين سائليه، ولم نجده مثل ذلك لبقية أمهات المؤمنين؛ فعلينا أن ذلك اتفردت به عائشة من أجل قرب بيتها من مجلس الرسول، وقد كان بيتها بقرب الروضة.

الدليل الثالث: ما رواه الترمذي عن أبي هريرة أنه قال: «لقد رأيتني وآتي لأخر فيما بين مبتدء رسول الله وحجزة عائشة، فيجيء الجاني، فيضع رجله على عتقتي يرى أن بي جنون وما بي جنون، وما هو إلا الجوع».

مع ما رواه البخاري ومسلم من أن أبا هريرة قال: «يقولون: إن أبا هريرة يكثر الحديث والله الموعد، ويقولون: ما للعمال والنصار لا يحدثون مثل أحاديثه، وإن إخوتي من المهاجرين كان يغلبهم الصفق بالأسواق، وإخوتي من الأنصار يغلبونهم أغلب في أموالهم، وكان امرء مسكيتاً أنزهم رسول الله على ملء بطني; فأحضر حين يرغبون، وأعي حين ينسون».

فينتج من ذلك أن مقام أبي هريرة كان في الروضة، وأن ملازمته رسول الله كانت في ذلك المقام، وأن الروضة هي مجلس رسول الله ﷺ، قال ابن عاشور: هذا وقد رأيت في كلام شهاب الدين الخفاجي في شرحه على شفاء عياض كلمة تقتضي الجزيم بأن مجلس رسول الله هو الروضة.

1- الترمذي (367) وقال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.
2- أخرجه البخاري (181 و 4223) ومسلم (4593).
3- انظر البديعة الإسلامية 587/1087.
فإنه لما بلغ إلى قول عياض: «لم يزل من شأن حج المرور بالمدينة والقصد إلى التبرك برؤية مسجد رسول الله وروضته ومنبره وقبره وجلسه» قال:

»وجلسه أي موضع جلوسه في الروضة المأثور ـ هـ.

ولم أقف على مستند الصريح فيما جزم به«. (1)

قال الشيخ ملا علي قاري في شرح الشفا عند قول عياض: «وجلسه» قال:

»أي محل جلوسه في المسجد، وكان صالته عند الاستローンات وغيرها«. (2)

ثانياً: كيفية التم مجلس رسول الله وخروجه إليه:

كان أصحاب رسول الله إذا قصدوا مسجده يحضرن المكان الذي اعتاد الجلوس فيه، فإذا قدموا قبل خروج الرسول يجلسون يتظرون حتى إذا خرج رسول الله كانوا يقومون له، فنهاهم عن ذلك، روى أبو أمامة، قال: «خرج علينا رسول الله فقدمنا له، فقال: لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضًا» (3) فصار القيام مسوباً على الأصح.

وعندما يخرج رسول الله على أصحابه يقيون جلوساً، فلا يرفع أحد منهم بصره إلى رسول الله إلا أبو بكر ومعمر، فإنهم كاّنا ينظروان إليه، وينظر إليهما، ويبتسمان إليه، ويتسم إليهما، كذا في الشفاء.

وفي الشفاء أنه كان يجلس حيث انتهى به المجلس، وجلس بين أصحابه

1 - البداية الإسلامية 10/587.
2 - شرح الشفا 151/5.
3 - أخرىه أبو داود (530).
والظهر أن معنى ذلك أنه حين يخرج إليهم لا يتخطى رقابهم، ولكن يجلس حيث انتهى إليه أفضل رأي في الصحابة ففي الصحابة عن أبي وافد الليثي أن رسول الله بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان منهم إلي رسول الله، وذهب واحد، وفجأ على رسول الله، فأما أحدهما فرأى فرجة في الخلق فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدرر ذاهباً، فلم يفر رسول الله آلي من كلامه. قال: «لا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهما فآري إلى الله قرآه الله، وأما الآخر فاستحثي نشتقي الله منه، وأما الآخر فآدرر فآدرر الله عنه».


ورميا وقف السئام إلى حديث رسول الله، وفي البخاري: باب من سأل وهو

---
1 - انظر شرح الشفا 389/7، والبداية الإسلامية 588/110.
2 - البخاري 66 و 474 و مسلم (3176).
3 - انظر تفسير التحريج والتشويج 432/67، والبداية الإسلامية 588/589-588/110.
الفصل الثالث: المبحث الثالث: مكان مجلس الرسول ﷺ وكيفية التماثل وخروج إليه

قائم عالمًا جالساً، وأخرج حديث أبي موسى الأشعري: جاء رجل إلى النبي ﷺ:
فقال: يا رسول الله ما القتال في سبيل الله؟ فرفع رسول الله رأسه إليه وقال: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا".

قال الراوي: وما رفع رأسه إليه إلا أن السائل كان قائماً.1

وكان الملازمون مجلس رسول الله ﷺ أصحابه من الرجال.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري أنه قال: "قال النساء للنبي: غالبنا عليك الرجال؛ فاجعل لنا يومًا لنفسك، فوعدهن يومًا لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن... إلخ." 2

وظهر ترجمة البخاري لهذا الحديث أن اليوم المجعل للنساء لم يكن يومًا مفرداً وحيداً، بل جعل لهن نوبة من الأيام؛ فيحتمل أنه جعل لهن يومًا في الأسبوع، أو في الشهر، أو بعد مدة غير معينة يعين لهن موعدًا من قبل، والله أعلم.

1- البخاري (132) ورواه مسلم (1904).
2- البخاري (101 و1449) ومسلم (3633).
البحث الثالث: المبحث الرابع: هيئة مجلس الرسولي، وما كان يجري فيه

أولاً: هيئة مجلس الرسولي:

تدل الأثار على أن مجلس رسول الله ﷺ كان على صورة الحلقية الواحدة، أو الحلقية المتداخلة كما ورد في حديث أبي واقف الليثي في صحيح البخاري؛ إذ قال فيه: «فأما أحدهما فرأى فرخة في الحلقية فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم».

وقد تقدم آنفًا، بِل صرح بعض الرواة بأن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يجلسون حوله حلقًا.

أما رسول الله ﷺ فكان مجلسه في وسطهم؛ ففي الصحيحين عن أنس بن مالك ﺔ أن ضمأمًا بن ثعلبة السعدى ﺔ لما دخل المسجد قال: أيكم محمد؟ قال أنس: والله متكين بين ظهريهم.

وسيأتي الحديث، ومعنى بين ظهريهم أنه في وسطهم.

وجاء في سنن أبي داود والنسائي عن أبي ذر وأبي هريرة: «كان النبي ﷺ يجلس بين ظهري أصحابه، فجيء الغريب فلا يدري هو حتى يسأل، فطلبنا لرسول الله ﷺ أن نجعل له مجلساً كي يعرفه الغريب، فتينا دكانا من الطين

١: راجع ترتيبه.
٢: البخاري (٦٣) ومسلم (١٢).
وأعمال هيئة جلوس رسول الله ﷺ في مجمع غلابة الاحتباء، فقد ذكر الترمذي في كتاب الشمائل عن أبي سعيد الخدري ﷺ: «كان رسول الله ﷺ إذا جلس في المجمع احتبى بيديه».

وقول الراوي: كان يفعل، يدل على أنه السنة المتكررة.

والاحتباء هو الجلوس وإيقاف الساقين، فتجعل الفخذان تجاه البطن بالصاق، ويلف الثوب على الساقين والظهر، فإذا أراد المحتب أن يقوم أزال الثوب.

وأما الاحتباء باليدين هو أن يجعل المحتب يديه يشد بهما رجله عوضًا عن الثوب، فإذا قام قالوا حل حيوته يكسر الحاء وضعمه.

وكان الاحتباء أكثر جلوس العرب، وربما جلس رسول الله ﷺ الفرساء بضم القاف وسكون الراء بالمد والقصر، وهي الاحتباء باليدين، وربما جعلت اليدان تحت الإبطين، وهي جملة الأعراب والمتواضعين.

وقد وصف جلوس رسول الله ﷺ الفرساء في حديث قرية بنو خزيمة

۱ - أبو داود (۴۶۹۸) وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (۳۹۳۱): "صحيح" والنسائي (۴۴۹۱) وقال الألباني في صحيح سنن النسائي (۴۴۱۸): "صحيح".

والغريب أن الشافعي ابن عاشور قال: "ومن الغريب ما ذكره القرطي في كتاب (الفهم على صحيح مسلم) عن البزار عن عمر بن الخطاب ثم ذكر الحديث السابق.

وقال: "وهذا غريب، إذ لم يذكر هذا الدكان فيما ذكره في تفصيل صفة المسجد النبي في الكتب المؤلفة في ذلك".
وفي الصحيحين عن أبي بكر رضي الله عنه قال: «لا أحدثكم بأكبر الكبائر الإشراف بالله، وحقوق الوالدين»، وكان متكناً فجلس، وقال: «لا وقال الزور إلخ».

وفي حديث جابر بن سمرة رأى رسول الله ﷺ متكناً على يساره ورمى اتكاً على يمينه.

وفي حديث حنظلة بن حذافة قال: «أتيت النبي ﷺ فرأيته جالساً متبرعاً».

وقد تجعل له وسادة، روى الترمذي عن جابر بن سمرة ﷺ أنه رأى رسول الله ﷺ متكناً على وسادة على يساره.

وعند جلسة رسول الله ﷺ لا ينضبط، بل كان يختلف بخلاف الأيام وأوقات النهار، فرما اشتم المجلس على أربعين رجلاً كما ورد في الصحيحين من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: "أرسلني أبو طلحة الأنصاري ﷺ أدعو له رسول الله ﷺ خمسة لطعام صنعه لرسول الله ﷺ فوجدت النبي ﷺ في المسجد معه ناس فقام، فقال: "أرسلك أبو طلحة؟" قلت: نعم، قال: "لطعام؟" قلت: نعم، فقال من معه: "قوموا" وكانوا نحو الأربعين".

---

1- البخاري (3654) ومسلم (87).
2- أخرجه ابن عدي في الكامل 465/1.
3- أخرجه البخاري في الأدب المفرد (1179) وقال الألباني في صحيح الأدب المفرد (899): صحيح لغيره.
4- سنن الترمذي (677) وقال: "هذا حديث حسن غريب" والشمايل للترمذي (133).
5- البخاري (434 و 578) ومسلم (590).
ورأى كان مجلسه يشتمل على عشرة، ففي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ، فأتي بجمار نخلة

 فقال النبي ﷺ: "إن من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم" فأردت أن أقول هي النخلة ثم التفتي، فإذا أنا عاشر عشرة أنا أحدثهم فسكت... إلخ". (1)

 ثانياً: ما مكان يجري في مجلس رسول ﷺ?

 نبعت يتابع البديء، والحكمة، والتشريع من مجلس رسول الله ﷺ ومن منبره، ولقد كان أكثر ما رواه أصحابه عنه مما سمعوه منه في مجلسه; لذلك يكثر أن تجد في الأحاديث الروية عن الصحابة أن يقول الصحابي: "بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ".

 وفي ذلك المجلس تلقي آيات الكتاب الحكيم -كما سيأتي في حدث أبي سعيد الخدري.-

 وكان يقع التحاكم عند رسول الله ﷺ في مجلسه، وقد حكم فيه بين المسلمين كثيراً، وبين اليهود في قصة الرحم; إذ جاء اليهود برجل وامرأة زوجي فأمر بهما،

 فرجما في موضع الجنازة من المسجد. (2)

 وكانت تفتي عليه الوافد وهو في مجلسه، ويأتيه سفراء المشركين من أهل مكة، ويغادره الغفاء، وأصحاب الحاجات.

---

1 - البخاري (868) ومسلم (1381).
2 - البخاري (875) ومسلم (1399).
3 - البخاري (875) ومسلم (1399).
ورجاً مختلف الصبيان إلى ذلك المجلس، أو دعاهم إليه رسول الله، فقد أخرج البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة قال: "ما رأيت حسنة إلا فاضت عيني دموعاً، وذلك أن النبي خرج يوماً، فوجدني في المسجد، فأخذ بيدي، فانطلقته معه، فما كلمتي حتى جتنا سوق بني قينقاع، فطاف فيه، ونظر، ثم انصرف وأننا معاً، حتى جتنا المسجد، فجلس، فاحتية، ثم قال: "أين نكاء؟ أدعُ لي نكاء؟".
فجاء حسن يشتد، فوقع في حجره، ثم أدخل يده في حقيته، ثم جعل النبي يفتح فمه، يدخل فمه في فيه، ثم قال: "الله إني أحبَّ فاجبه، وأحبٌ من يحبه".
وإن ذلك المجلس يأوي القراء، فكان -عليه الصلاة والسلام- يدنهما، ويتألقهم، فعن أبي سعيد الخدري قال: " كنت في عصابة من المهاجرين جالساً معهم، وإن بعضهم يستر من الغري، وقارئ يقرأ علينا، فكنا نستمع إلى كتاب الله - تعالى- فقال النبي ﷺ: "الحمد لله الذي جعل في أمي من أمرت أن أصبر معهم تفشي".
قال: ثم جلس رسول الله ﷺ وسطنا، ليعدل بيننا نفسه فيما، ثم قال بيده:

1 - يعني الحسن بن علي ﭼ.  
2 - الوُلْدُ عند العرب يطلق على عدة معانى، يطلق على العبد، ثم استعمل في الحميم والدم، يقال للمرجل لُكّع، ويقال للمرأة لُكّع، وأكثر ما يقع في النداء، وقد يطلق على الصغير، وهو الرادحة.  
3 - الأدب المفرد (١١٨٣) وقال الألباني في صحيح الأدب المفرد (١٠٩٢) : (حسن)
هكذا؛ فاستدارت الحلقة، وبرزت وجههم.
قال: فما عرف رسول الله ﷺ منهم غيري، فقال رسول الله ﷺ:
أبشروا معاشر صماليك المهاجرين بالثور التام يوم القيامة، تدخلون الجنة
قبل الأغنية يوم القيامة نصف يوم، وذلك خمسمائة عام».(1)
ثم هو أيضاً منسق أدب ينشد فيه الشعر، وتضرب فيه الأمثال.
ولقد أنشد حكباً بن زهير قصيدته المشهورة؛ فلما بلغ إلى وصف راحلهه فقال:
قناوين في حرتيها للبصائر بها
عشق مبين في الخدين تسهيل
قال رسول الله ﷺ لأصحابه: ما حرداها؟ فقال بعضهم: عيناها، وسكت
بعضهم، فقال رسول الله ﷺ: هما أذناها.
ولما بلغ حكباً قوله في مدح المهاجرين:
لا يقعن العلماء إلا في نحورهم
وأما لهم عن حياض الموت تهيل
نظر رسول الله ﷺ إلى من حوله من قريش نظر من يومئ إلىهم أن اسمعوا
هذا المدح.(2)
وروى الترمذي عن جابر بن سمرة ﷺ قال: جالست رسول الله ﷺ أكثر من
مائة مرة، وكان أصحابه يتناشدون الشعر، ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية
وهو ساكن، فرما يبتسم معهم.(3)

1 - أخرجه البهقي في دلائل النبوة 538/251/1، والترمذي (3535) عن أبي هريرة، وقال:
(أ) حسن صحيح.
2 - انظر السيرة النبوية لابن هشام 4/11، و116، والبداية الإسلامية 593/594/595/10.
3 - الترمذي (485) وقال: هذا حديث حسن صحيح.
ورجا أنشد الشعر، فتمثل في بعض ما أنشد أمامه، فعن الأعشى المازني قال:

"أتيت النبي ﷺ فأنشدته:
يا مالك الناس وديان العرب
إنجي دزينة من الذرب
اخلبس الوعد وطلبت بالذنب
وعن شرّ غالب لمن غلب
فجعل لتمثلها، ويقول: وهن شرّ غالب لمن غالب".

ورجا أنشد أحد الشعراء، فاستوقفه، وسأل عنه مقصوده في أحد الأبيات، ورجا دعا له، فعن يعلى بن الأشدق قال: سمعت النابغة الجعدي يقول: أنشدته النبي ﷺ:

بلغنا السماء مجددا وجدودنا
وإنا لترجو فوق ذلك مظهرها
قال: "أين المظهر يا أبا ليلى؟".
قلت: الجنّة، قال: "أجل إن شاء الله".
ثم قال:
ولا خير في حلم إذا لم يكن له
لا خير في جهل إذا لم يكن له
قال رسول الله ﷺ: "لا يفضّل الله فاك مرتين".
ويروي أن النابغة كان أحسن الناس ثغراً، وأنه عاش مائة وثلاثين سنة، فكان إذا سقطت له ثيتا نبت مكانها أخرى."}

---

1- أخرج له أحمد (880هـ) والبيهقي في السنن الكبرى (620هـ).
2- اثني مسند الحارث (زوائد البهبي) (494هـ) وسبي السرود للصليبي (494هـ).
3- أثني مسند الحارث (زوائد البهبي) (494هـ) وسبي السرود للصليبي (494هـ).
ور مما استشهده عليه الصلاة وسلم أحد جلاؤه، فعن عمرو بن السويد عن أبيه قال: "استشهد النبي ﷺ من شعر أمية بن أبي الصلت، فأنشدته مائة قافية وبيت".

وأما مَثَل بالشعر في مجلسهم في الصحيحين عن جندب بن عبد الله ﭼ قال:

أصابت أصبع النبي ﷺ شيتاً فدُميت.

وفي لفظ: بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ في بعض المشاهد إذ أصابه حجر، فلم يعد أصابه فقال:

"هَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَ~ هـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُـُ~

وعن عكرمة قال: سألت عائشة -رضي الله عنها- هل سمعت رسول الله ﷺ يتمثل الشعر أقفاً؟

 فقالت: أحياناً إذا دخل بيته يقول: "وَيَأْتِيَكَ الَّذِيْنَ مِنْ لَمْ تُزْوَدَ."

وقوله: "ويأتيك بالأخيار من لم تزود" هذا عجز بيت لطرفة بن العبد في معلقته المشهورة، وصرده:

"سنتدي لك الأيام ما كننت جاهلاً.

وقد ورد في الأثر أن أصحاب رسول الله ﷺ إذا دخلوا عليه كانوا لا يفترون إلا عن ذواق، ويخرجون أدة -أي فقهاء-.

_____________________________

١ - أخرج أحمد (١٩٥٤) وابن ماجه (١٧٨) والطبراني في الأوسط (٢٤٧٩).
٢ - البخاري (١٧٩) ومسلم (١٧٩). 
٣ - أخرج البخاري في الأدب المفرد (٧٩) وقال الطبراني في صحيح الأدب المفرد (٨٥): صحيح.
٤ - أخرج الطبراني في الكبير (٣٣٣٦)، وانظر الشافعية (٣٠٤).
فصول الثالث: البحث الرابع: هيئة الجلسة الرسولية، وما كان يجري فيه

وللعلماء اختلاف في تأويله، فحمله بعضهم على ظاهره، أي لا يفترقون إلا بعد أن يطعموا طعاماً قليلاً؛ ولذلك عبر عنه بُدْواق، وهو يفتح الذال الشيء المذوق من ثمر أو خوخ أو ماء. (1)

وقد ورد في حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ فأتي بِجُمْل مُّلْخَّلَة... إِلَى (1)٦ أي أنه يُؤكل في جمله، ولذلك ترجم البخاري هذا الحديث: باب أكل الجمل.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يذكر أنه وقع على أهله في نهار رمضان إلى أن قال: فينما نحن على ذلك إذ أتي النبي ﷺ بعرق فيه مرّ ... إِلَى.

والعرق يفتح العين وفتح الراء يجوز كسرها هو المكتل أي الزنبل.

وتأوله ابنُ الأنباري، وابنُ الأثير، وغير واحد، أنه أراد أنهم لا يفترقون إلا عن آمن تعلموه يٌؤفون لأنفسهم مقام الطعام والشراب للأجسام في الانتعاش والاندلاع؛ فجرى الكلام على طريقة الاستعارة. (2)

وفي ذلك المجال ينكر على الصلاة والسلام ما يراه جائياً للصواب مع احتفاظه بعادته الجميلة في التعريض والتعليم، حيث يأخذ في التدابير والجزر

---

1 - انظر أخلاقي النبي ﷺ للأصبهاني ص ٣٤، وهيئة الإسلامية ٥٩٣/١٠.
2 - البخاري (٥٩١). ١٠٤
3 - البخاري (١٨٣٤ و ٥٠ و ٥٧٣ و ٦٣٣ و ٦٣٣). ومسلم (١١١).
4 - انظر البداية الإسلامية ٥٩٣/١٠.
عما لا ينبغي مأخذاً لطيفاً، فلا يوجد الإنكار إلى من صدر منه الخطأ بعيئه ما
وجد في الموضع العام كفيلة من باب قوله: «ما بال أقوام».
جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها. قالت: صنع النبي ﷺ شيئاً
فرخص فيه، فنذز عنه قومه، فبلغ دين النبي ﷺ، فخطب، فحمد الله ثم قال:
ما بال أقوام ينتهجون عن الشيء أصبعه؟ فوالله إنى لأعلمهم بالله وأشدهم له.
خشيّة». (1)
وقد بوب البخاري ﷺ لبذا الحديث في «باب من لم يواجه الناس في
العقاب».
وشكي إليه رجلين رجلاً حين كان يطيل بهم صلاة الغدَة، فاشتدع غضبه
ولكنه احتفظ بعادته الجميلة، فلم يخاطب الذي كان يطيل على التعبين، بل عامم
الموضوع فقال: «أيه الناس إن منكم متفرقين؛ فمن صلى بالناس فليفخفف؛ فإن
فيهم الربيع، وذا الحاجة». (2)
ورأ ما احتاج إلى الصلاة والسلام إلى التعبين، إذا استدعاه المقام.
فقد جاء في الصحيحين عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: «كان معاذ بن جبل يصلي
مع النبي ﷺ ثم يرجع فيهم قومه، فصلى ليلة مع النبي ﷺ العشاء، ثمأتي قومه
فأمهم، فافتتح بسورة البقرة، فأُفخرون رجل، فسلم، ثم صلى وحده، وانصرف،
فقالوا له: أناققت يا قلابن؟ قال: لا، والله لا أتى رسول الله ﷺ فأخبرهن، فأذى رسول
الله ﷺ فقال: يارسول الله إن أ أصحاب نوضح نعمل بالنهار، وإن معاداً صلى ملك

1 - البخاري (6116) ومسلم (5635).
2 - رواه البخاري (704) و(6110) ومسلم (6642).
الفصل الثالث: البحث الرابع: هيئة المجالس الرسولية، وما كان يجري فيه

العشاء، ثم أتي فافتتح بسورة البقرة، فأقبل رسول الله ﷺ على معاذ فقال: «يا معاذ أنتم؟ قرأوا بهذا، وقرأوا بهذا».

وفي رواية: «يا معاذ أنتم ثلاث آية... قرأوا» (والشمس وضحاء) و(سبح اسم ربك الأعلى) و(نحوه)».

وفي رواية: «فكان، فكان، فكان ثلاث مرار أو قال: فاتت، فاتت، فاتت».

ووفي ذلك المجالس يجيب عن الأسئلة التي ترد عليه... كما في حديث جبريل عليه السلام المشهور، حيث سأل النبي ﷺ عن الإسلام، والإيمان، والإحسان.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يومًا بارزاً للناس فأتاه رجل فقال: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملاكك وكتبه ورسله ولقاءه وتؤمن بالبعثة» الحديث.

والأخبار في هذا السياق كثيرة جداً.

وربما وجه النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام السؤال إلى من حوله، وهذا كبير جداً كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال: «كان في فتى نحواً من أربعين رجلاً مع رسول الله ﷺ فقال: أتعرضون أن تكونوا ربع أهل الجنة» الحديث.

وقد يتبادر الحديث من تلقاء نفسه، وهذا أيضاً كثيراً جداً كما جاء في

1 - البخاري (170 و 507 و 6106 و 611 و 661 و 706) ومسلم (465).
2 - رواه مسلم (8).
3 - رواه ابن ماجه (242).
4 - البخاري (253) ومسلم (231).
الفصل الثالث: المبحث الرابع: هيئة المجلس الرسولي. وما كان يجري فيه

الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي قال: «لقاب قوس في الجنة خير ما تطلع عليه الشمس وتغرب». (1)

وأما يجري في ذلك المجلس العظيم المبارك كثرة ذكر الله، ودعائه، واستغفاره

- كما سيأتي عنه الحديث في آداب المجلس الرسولي...

---

1 - البخاري (3793) ومسلم (1883).
أما وقت المجلس الرسولي:
فكان يجلس لهم بعد صلاة الصبح، ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة، ولما ظهرت من يومنا، فأتى جالس على الحال التي ذكر الله ﷺ وجعلها، فسمعت صوت صارخ أوصي على سلع، يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، قال فخررت ساعدًا وعرفت أن قد جاء الفرج.
إلى أن قال كعب: حتى دخلت المسجد، وإذا رسلت الله ﷺ جالس في المسجد حوله الناس الحديث.
وذلك حديث أبي موسى الأشعري المتقدم إذ يقول: توضأت يومًا وخرجت من بيتي فقلت: لأن زمن رسول الله ﷺ يومي هذا، وأكون معه، فجئت المسجد، إذ لا شك أن ذلك وقت صلاة الصبح.
وعن رسول الله ﷺ: يستغرق الصباح كله في المجلس، فإن أصحابه كانوا يذهبون إلى أعمالهم وحاجاتهم، ولأن رسول الله ﷺ كان يدخل بيوت أزواجه، فقد قالت عائشة رضي الله عنها: كان يكون في بيتها في مهنة أهله.

1- انظر حديث توبة كعب بن مالك صاحبه الطويل في صحيح البخاري (376 و3947 و3947 و3956) ومسلم (2769).
2- انظر صحيح البخاري (676).
وفي حديث علي رضي الله عنه من رواية الترمذي ورواية عياض: كان دخوله لنفسه
فكان إذا أوي إلى منزله جزءًا دخوله ثلاثة أجزاء: جزءًا الله، جزءًا لأهله،
وجزءًا لنفسه، ثم جزءًا جزءه بينه وبين الناس، فبُرّد ذلك على العامة بالحِصَاص،
ولا يذخر عنهم شيئًا. (١)

أي كان له في بيته وقت مجلس إليه فيه خاصة أصحابه ومن له حاجة خاصة.
ومعنى بلذ ذلك على العامة أنه تحصل منه منفعة للعامة بما يرويه خاصة من
علمه للناس، وفي هذا دليل على أن معظم ما عدا وقت دخوله إلى منزله كان
وقت مجلسه إلا إذا عرضت حاجة يذهب إليها. (٢)

ثانياً: أداب مجلس رسول الله ﷺ:
كيف لا يكون مجلس يحتله رسول الله ﷺ ميدانًا تسابق الآداب فيه إلى
غاياتها، وجوًّا ترف يف فيه الكمالات راقية إلى سماواتها.
فإن صاحبه هو الذي أديه ربه بأحسن تأديب، وجعله هم أولئك العُز
المناجيب، وناهيك بأن ورد بعض آدابه في الكتاب المجيد، قال الله ﷲ تعالى: "يا
أيها الذين آمنوا إذا قبَلَ لَكَمْ تُسَحِّحُوا في المِجَالِسِ فَأُسْحِحُوا يُسَحِّحُ الله لَكُمْ
وإذا قبَل لا يُسْحِحُوا فَانْصُرُوا" (المجادلة: ١١).
قال الواحدي، وابن عطية عن مقاتل وقادة وزيد بن أسمل: كان النبي ﷺ
يجلس في المسجد مجلس يومًا وكان في المجلس ضيقًا: إذ كان الناس يتنافسون في

١ - أخرجه الطبراني في الكبير ١٥٧/٤٩٣.
٢ - انظر البداية الإسلامية ٥٩٤/١٠.
القرن الثالث: البحث الفاسق: وقت الرسول، وأدابه

القرب من رسول الله ﷺ وفي سماع كلامه، ونظر إليه، وكان رسول الله ﷺ يكرم أهل بدر، فجاء أناس من أهل بدر، فلم يجدوا مكاناً في الجلس، فقاموا وجاء النبي ﷺ على أرجلهم يوجع أن يوسع الناس لهم، فلم يوسع لهم أحد، فأقام رسول الله ﷺ أناساً بقدر من جاء من النفر البدرجين، فعرض رسول الله ﷺ الكراهية في وجه الذين أقامهم، فنزلت الآية.

فقوله: «إذا قيل لكُم تفسحوا في المجالس» فيما إذا كان في الجلس ضيق، فينفسح الناس بدون أن يقوم أحد.

وقوله: «وإذا قيل انشروا فانشروا» أي إذا قيل لكم ارتفعوا وقوموا عن المجالس فافعلوا، أي إذا أمركم الرسول ﷺ في مجلسه بالقيام فلا تترجعوا، وهو ضرب من التنفسح.

وقيل: التنفسح يكون بالتوسعة من قعود أو من قيام، فهما داخلان في قوله: تفسحوا، والنشوز هو أن يمروا بالانغاض عن الجلس، فإذا أمروا بذلك فلا يترجعوا؛ لأن رسول الله ﷺ يحب أحياناً الانفراد بأمور المسلمين; فربما جلس إليه القوم، فاطالوا؛ لأن كل أحد يجب أن يكون آخر الناس عهداً بالنبي ﷺ وكل ذلك من فرط محبتهم إياه، وحرصهم على تلقي هداه. ١)

ومن آدابه المذكورة في الكتاب المهد ما في قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم بعضاً لبغيض في الحجرات: ٣٢».

١ ـ انظر تفسير التحرير والتوضيح ٣٧/٣٦، وأهدية الإسلام ٩٤٠/١٠، ٥٩٥-٥٩٤.
وقوله: «لا تجعلوا دعاء الرسول بَيْنَكُمْ كَدَعَاءٍ بَعْضِيْكُمْ بَعْضًا» (النور: 236).

قال علماء التفسير: نزلت هاتان الآيتان بسبب محاربة جرت بين أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- بين يدي رسول الله في مجلسه، وذلك حين قدم وفد بني تميم آشور أبو بكر على النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يلزم على بني تميم القعقاع بن معبد، فقال عمر: بل أمر عليهم الأفرع بن حابس، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافاً! فقال عمر: ما أردت خلافاً، فتماديا، وارتفعت أصواتهما، فنزل القرآن بهذه الآية، قالوا: فكان أبو بكر بعد ذلك لا يكلم رسول الله إلا كأخي السرار -أي كصاحب السر والمسار.- وكان عمر بعد ذلك إذا كمل رسول الله لا يكاد يسمعه حتى إن رسول الله ليستفهمه.

ومن آداب ذلك المجلس أن خاصة أصحابه لا يسألون النبي إلا إذا ابتدرهم النبي كما في حديث جبريل المشوره؛ فإن جبريل -عليه السلام- سأل والنبي -صلى الله عليه وسلم-، وجبريل على هيئة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه أحد من الصحابة -كما ذكر ذلك عمر بن الخطاب-.

ومع هذه الحالة الغربية، والتشوف لمعرفة هذا السائل لم يسأل عنه أحد من الصحابة؛ إجلاعاً لرسول الله حتى ابتدرهم النبي وأعلمهم به.

قال عمر في آخر الحديث: ثم انطلق -يعني جبريل- فثبت ملياً، ثم قال لي:

يا عمر أتدري من السائل؟

1 - انظر صحيح البخاري (4845).
قلت الله ورسوله أعلم.

قال: "فإنها جبريل أتاكم يعلمكم دينكم"  

ومن آداب مجلسه أن أصحابه يكونون فيه على غاية التوبة والسكنة؛ فقد روى أبو داود في سننه عن أسامة بن شريك قال: «أتبت النبي ﷺ وأصحابه كافأ عليهم رؤوسهم الطير»  

ومعنى كافأ على رؤوسهم الطير: أي في حالة السكون لأن الطائر ينفر من أدنى تحرك. 

وكان رسول الله ﷺ يعني كل أحد من جلساته نصيبه لا يحسب أحد أن أحداً أكرم عليه منه. 

وكان مجلسه مجلس وقار، وحلم، وحياء، وخير، وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحرم، ولا تنى فلتاته. 

ومعنى لا تؤبن فيه الحرم: أي لا تذكر فيه حرمات الناس بسوء: يقال أنه إذا ذكره بسوء، والمراد بالحرم هنا أعراض الناس، وما يكرّمون تناوله منهم. 

ومعنى لا تنى فلتاته: لا تعد، مأخوذٌ من النتينية وهي الإعادة، والفلتات جمع فلتة، وهي الزلة من القول والفعل إذا جرت على غير قصد بعثة: يعني أن أهل ذلك المجلس أهل حفظ للسر، وإعراض عن اللغو، فلو صدرت من أحد فلتة لم يتناقلها جلساؤه بالتصميم والتشييع. 

وهذا أدب عربي رفيع، وفي هذا المعنى قال وَذَاكَ بِثَمِيلٍ مِنْ شِعْرِهِ  

الحمسة:  

1 - روؤد مسلم (8).  
2 - أبو داود (3855).
الفصل الثالث: المبحث الخامس: وقت مجلس الرسول، وإدابه

وأحلام عادال لا يخف جليسهم إذا نطق العموا غرباً للسان

ومن آداب ذلك المجلس أن أصحابه لا يقاطعون الرسول إذا تكلم، وإذا

سكت تكلموا، وإذا اتجوزوا عنه لم يختلفوا، ولم يتخصموا.

ومن أراد الكلام أصتفوا، واستمعوا له حتى يفرغ من كلامه.

وكان آخر من يتكلم عند النبي له نفس حظ أول المتكلمين من الأنصات

والاهتمام.

وكان عليه الصلاة والسلام، يضحك مما يضحكون، ويعجب مما يعجبون إذا

كان في حدود الأدب.

وكان يصبر على الغريب إذا جفأ في مقاله وسواهه، حتى إن أصحابه قد لا

يرضون ذلك، ولكنهم لا يقاطعون بين يديه عليه الصلاة والسلام. ولا

يتجاوزون ما علمهم من الصبر، والرحمة، وإعانته طالب الحاجة على طلبه.

ولذا كان جلساؤه يتوارون بالقوى، ويحفظون المروات في جملته،

فبوقرون الكبير، ويرحمون الصغير، ويرفعون ذا الحاجة، يعتزمون على

الغريب، ويحملون جفوته، بل ربما علموه بعض آداب ذلك المجلس قبل

دخولهم فيه.

يقول الشيخ عبدالحليم الكتاني في كتابه التراث الإدارية: "وفي تفسير

المؤل هو السيد المحد: كان أبو بكر إذا قدم على رسول الله .دومود

1 - انتظر: أوصاف النبي للترمذي ص ٥٧٩-٥٨٠٨، والشفا ١/٠، وشرح الشفا ٨٧/١،

وأخلاق النبي للصيحي ص ٦٧٣-٦٧٣٣، والبداية الإسلامية ٠٧٩٦-٠٧٩٧-٠٧٩٨-٠٧٩٩-٠٧٩٠.
أرسل من يعلمهم كيف يسلمون، ويأمرهم بالسكونة والوقار عند رسول الله ﷺ.

قلت لآي الحكم: وهذا يفهمنا أيضاً أن آيا بكر يشغل أيضاً وظيفة مدير التشريفات». (1)

ومن آداب ذلك المجلس إلقؤ السلام في أوله وآخره، قال على الصلاة والسلام: "إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليس لم، فإن بدأ له أن يجلس فلاجلس، ثم إذا قام فليس لم، فليست الأولى بأحق من الآخرة". (2)

وأعظم ما يجري في ذلك المجلس من آداب وآداب وأعمال وأعمال كثيرة دكر الله عز وجل، ودعائه واتفره، فكان على الصلاة والسلام لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر الله.

وجاء في الأدب الفرد للبخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "وإنا نحن في المجلس للنبي ﷺ: "رب اغفر لي وتبت علي إنك أنت التواب الرحيم" مائة مرة". (3)

1- نظام الحكومة النيبية المسمى: الترتيب الإدارية للكاتبي 89/1.
2- أخرجه أحمد 387، والترمذي (3706) والبخاري في الأدب الفرد (494 - 495) والبغوي في شرح السنة (7338) كلهم عن أبي هريرة، وقال الترمذي: "حدث حسن" وصححه أحمد شاكر في شرحه للمسنود (8329) وصححه الألباني في صحيح الأدب الفرد (757).
3- انظر الشفا 99/1.
4- الأدب الفرد (618) وقال الألباني في صحيح الأدب الفرد (481): "صحيح".
وروي الترمذي وحسّن عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلسه حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: "الله أقسم لنا من خشيتك ما يجعله بيننا وبين مماسيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما يكون علينا مصيبات الدنيا، ومكعنا بأسماعنا وأيامنا وقوائنا ما أحبتنا، وجعله الوارث منا، وأجعل تأزنا على من ظلمنا، واتصرنا على من عادنا، ولا تجعل مصيرنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا."

وإذا انتهى ذلك المجلس جَمِل بِكَفَّارةِ المَجْلِس، فمن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "من مجلس في مجلس، فَكُلِّر فيه نَفْطْه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك الله وحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك - إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك.")1(.

وأبو برزة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يقول بِأَخْرِيضٍ2 إذا أراد أن يقوم من المجلس: "سبحانك الله وحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.")3(

فقال رجل: يارسول الله، إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى.

---

1- الترمذي (3504).
2- أخرجه أحمد بن 142/294، والترمذي (3472) والبخاري (430) والحاكم (1340) وأبو حبان (594).
3- عن أبي هريرة ﷺ بخيار الترمذي: "حدثت حسن غريب صحيح" وصححه الحاكم ووافقه الذهبى، وصححه الألباني في صحيح الجامع (168).
4- بآخره: يفتح الهمزة واللهاة: أي في آخر عمره.
قال: «ذلك كيافة لا يكون في مجلس». (1)
قال ابن عبد البر: «وروي عن جماعة من أهل العلم بتأويل القرآن في قول
الله عز وجل: "وَسَبِحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حَنَّ تَقُومُ" (الطور: 48) منهم مjahid، وأبو
الأموي، وعطاء، وحبيب بن جعدة، قالوا: حين تقوم من كل مجلس تقوم فيه:
سبحانك الله وحمده، استغفرك وأتوب إليك.
قالوا: ومن قالها غفر له ما كان في مجلس.
وقال عطاء: إن كنت أحسنت ازدت إحساناً، وإن كان غير ذلك كان كيافة.
ومنهم من قال: تقول حين تقوم: سبحان الله وحمده من كل مكان، ومن كل
مجلس» (2).

---
1. أخرجه أبو داود (48859) والحاكم/1537، والدارمي/376/3 (559) عن أبي برزة الأسلمي.
2. وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (4886) 5 حسن صحيح.
3. بهجة المجان، لأبي عبد الله/1537.
خاتمة البحث
خاتمة البحث
الحمد لله الذي بنيمته تتم الصالحات، وبعد: ففي خاتمة البحث، هذه خلاصة
لأهم ما تضمنه، وهي أشبه بالعالم العامة عن السيرة النبوية.
1- أن الحديث عن السيرة النبوية ما تشرح له الصدور، وتنطلق الأساري،
ولا يمكن لأحد مهما أتوى من البيان والعلم أن يعطي السيرة حقها.
2- الحملات التي تزال من مقام النبي إذا قامت على الحقد، ومغالطة
الحقائق.
3- لا بد عند الكتابة في السيرة، وخاطبة غير المسلمين من صحة المعلومات،
والحرص على بيان الحق بدلاً، والبعد عن لغة التعالي والاستفزاز، ولغة
الطبيعية والانهزام؛ فالأولى تصدع عن قبول الحق، والثانية تخلله، وتضعض جانبه.
4- السيرة النبوية حافلة بالأسرار مليئة بالعبر، ومن أسرارها:
أ- أنها لا تستنفد مهما كتب فيها؛ فلا تزال مهتمة مُؤْهِجَةً لا تُخْطَّلُ، بل
ب- أن التجني على مقام النبي يدفع إلى العناية بالسيرة؛ طالبًا للمعرفة،
وتنمساً للإنصاف.
ج- أن الله -عز وجل- أوزع الناس العناية بالسيرة النبوية.
د- أن السيرة أبلغ الأثر في تقويم السلوك، وتربية العواطف الشريفة.
ه- أن مدة رسالة النبي ﷺ قصيرة في مقياس الزمن، ولكنها عظيمة في
معناها وأثرها.
و- أن السيرة امتازت بكونها معلومةً للناس جميع أطوارها.
5- حظيت السيرة النبوية بعناية العلماء وكتاباتهم قديماً وحديثاً، وتكاد مناهج
البحث فيها تنحصر في ثلاثة:
المنهج الأول: منهج المبالغين الغلاة: الذي يضمون على النبي صفات لا
تليق إلا بالله -جل وعلا- فهؤلاء ي괱ون في إطرافه، ولا يبالغون في صحة ما
يرعون وينقلون، ولا يعتمدون على المصادر الأصلية الصحيحة.
المنهج الثاني: منهج الباحثين الغربيين ومن سار على طريقتهم: فهؤلاء
يعاملون مع سيرة النبي كما يتعاملون مع سيرة أي زعيم أو بطل، أو قائد،
أو فاتح، ويعانون بالزعيم، والبطل، والعبقرى، أو نحو ذلك من الألقاب التي
لا تغني عن مقام النبوة شيئاً.
وتراهم يتحدثون عن السيرة حديثاً مادياً مجرد دون ربط لها بالوحي،
والعذب، والتأييد الإلهي، والإيمان بالمعجزات الثانية؛ بحجة أنها لا تتلاءم مع
المنهج العلمي العقلي.
المنهج الثالث: وهو النهج الصحيح الذي أنكر منهج الغلو كما أنكر
الأسلوب المادي الفلسفي في دراسة السيرة.
وهو النهج يقوم على الأصالة، والسلامة، وهو الذي يعتمد في دراسة السيرة
على القرآن الكريم، والسنة الصحيحة، وكتب السيرة المعتمدة الصحيحة.
وهو النهج -أيضاً- يقوم على الإيمان بالغيبيات والمعجزات، والأخبار
القطعيات.
6 - لقد هيا الله نبوة محمد ﷺ إرهاصات كانت مقدمة لبعثته، منها: دعوة إبراهيم، وبشرو عيسى -عليهما السلام- ورؤيا أمه آمنة.
ومنها شرف نسبه، وكونه خرج في أمة العرب، وبلغ ذروته في مكارم الأخلاق، وكونه أميناً لا يقرأ ولا يكتب، وكونه نشأ في مكة المكرمة.
7 - ورد في البحث نبذة عن نسب النبي ﷺ وحياته منذ ولادته إلى حين وفاته.
8 - ورد في البحث نبذة عن بدء الوحي، وتتابعه.
9 - لقد فطر النبي ﷺ على الرحمة، وجاءت شريعته مشتملة على الرحمة العامة الكاملة الشاملة.
10 - الرحمة من أعظم جوانب شخصية النبي ﷺ، وهي صورة لنفسه الكريم؛ فالرحمة محطة به سواء في حال يسره أو عسره، أو كان مع موافقة أو خلافه.
11 - كان عليه الصلاة والسلام، يعامل المهتدين المؤمنين بالبشر، وطلاقة الامن، ويخالطهم في تواضع، ويخلي لهم من الرحمة ما هو أرق من النسيم، وأوجود من الغيث العصيم، وقد ورد في البحث ثلاثة أمثلة على ذلك.
12 - كان يعامل المناقنين بما يشبه معاملة المهتدين المؤمنين من جهة رحمتهم، والرفق بهم، والإحسان إليهم، ومقابلة الإساءة بالعفو، أو الإحسان، ومن جهة معاملتهم على ظواهرهم دون بحث عما تكنه سراً لهم.
وأخيرًا، نذكر على سبيل المثال ما كان من أمره مع زعيم المناقنين عبد الله ابن أبي سلو.
13 - كان يعمال المخالفين السالين بحرس على هدايتهم، وليّاهم بالأدب الجميل، والإقساط إليهم، وإيضاح البر لهم، والبعد عن ظلمهم.

14 - كان يعمال المخالفين ممديين بالحزم، والاختрас، ويدفعهم إلى ما هي أحكم وأعدل؛ ففرق بهم إن كان هناك موضع للرفق، وتأخذ فيهم سنة الحزم إن طغي بهم الشر.

وكان له موقف كثيرة في الصبر عليهم، والتأني في شأنهم.

15 - كان له في الحرب أخبار كثيرة، وأحوال عظيمة، وآداب سامية، وأحكام محفوفة بالرحمة والرفق، وقد ورد في البحث ناذا من ذلك.

16 - كان لحسن معاملته الأثر الأكبر في أتباعه وخالفته؛ فأتبعاه أقدوا به، وخالفوا دخل الكثير منهم في الإسلام.

17 - لقد امتدت رحمة - عليه الصلاة والسلام - إلى الضعفاء، والمساكين من نحو الصبيان، والخدم، والفقراء؛ فكان يجلسهم، ويلاطفهم، ويشيرهم، ويحن عليهم، ويحسن إليهم، ويرفع من شأنهم، ويحدّر من ظلمهم؛ فكانوا يأبون إلى ظله الشريف، يحتمون أطرافه السامي الذي.

وقد ورد في البحث ذكر لأحد عشر مظهرًا لتلك الرحمة.

18 - للنساء نصيبًا واحد من رحمة - عليه الصلاة والسلام - فكان يوليهم اهتمامًا، وتوجيهًا.

وكان يأمر بالقيام بهم، ويحذّر من ظلمهم، أو التقصير في شأنهم؛ فانتالت المرأة في شريعتهم من الرحمة والرعاية ما لم تنته في أي شريعة أو نظام سواء كانت
أما أو أختاً أو زوجة أو غير ذلك.

وقد ورد في البحث ذكر لثلاث عشرة وصية نبوية في هذا الشأن.

19 - كان أسلوبك في بيته، ومع أزواجه دلالته الخاصة المميزة عن سلامة ذوقه، ورقة طباعته، وعمق عاطفته، وقدرته الفذة على مراعاة مشاعر زوجاته، واحترام رغباتهن ما دامت في حدود الشرع، فكان يرحمهن، ويأسس بحديثهن، ويعتنى بالعوائد من المنزل.

وكان يُصرّح لابن لفاحب، والمودة، وكان وفاً لزوجته الأولى خفية أشد الوفاء حتى بعد موتها؛ فكان يكثر من ذكرها، ويكرم صديقتها.

وقد ورد في البحث ذكر لعشرة مظاهر بين أحواله مع ناسه.

20 - لم تتف رحمة عند الرحمة بالإنسان أيها كان، بل تعدد ذلك إلى الرحمة بالحيوان البهيم الذي لا يُبتَن عن شكوك أو آلامه؛ فجاء بأحكام وآداب خاصة بالحيوان تلاشي مع هدمة الإسلام المؤسسة على الرحمة، المخففة بالحكم.

ويتبين من خلال ذلك أن الإسلام قد وضع لجمعيات الرقق بالحيوان أساساً يقيمون عليه دعوته قبل أن تؤسس جمعية الرقق بالحيوان سنة 1824 م.

1. تضاف الظلمة إلى إنسان، فرادها التجربة والخلايا، وهذا المعنى لا يجوم على نفس رسول الله ﷺ يقيناً.

ولقد برآ من العظمة الجلال الذي هو أثرُ نمو القدر، وبلغ المنزلة الكبرى في خصال الشرف، والتناهي في خصال الؤس ووالكامل.

ورسل الله ﷺ أسوة الناس في هذه العظمة مثالاً، وأبعدهم فيه أمداً.
وأرسخهم قدمًا.

- العظمة الحقيقة تكمن في ناحية العقل، والعلم، والخلق، والإخلاص.

والزم، وحسن البيان.

ولقد جمعت هذه الخصائص للنبي ﷺ بجاذبيتها، فقد كان راحل العقل، غزير العلم، عظيم الخلق، شديد الإخلاص، جليل العمل، صادق العزم، رائع البيان.

وقد ورد في البحث تفصيل لكل واحدة من هذه الخصائص.

- كان عليه الصلاة والسلام - أحسن الناس أخلاقيًا، وقد ورد تفصيل لذلك.

- يتجلي إخلاص النبي ﷺ في صفاء سيرته، وسلامته من الأغراض الشخصية، وترفه عن المطاعم الدنيوية، وقوة إقباله على الله، وزهده في الدنيا، وقد خمل ذلك بيان لبعض الحكيم من تعدد زوجاته، ورد بعض الشبهات حول تلك المسألة.

- ويتجلى صدق عزيته في احتمال الشدائد والأذى، ومقاولته الإساءة بالإحسان، واعتداله في السراء والضراء، وشجاعته المتناهية، وقيامه بصغار الأمور وكبارها.

- بلغ النبي ﷺ الدروة في فصاحة المنطق، وبلاغته، وإصابة المعنى إلى غاية ليس وراءها مخلوق غاية.

- كان ينوع في الأساليب، ويراعي مقتضيات الأحوال، ويستخدم أنواع التأثير التي سبقت كثيرًا من النظريات الحديثة في فن الخطابة، والإلقاء.
خاتمة البحث

والمتأثر في الناس، ومن ذلك أنه كان يحدث الناس بما يعرفون، ويتم إلى الإيجاز والقصد، ويترسل في كلامه، ويلقي معاصلاً دون إبطاء أو تعجيل.
وكان يلاحظ نبرة الصوت، ويسكن استخدام التكرار، ويصوغ التشبيه، ويضرب الأمثلة، ويعطي الوسائل صورة ما تفضي إليه من الخير والشر، ويرى القول ببعض الإشارات الحسية التي تناسب المعنى.
وكان يستدعي طلب البيان، ويستعمل أسلوب النداء، وينادي المخاطبين بما يحبون.

وقد ورد في البحث تفصيل، وأدلة على جميع ما ذكر.

٨٩- ورد في البحث عدد من شهادات النصارى من غير المسلمين على عظمة النبي ﷺ وصدق رسالته.

٠٠- ورد في هذا البحث فضل من مجلس رسول الله ﷺ لأسباب منها أنه يبحث لطيف نادر قليل من يطرقه، بل لم يُفرّه أحد من الأوائل، وأنه ميدان للكميات، وأنه خير مثال عملي يُجلِّي رحمة النبي ﷺ وعظمته.

١٠- ورد في البحث وصف مجلس العظماء، ونواحي العظمة، وتحمل العظام مشاق التكلف، وهيهات المجالس، وأن أشكال الدعوة الإلهية على حسب استعداد الأقوام.

٠١- ورد ذكر مجلس الرسول ﷺ في القرآن الكريم.

٠٢- كان مجلس الرسول ﷺ في غاية البساطة، حكم عظيمة منها أن لا يكون جلال قدره محتاجة إلى معونة، وأن لا يكون مشاركاً لأصحاب السيادة، وأن
يحصل له أعظم جلال في نفوس أعدائه، مع ضرب أمثلة على ذلك.

١٣٠ - مكان مجلس رسول الله ﷺ مسجده، وهناك أماكن أخرى يجلس فيها.

لمعارات تُذَرُ له.

١٣١ - الظاهرة أن مكان مجلسه في المسجد هو ما بين النبر وحجرة عائشة ﺔضِيِب الله عنها. لأدلة ذكرت في البحث.

١٤٥ - كان أصحابه إذا قصدوا مسجده يحضرون ذلك المكان الذي اعتاد الجلوس فيه.

١٤٦ - كانوا يقومون له فتىهام، وكان يجلس حيث انتهى به المجلس، وكان لا يبتغى رقابهم، وكان يكرم أهل بدر، وربما وقف السامع إلى حديثه.

١٤٧ - كان مجلس الرسول على هيئة الحلقية الواحدة، وكانت هيئته جلوس النبي ﷺ الاحتباس غالبًا، وقد يجلس القرفصاء، أو متكأً، أو متبعاً، وعدد جلسائه لا ينضب.

١٤٨ - في مجلس النبي ﷺ تجري أمور عظيمة متنوعة؛ فتتُت بانتاب الحكمة والتشريع، وفيه تُتَنِّي آيات الكتاب الحكيم، ويقع التحاكم، وتُنَبِّذ إليه الوفود، ويتَّعَثَرُ العُفَّاء، ويأتيه طالبو الحاجات.

١٤٩ - وهو مجلس أدب، يُنَدِّي فيه الشعر، وتُضَرب الأمثال.

٢٩ - كان أصحابه لا يفترقون إلا عن دوّاق، ويخرجون أدة فقهاء.

٤٥ - في ذلك المجالس يُتَّكِّرُ النبي ﷺ ما يراه مجانًا للصواب مع احتفاظه بعادته الجميلة في الإنكار.
1 - وفيه يجيب عن الأسئلة التي ترد عليه، وربما بتد الحادي من تلقاء نفسه.

2 - وفيه يكثر ذكر الله، ودعاؤه، واستغفاره.

3 - وقت مجلس الرسولي بعد صلاة الصح، وما كان يستغرق الصح كله.

4 - لذلك المجلس آداب عظيمة منها التفسح، وأن الأصوات لا ترفع فيه،

وأن خاصة أصحابه لا يسألون النبي إلا إذا ابتدرهم.

5 - أن النبي كان يصر على الغريب إذا جاءه في مقاله وسؤاله.

6 - أن أصحاب ذلك المجلس يتعاطون التقوى، ويخفون المروءات.

7 - من أدب ذلك المجلس إلقاء السلام في أوله وآخره.

8 - من أدب ذلك المجلس أنه يُختم بكفاءة المجلس.

9 - اشتملت فصول البحث على دحض كثير من المزاعم والشبهات التي تثار

حوNi الإسلام.

فهذه خلاصة ما ورد في هذا البحث، وأخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين،
وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وسلم جميع.

خاتمة البحث

٢٠٩
خاتمة البحث
الفهرس

أ- فهرس المصادر والمراجع

ب- فهرس المحتويات
الباز

المقالات

العسبية

الفازض
- أثر العلماء المسلمين في الحضارة الغربية، أحمد علي الملا، دار الفكر، دمشق، ط 3، 1401 هـ ـ 1981 م.
- إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، دار الريان للتراث.
- أخبار مكة في قديم الزمان، تصنيف الإمام محمد بن إسحاق الفاکهی، دراسة وتحقيق عبد الله بن عبد الله بن دهش، مكتبة وطبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط 1، 1407 هـ.
- أخلاقي النبي ﷺ، لأبي الشيخ الأصفهاني، تحقيق عصام الدين الصباحي.
- أخلاقي النبي ﷺ، للمحافظ أبي محمد جعفر بن حيى الأصفهاني، دراسة وتحقيق د. السيد الجميلي، دار الكتاب العربي بيروت، ط 1، 1405 هـ ـ 1985 م.
- الإسلام في نظر أعلام الغرب، حسين عبد الله بسلامة، تهامة، جدة، المملكة العربية السعودية، ط 3، 1403 هـ ـ 1983 م.
- أعلام النبوة، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، قلم له وشرحه وعلق عليه محمد شريف سكر، دار إحياء العلوم، بيروت، ط 1، 1408 هـ ـ 1988 م.
- اقتضاء الصراع المستقيم لخطفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية، تحقيق د. ناصر العقل، مكتبة الرشد، الرياض، ط 2، 1411 هـ ـ 1991 م.
- الأنواع في شمائل النبي المختار، للبغيوي، تحقيق الشيخ إبراهيم اليعقوبي.
- أهل الذمة في الحضارة الإسلامية، حسن المكي، دار الفكر الإسلامي، ط 1، 1998 م.
- أهل الذمة والولايات العامة في الفقه الإسلامي، إعداد مهر محمد خليل النمر، المكتبة الإسلامية، عمّان، الأردن، ط1، 1409 هـ.
- بطل الأبطال، لأستاذ عبد الرحمن عزام، رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، مطبوع دار الأصفهاني وشركاء بجدة.
- بهجته المجالس وأئمة المجالس، وشحذ الذاهنين والهاجس للإمام ابن عبدالبار، تحقيق د. محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 1981م.
- تاريخ الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، بيروت، دار الكتب العلمية.
- تفسير التحرير والتنوير، تأليف العلامة محمد الظاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.
- تفسير المراغي، للشيخ أحمد مصطفى المراغي، خرج أحاديثه باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1418هـ - 1998م.
- تلخيص الحبيب في تحرير أحداث الرافعي الكبير، لاين حجر العقلاني، تحقيق وتعليق عادل أحمد عبدال الموجود، وعلى محمد معوض، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ، 1998م.
- التوراة والإنجيل والقرآن، لموسي بوكاي، ترجمة الشيخ حسن خالد.
- توضيح الأحكام من بلوغ المرام، للشيخ عبد الله البسام، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ط5، 1433هـ - 2003م.
- الجامع الصحيح سنن الترمذي للإمام الترمذي، تحقيق الشيخ أحمد شاكر وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية.

- جامع العلوم والحكم، لابن رجب الخنجرلي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، ط 4141 هـ - 1991 م.

- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

- جوامع السيرة النبوية، لابن حزم الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- حدائق الأروار ومطلع الأسرار في سيرة النبي المختار، لابن الدمع الشيباني الشافعي، تحقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر.

- حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية، د. علي بن عبدالرحمن الطيار.

- الخصائص الكبرى، أو كفارة الطالب اللبيب في خصائص القلب للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق د. محمد خليل هراس، دار الكتب الحديثة، شارع الجمهورية بعابدين.

- الخطابة بأصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، للشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.

- خلاصة السيرة النبوية، وحقيقة الدعوة الإسلامية، للشيخ محمد رشيد
فهرس المصادر والمراجع

216

رضاء، صاحبها وعلق عليها عبدالله السيد أحمد حاج، 1400 هـ-1980 م.
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، وفق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه د. عبدالمطلب قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط. 1، 1405 هـ-1985 م.
- ديوان النبي بشرح العكيري، ضبطه وصححه عبد الحفيظ شلبي، ومصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، دار المعرفة، بيروت، لبنان (ب.ت).
- رسائل الإصلاح، للشيخ محمد الحضر حسين، دار الإصلاح، السعودية، الدمام.
- الرسالة الحالية، للأساتذ عبد الرحمن عزام، دار الشروق، دار الفكر.
- الرسالة المحمدية، للسيد سليمان الندوي، مكتبة دار الفتح، دمشق، ط. 3، 1383 هـ-1963 م.
- الروض الأخضر في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبدالله بن أبي الحسن الختعمي السهيلي، ومعه السيرة النبوية للمعافري، علق عليه ووضع حفاظه مجدوي بن منصور بن سيد الشهرى، منشورات محمد علي بضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط. 1، 1418 هـ-1997 م.
- روضة الطالبين، للندوي، المكتب الإسلامي، بدمشق وبيروت.
- زاد المعاذ في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، تحقيق وتعليق الشيخ شبيب الأرناؤوط والشيخ عبدالقادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط. 15.
YEAR 1407 - 1987 M.

- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، والشيخ علي محمد معوض، توزيع مكتبة عباس أحمد البارز، مكة المكرمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1414 هـ - 1993 م.

- سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ: محمد ناصر الدين الألباني، ط 4، 1405 هـ، المكتبة الإسلامية.

- سنن ابن ماجة، دار الدعوة، دار سحنون، ترقيم محمد عبدالباقي، ط 3.
- سنن ابن ماجة، محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر.
- سنن أبي داود، دار الدعوة، دار سحنون، ط 2.
- سنن أبي داود، محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر.
- سنن الترمذي، أحمد شاكرباخرونيا، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- سنن الترمذي، دار الدعوة، دار سحنون، ط 2.
- سنن الدارمي، للإمام الدارمي، دار المغني، الرياض، ط 1، 1431 هـ - 2000 م.
- سنن النسائي، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، 1406 هـ - 1986 م.
- السن الكبيرة، للبيهقي، تحقيق د. عبدالغفار بنداري سيد كردي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411 هـ - 1991 م، ط 1.
- سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط 46، 1406 هـ
- 1986 م، تحقيق شعيب الأرناووط.
- سيرة الرسول ﷺ مقتبسة من القرآن الكريم، تأليف الأستاذ محمد عزة
- دروزة، عُنِي بها عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، تُبع على نفقة إدارة إحياء
- التراث الإسلامي بدولة قطر.
- السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد الحديثين في نقد روايات السيرة
- النبوية، د. أكرم العصري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
- السيرة النبوية لابن هشام، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية.
- شرح ديوان أبي تمام، للخطيب التبريزي، قدّم له وضع هواشه وفهارسه
- راجي الأحمر، نشر دار الكتاب العربي، ط 3، 1414 هـ.
- شرح السنة للبغوي، تحقيق شعيب الأرناووط وزهير الشاويش، المكتب
- الإسلامي (ب.ت).
- شرح الفشا للقاضي عياس، شرح الملا علي القاري، توزيع دار الباز
- للنشر والتوزيع، مكة المكرمة.
- شرح فتح القدير لابن الهمام، مع تكملة نتائج الأفكار في كشف رموز
- الأسرار، للقاضي زاده، ط 1، 1315 هـ، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاقي.
- الفشا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياس، تحقيق علي محمد
- البجادي، طُبّ بمطبعة عيسى الباني الخلبى وشركاه، القاهرة.
- شملائل الرسول ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه، لابن كثير، تحقيق طه
عبدالرؤوف سعد، المكتبة الأدبية العربية، ط1، 1403 هـ-1984 م.
- الشمائل المحمدية للإمام الرمذي، إخراج وتعليق محمد عفيف الزعي،
دار المطبوعات الحديثة، جدة، ط2، 1406 هـ-1986 م.
- الشوقيات (ديوان أحمد شوقي) - المكتبة التجارية بمصر.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، شبيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414 هـ، ط3.
- صحيح ابن خزيمة، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1390 هـ، 1970 م.
- صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، تعليق وتحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، دار الصدقي للنشر والتوزيع، الجبيل، المملكة العربية السعودية، ط1، 1414 هـ، 1994 م.
- صحيح البخاري، د. مصطفى أديب البُغاء، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، 1407 هـ، 1987 م، ط3.
- صحيح البخاري، للإمام البخاري، بيت الأفكار الدولية، ط1، البهبهان، 1419 هـ، 1998 م.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، أشرف عليه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط3، 1406 هـ.
- صحيح سنن النسائي، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، أشرف عليه طباعته وتعليق عليه الشيخ زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت،
المملكة العربية السعودية، ط 2، 1437 هـ- 2006 م.

- عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياضة، لأبي الحسين علي ابن عبدالرحمن بن هذيل، مكتبة الباز، مكة المكرمة.

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، مكتبة ابن نيمية، ط 1، 1407 هـ.

- الفروق، لشهاب الدين القرافي، عالم الكتب، بيروت.

- الفصول في سيرة الرسول ﷺ، للحافظ ابن كثير، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع، دار الكتب العلمية، بيروت.

- فقه السيرة، للشيخ محمد الغزالي، خرج أحاديث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط 7، 1976 م، دار إحياء التراث العربي.

- فقه السيرة النبوية، لخالد منير غضبان، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط 1، 1989 مه.

- قواعد الحرب في الشريعة الإسلامية دراسة مقارنة لشيخ عوام الذهيني.

- مكتبة الرشد ناشرون، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط 1، 1436 هـ، 2005 م.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلا الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تحقيق محمود الميدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٩ م.
- المسوط، للسرخى، ط ٣، دار المعرفة، بيروت.
- مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن ابن قاسم وابنه محمد.
- محمد بهجة البيطار -بهجة الإسلام- إعداد الأستاذ علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- محمد رسول الله -خلاصة سيرته ومقابلات نادرة فيها- محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٣٧ هـ، ٢٠٠٦ م.
- محمد رسول الله ﷺ، تأليف محمد رضا، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- محمد رسول الله ﷺ، للعلامة أحمد تيمور باشا، دار الآفاق العربية، ط ١، ١٤٣٤ - ٢٠٠٣ م.
- محمد رسول الله وحاتم النبيين، للشيخ محمد الخضر حسين، إعداد وضبط الأستاذ علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- محمد المثل الكامل، تأليف محمد أحمد جاد المولى بك، ط ٦، ١٤٨٨ هـ، ١٩٦٨ م، مكتبة ومطبعة محمد علي صبح وأولاده.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لأبن القيم، تحقيق
وعليق المعتصم بالله البغدادي، توزيع دار اللفائس، الرياض، ط، 1410 ه.
- المذكرات محمد كرد علي، دار أضواء السلف، الرياض.
- المستدرك للحاكم، مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
- المسند الإمام أحمد بن حنبل، دار الدعوة، دار سحنون، ط، 4.
- المسند للإمام أحمد بن حنبل، شرحه وصنع فهرسه الشيخ أحمد محمد شاكر، مكتبة دار الكتب الإسلامي بالقاهرة، ط، 4.
- المصنف لعبد الرزاق الصناعي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط، 2، 1403 ه.
- معجم الطبراني الكبير، ط، 3، 1404 ه.
- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاقي الرسول الكريم، إعداد مجموعة من المختصين بإشراف معالي الشيخ د. صالح بن حميد، وعبد الرحمن بن محمد ملوك، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ط، 1، 1418 هـ 1998 م.
- موطن الإمام مالك بن أنس، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- نظام الحكومة النبوية المسمى الترتيب الإداري، للشيخ عبدالله الكتاني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- نقص المنطق، الشيخ الإسلام ابن نعمة، حققه الشيخ محمد بن عبد الرؤف حمزة والشيخ سليمان الصنيع، وصححه الشيخ محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق خليل مأمون شيخا، دار
المعرفة، بيروت، لبنان، ط ۱، ۱۴۲۲ هـ ـ نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، للشيخ محمد الخضري، حققه وعلقه عليه نايف العباس، محي الدين مستوي، مؤسسة علوم القرآن، دمشق - بيروت، ط ۴، ۱۴۰۰ هـ - ۱۹۸۰ م.

۲۲۲
فهرس الموضوعات

المقدمة:
- فضل الحديث عن السيرة
- وفقة عند الحملات التي أرادت الإساءة إلى النبي
- خطة البحث
- نهج البحث

مدخل: في أسرار السيرة النبوية، ومناهج البحث فيها

أولاً: في أسرار السيرة النبوية:
- السيرة لا تُستنفد مهما كتب فيها
- من صلاة الله على نبيه أن أوزع الناس العناية بسيرته
- ليس مصدر السيرة إرضاء حاجة العلم والدرس فحسب
- للسيرة أبلغ الأثر في تقويم السلوك، وتربية العواطف الشرفية
- مدنة النبوة والرسالة قصيرة في مقياس الزمن، ولكنها عظيمة في معناها وأثرها

- كلمتان لا يبن تيمية في بركات هذه الأمة
- السيرة معلومة للناس يجميع أطوارها

ثانياً: مناهج البحث في السيرة النبوية:
- النهج الأول: نهج المباليين الغالين

فهرس الموضوعات

3
11
11
12
13
13
14
14
15
16
المنهج الثاني: منهج الباحثين الغربيين ومن سار على طريقتهم
المنهج الثالث: وهو المنهج الصحيح الذي يعتمد على القرآن والسنة
الصحيحة والسيرة المتمدة

تهييد: في بعثة النبي ﷺ وخلاصه سيرته

- أولاً: مههات النبوة:
  1 - دعوة إبراهيم، وبشري عيسى -عليهما السلام- ورؤيا آمه آمنة
  2 - كون النبي ﷺ خرج في أمة العرب
  3 - شرف النسب
  4 - بلوغه ﷺ الوعي في مكارم الأخلاق
  5 - كونه ﷺ بيضأ لا يقرأ ولا يكتب
  6 - كونه نشأ في مكة المكرمة

- ثانياً: نبأ عن نسب النبي ﷺ وحياته:
  1 - نسبه
  2 - ولادته
  3 - رضاعته في بني سعد
  4 - سفره إلى الشام مع عمه، ولقاؤه بحبرا الراهب
  5 - سفره متجأراً بحارة الخديجة
  6 - زواجه بخديجة

- ثالثاً: بدء الوحي:
الفصل الأول: من جوانب الرحمة في السيرة النبوية
المبحث الأول: في حكمة النبي ﷺ مفتوحةً على الرحمة، وكون شريعته مشتملة على الرحمة العامة الكاملة:
قوله تعالى: "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنَتْبَغُوهُ" وتفسير ابن عاشور
لآية
قوله تعالى: "وَمَا أُرْسِلْنَا إِلَّا رَحْمَةٌ لِّلْعَالَمِينَ"
قول ابن القيم في الآية
قول ابن عاشور في الآية
المبحث الثاني: رحمة النبي ﷺ بالبشر عموماً:
آيات وأحاديث في الرحمة
طوائف الناس أمام رحمته - عليه الصلاة والسلام - لا تخرج عن أربع:
1 - طائفة المهذبين المؤمنين:
3 - طائفة المتأثرين:

1. مثال لتعامله معهم، وإحسانه إليهم، وهو قضته مع عبد الله
2. طائفة المتأثرين المسالمين:

51
52
53
54
4 - طائفة المخالفين المحاربين:
- أمثلة على ذلك
- بيان لبعض آداب وأحكام الحرب في الإسلام، وأنها محفوفة بالرحمة والرفق
- أمثلة، وآثار في ذلك، وبيان لأثر معاملة المسلمين الحسنة على أعدائهم

المبحث الثالث: رحمة النبي ﷺ بالضعفاء والمساكين

- من أخباره المتغيرة في هذا الباب:
1 - رفعة من شأن الضعفاء
2 - تفقد الأحوال الضعفاء، وسأله عنه، ووفاؤه لهم
3 - رأفت بالبيتين، وبيائه جزاء كافيه
4 - حثه على القيام بشأن الأرملة والمسكين
5 - دعوتة للطعام الذي معنه الفقراء
6 - رأفت بالبنات، وبيائه نضل إعلانهن، والإحسان إليهن
7 - تخديره من تضييع حقوق الضعفاء
8 - رحمة بالمرضى إذا زارهم
9 - رحمة بالصغار، وبياؤهم عليهم
10 - حثه على إكرام الخدم، والحمش
البحث الرابع: رحمة النبي ﷺ بالنساء

- أولاً: من أقواله في رحمة النساء، ورعاية حقوقهن:

- فسوض الموضوعات

1. حثه على بر الأم، وتقديم حقها على حق الأب
2. وصايته بالنساء، وأمره بالإحسان إليهن
3. بياته فضل الصدقة على الأهل
4. وصيته بالصبر على النساء، وتحذيره من الاستعجال في شأن الطلاق
5. بياته أن خيار الناس خيارهم لنسائهن
6. تحذيره من إنشاء سر الفراش
7. بياته أن النساء شفافين الرجال
8. نهيه عن ضرب الزوجة بالمسوغ
9. تحذيره من الميل لإحدى الزوجات إذا كان الزوج أكثر من زوجة
10. بياته أن المرأة لا تزوج إلا بذنها
11. ذكره لفضل العناية بالبنات، وإحسان تربيتهن
12. نهيه الزوج عن مفاجأة زوجته بعد طول الغياب عنها
13. نهيه عن طرق الأهل ليلةً

- ثانياً: من أحوال النبي ﷺ مع نسائهن
1- موقفه من عائشة –رضي الله عنها– عندما حجب تعلمه
فمنعتها حييّتها من أداء العمرة مع الناس

2- في غزوة المريسيع يوقف الجيش كله من أجل إنقáz عقد عائشة

3- موقفها لما رجع من غزوة خيبر، وتزوج صفية بنت عبد جبكي

4- من مظاهر الصدق والرحمة في علاقاته بأزواجها

5- بين زينب بنت جحش و عائشة

6- غضبته إذا تجاوزت الغيرة حدها

7- مراعاته لصغر سن عائشة

8- عائشة توصي المسلمين بمرازة الزوجات حديثات السن

9- الرسول يسابق عائشة مرتين

10- النبي يتفنّي مع عائشة

المبحث الخامس: رحمة النبي بالحيوان

1- طرف مما جاء به النبي في أحكام الحيوان من الحكمة والرحمة والرفق:

2- أن الإسلام آدن في أكل الطب من الحيوان

3- أن الله تعالى– تعالى– امتن في كتابه بما يتخذ من أصول الأئمة وأوبارها وأشعارها وجلودها

4- عادات سيئة للعرب قبل الإسلام مع الحيوان

5- للعرب عادات يسومون فيها الحيوان سوء العذاب في ذبه، وعند ذلك، وإرشاد النبي إلى غرس العطف على الحيوان
1- أن الحيوان كان كسائر الأمتعة تحت يد مالكه يفعل فيه كيف يشاء

2- الشريعة أباحت صيد الحيوان بنحو الجوارح والنبال والشباق، ومنعت أن ينصبه غرضًا.

3- أنه قد وردت أحاديث عن النبي في فصل سقي الحيوان وإطعامه، وعدهم من عمل الخير الذي تنال به الزلفي عند الله.

4- من الرفق بالحيوان تجب أديته في بدنه.

5- من الرفق بالدياب أن لا يتتابع السير عليها متابعة ترهقها تعبًا.

6- النهي عن وضع القلادة على رقبة البعير، لئلاً تؤذيه.

7- النهي عن وقوف الراكب على الدياب وقوفاً يؤذيه.

8- أمثلة على أثر آداب الإسلام على نفس أهل من الرفق بالحيوان.

- الإسلام وضع أساساً لجمعيات الرفق بالحيوان.

الفصل الثاني: من جوانب العظمة في سيرة النبي

- مدخل في مفهوم العظمة.

- البحث الأول: في رجاحة عقل النبي وغزارة علمه.

- أولاً في رجاحة عقل النبي

- مظاهر يتجلى بها ذلك المعنى.

- كلمتان للقضي عياض، والماوريدي في وفور عقل النبي.

ورجاحته.
- الحكمه من استشارته أصحابه مع كمال عقله
108
- ثانياً: غزارة علم النبي ﷺ
110
- بيان غزارة علمه
110
- كلمة للمؤردي في ذلك
111
- آثار غزارة علمه على الناس
111
- براهين حسية، وعلمية، وتجريبية على غزارة علمه، وصدق ما جاء به:
113
المثال الأول: لعاب الكلب وما يحمله ميكروبات
113
المثال الثاني: تلقيح الأشجار
114
المثال الثالث: وصف البحر
114
المثال الرابع: إشارات في حفظ الصحة
114
- أن ما جاء به لا يعارض مع الحقائق العلمية
117
- البحث الثاني: في عظمة خلق النبي ﷺ
118
- أمثلة لآيات أديبه ربه بها
118
- في قوله - تعالى: «وَإِلَّا لَعْلَمَ خَلَقَ عَظِيمًا» وأقوال العلماء في تفسيرها، وبيان جماع الخلق العظيم
119
- أبيات لأحمد شوقي في وصف أخلاق النبي ﷺ
120
- خلاصة لما كتبه العلماء في شمائل النبي ﷺ وأخلاقه
123
- البحث الثالث: في إخلاص النبي ﷺ وصدق عظيمته:
127
<table>
<thead>
<tr>
<th>الموضوع</th>
<th>الالوان</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>أولاً: إخلاص النبي لربه</td>
<td>127</td>
</tr>
<tr>
<td>مظاهر يتجلى بها إخلاصه لربه</td>
<td>127</td>
</tr>
<tr>
<td>صفاء سيرته</td>
<td>127</td>
</tr>
<tr>
<td>ـ سلامته من الأغراض الشخصية، وترفعه عن المطامع الدنيوية</td>
<td>128</td>
</tr>
<tr>
<td>ـ قوة إقباله على الله ورجل</td>
<td>128</td>
</tr>
<tr>
<td>ـ زهده في الدنيا:</td>
<td>129</td>
</tr>
<tr>
<td>كلمة للقاضي عياض في زهده</td>
<td>129</td>
</tr>
<tr>
<td>في تعدد زوجاته، والحكمة من ذلك «هامش»</td>
<td>129</td>
</tr>
<tr>
<td>ثانياً: صدق عزيمة النبي</td>
<td>132</td>
</tr>
<tr>
<td>مواقف تنجل فيها صدق عزيته</td>
<td>132</td>
</tr>
<tr>
<td>ـ صدق عزيته في احتماله للشدايد والخطوب</td>
<td>132</td>
</tr>
<tr>
<td>ـ صدق عزيته في احتمال الأذى</td>
<td>132</td>
</tr>
<tr>
<td>ـ صدق عزيته في مقابلة الإساءة بالإحسان</td>
<td>132</td>
</tr>
<tr>
<td>ـ صدق عزيته في الاعتاد حال السراء والضراء</td>
<td>134</td>
</tr>
<tr>
<td>ـ شجاعته المناهية</td>
<td>136</td>
</tr>
<tr>
<td>ـ قيامه بصغر الأمور وكبارها</td>
<td>136</td>
</tr>
<tr>
<td>المبحث الرابع: في حسن بيان النبي</td>
<td>138</td>
</tr>
<tr>
<td>بيان لذلك، وكلمة للقاضي عياض، وأبيات لشوقى</td>
<td>138</td>
</tr>
<tr>
<td>شيء ما يؤكد مرتبته العالية في البيان والتأثير</td>
<td>139</td>
</tr>
<tr>
<td>رقم</td>
<td>الموضوع</td>
</tr>
<tr>
<td>-----</td>
<td>----------</td>
</tr>
<tr>
<td>1</td>
<td>أنه يحدث الناس بما يعرفون</td>
</tr>
<tr>
<td>2</td>
<td>مراعاة المدة الزمنية للمخطية، والميل إلى الإيجاز والاقتصاد:</td>
</tr>
<tr>
<td>3</td>
<td>ثلاثة أمثلة على ذلك</td>
</tr>
<tr>
<td>4</td>
<td>الترسل في الكلام، وإلقاء مفصلاً دون إبطاء أو تعجيل:</td>
</tr>
<tr>
<td>5</td>
<td>كلمتان لعائشة في ذلك، وشرح ابن حجر لهما</td>
</tr>
<tr>
<td>6</td>
<td>كلمتان لجابر وعائشة في ذلك</td>
</tr>
<tr>
<td>7</td>
<td>ملاحظة نبيرة الصوت</td>
</tr>
<tr>
<td>8</td>
<td>مثال لذلك</td>
</tr>
<tr>
<td>9</td>
<td>حسن الاستخدام للتكرار:</td>
</tr>
<tr>
<td>10</td>
<td>عقد البخاري باباً بعنوان: «باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم» وسوّه عدد أحاديث في ذلك</td>
</tr>
<tr>
<td>11</td>
<td>صوغ التشابه، وضرب الأمثلة:</td>
</tr>
<tr>
<td>12</td>
<td>مثال على ذلك</td>
</tr>
<tr>
<td>13</td>
<td>إعطاء الوسائل صورة ما تفضي إليه من الخبر والشريء:</td>
</tr>
<tr>
<td>14</td>
<td>ثلاثة أمثلة على ذلك</td>
</tr>
<tr>
<td>15</td>
<td>فرن القول ببعض الإشارات الحسية التي تناسب المعنى:</td>
</tr>
<tr>
<td>16</td>
<td>ثلاثة أمثلة على ذلك</td>
</tr>
<tr>
<td>17</td>
<td>استدعاء طلب البيان:</td>
</tr>
<tr>
<td>18</td>
<td>مثال على ذلك</td>
</tr>
</tbody>
</table>
المبحث الخامس: من شهادات المتصفيين على عظمة النبي ﷺ

وصدق رسالته:

1. شهادة الفيلسوف الإنجليزي الشهير توماس كاريل
2. شهادة (الكونت هنري دي كاستري)
3. شهادة الأساتذة الموسيقى (سيديو) الفرساوي أحد أعلام الإفرنج

وأحد وزراء فرنسا السابقين

4. مقوله للأستاذ المستشرق (دوزي)
5. مقوله لشاعر فرنسا (لا مارتين)

الفصل الثالث: مجلس رسول الله ﷺ

- مدخل: في أسباب إيراد هذا الفصل ضمن هذا الكتاب

- المبحث الأول: مقدمة في مجالس العظمة:

  1. نواحي العظمة
  2. أسس العظيم بسمات العظمة الخمسة
  3. تحمل العظمة مشاق التكلف
  4. هيئة المجالس
  5. أشكال الدعوة الإلهية على حسب استعداد الأقوام
  6. المجادلة التاريخية بين عمر بن الخطاب ومعاوية
المبحث الثاني: في ورود المجلس الرسولي في القرآن، وصفة ذلك

المجلس:

- أولاً: ورود مجلس الرسول في القرآن

- ثانياً: صفة مجلس رسول الله ﷺ:

- أنه في غاية البساطة والتواضع لحكم جمة منها:

- الحكمة الأولى: أن لا يكون جلال قدره محتاجاً إلى معونه

- الحكمة الثانية: أن يكون غير مشارك لأصحاب السيادة

- الحكمة الثالثة: أن يحصل له أعظم جلال في نفس أعدائه:

- مثال على ذلك

- وصف كعب بن زهير رسول الله ﷺ حينما دخل عليه المسجد

المبحث الثالث: مكان مجلس الرسول وسياقية التنامه وخروجه إليه

- أولاً: مكان مجلس الرسول:

- مكان مجلس مسجده، وهناك أماكن أخرى

- ظاهر أن هذا المكان المعين هو ما بين المنبر وحجرة عائشة

- رضي الله عنها وهو الملقب بالروضة، وبدل لذلك ثلاثة أدلة:

- الدليل الأول:

- الدليل الثاني:

- الدليل الثالث:
- ثانياً: كيفية انتقال مجلس الرسول وخروجه إليه

- كان أصحابه إذا قصدوا مسجد يحضرون ذلك المكان الذي اعتاد الجلوس فيه
- وكانوا يقومون له فتهام
- وكان مجلس حيث انتهى المجلس
- كان لا يتخبط رقابهم
- كان يكرم أهل بدر
- ربما وقف السامع إلى حديث رسول الله

المبحث الرابع: هيئة المجلس الرسولي، وما مكان يجري فيه:

- أولاً: هيئة المجلس الرسولي:

- كان على هيئة الحلقة الواحدة
- كانت هيئة جلوسه الاحتباء غالباً
- وقد مجلس القرفصاء أو متكنأ أو متربعًا
- عدد جلساته لا يضبطن

- ثانياً: ما كان يجري في مجلس رسول ﷺ:

- تتبع منه ينابيع الحكمة والتشريع
- تتلى فيه آيات الكتاب الحكيم
- يقع فيه التحاكم
- تقد فيه الوفود، ويتبنى طالبوا الحاجات، وتعتوره العفاة
- ربما اختلف إليه الصبيان، أو دعوا له
- ْيأوي إليه القراء
- ١٨٣
- هو مجلس أدب يندش فيه الشعر، وتضرب الأمثال:
- قدوه كعب، وإنشاده قصيدته، ووقف النبي ﷺ عند بعض آياته
- ودش في المجلس الشعر، فيتمثل النبي ﷺ ببعض الآيات
- المشدة كما في قصة أيبات الأعشى المازني
- وربما أنشد أحد الشعراء، فاستوقفه، وسأل عن مقصوده كما
- في قصة النابغة الجعدي
- وربما استناد أحد جلالة كما في حديث عمرو بن الشريد،
- واستناد أيبات لأميه بن أبي الصلة
- وربما تمثل بالشعر في مجلسه كما في حديث جندب عندما أصيبت
- أصحاب النبي ﷺ، وحديث عكرمة، وتمثل النبي ﷺ بيت طرفة
- وكان أصحابه إذا دخلوا عليه لا يفتقرون إلا عن دوّاق، ويجرون
- أولته
- وفي ذلك المجلس كان ﷺ ينظر ما يراه مجاناً للصواب مع احتفاظه
- بعادته الجميلة في الإنكار:
- ١٨٦
- ثلاثة أمثلة على ذلك
- ١٨٧
- في ذلك المجلس يجيب ﷺ عن الأسئلة التي ترد عليه:
- ثلاثة أمثلة على ذلك
- ١٨٨
- قد يبتدر الحديث من تلقاء نفسه:
- ١٨٨
۱۸۸  مثال على ذلك
۱۸۹  كثرة الذكر، والدعاء، والاستغفار
المبحث الخامس: وقت المجلس الرسولي، وآدابه
۱۹۰  أولاً: وقت المجلس الرسولي:
۱۹۰  ١- كان مجلس لهم بعد صلاة الصبح
۱۹۰  ٢- ما كان يستغرق الصباح كله
۱۹۱  ثانياً: آداب مجلس رسول الله ﷺ:
۱۹۳  ١- المراد بالنفسح، وأمر الناس في مجلس رسول الله ﷺ
۱۹۴  ٢- الأصوات لا ترفع في مجلسه
۱۹۳  ٣- أن خاصة أصحابه لا يسألون النبي ﷺ إلا إذا ابتدرهم النبي ﷺ: مثال على ذلك
۱۹۵  ١- كان يصبر على الغريب إذا جفاه في مقاله وسأله
۱۹۵  ٢- كان جلساؤه يتواصلون بالقول، وحفظوا الروايات
۱۹۶  ٣- من آداب ذلك المجلس إلقاء السلام في أوله وآخره
۱۹۶  ٤- الإكثار من ذكر الله، ودعائه، واستغفاره: أحاديث في ذلك
۱۹۷  ٥- ختم المجلس بكفارة المجلس
۱۹۹  ۶- الخاتمة
۲۱۳  ۷- فهرس المصادر والمراجع
۳۴۴  ۸- فهرس الموضوعات